



# مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد

دورية ربع سنوية محكمة

العدد الثالث والعشرون

يناير ٢٠٢٣ م

الجزء الأول

الموقع الإلكتروني

[HTTPS://:JFPSU.JOURNALS.EKB.EG/](https://jfpsu.journals.ekb.eg/)

(ISSN: 2356-6493)

الرقم الدولي الموحد للطباعة

(ISSN: 2682-3551)

الرقم الدولي الموحد الإلكتروني



## شروط وقواعد النشر بالمجلة

### أولاً: القواعد العامة للنشر

١. مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد دورية ربع سنوية محكمة تختص بنشر الأبحاث باللغة العربية والأجنبية على أن تكون تلك الأبحاث في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية واللغوية، وضمن الموضوعات التي تهتم بها المجلة.
٢. تنشر المجلة الأبحاث النظرية والتطبيقية والمقالات والدراسات التي تسهم في تقدم المعرفة الإنسانية والاجتماعية واللغوية فتضم المجلة الأبحاث والمقالات العلمية، والمراجعات النقدية أو العلمية، والأعمال المترجمة، وملخصات رسائل الماجستير والدكتوراة والأبحاث المشتقة منهم، وتقارير المؤتمرات والندوات وورش العمل.
٣. تنشر المجلة الأبحاث التي لم يسبق نشرها في أي دورية أخرى؛ يتعهد الباحث أن البحث لم يسبق نشره وأنه غير مُقَدَّم حاليًا لأي جهة نشر أخرى، مع الالتزام بعدم تقديمه لأي جهة أخرى حتى انتهاء إجراءات التحكيم وإخطاره بالقبول أو الرفض.
٤. ينبغي أن يتسم البحث المُقَدَّم للنشر في المجلة بالأصالة في تخصصه العلمي الدقيق، وأن يكون قائمًا على أسس منهجية صائبة. كما يجب أن يكون البحث مكتوبًا بلغة سليمة، وخاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية.
٥. الأوراق البحثية التي تُنشر بالمجلة ليست لها أي توجهات سياسية أو دينية، وإنما أبحاث علمية متخصصة تعبر عن وجهة نظر مؤلفيها دون أن تعكس بالضرورة وجهة نظر المجلة. كما تقع صحة البيانات والمعلومات التي تتضمنها الأبحاث على عاتق مؤلفيها دون مسؤولية على جانب المجلة.
٦. كل ما يتم نشره بالمجلة يُعتبر ملكًا لها ولا يجوز إعادة نشره بأي طريق أو في أي مكان آخر إلا بإذن كتابي من إدارة المجلة. كما يحق للمجلة التصرف في الأوراق البحثية - سواء ورقياً أم إلكترونياً- بعد النشر أو إعادة نشر تلك الأبحاث أو المشاركة في قواعد البيانات أو المواقع الإلكترونية دون الرجوع للمؤلف.

## ثانياً: قواعد كتابة الأبحاث بالمجلة

١. يُكتب البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word ويراعى فيه التالي:

- حجم الصفحة B5
- الأبحاث المُقدّمة باللغة العربية: تكون هوامش الصفحة ٢,٥ سم من كل الجوانب ماعدا الجانب الأيسر ٣ سم، والمسافة بين الأسطر مفرد ١ سم ونوع الخط Simplified Arabic.
- الأبحاث المُقدّمة بلغاتٍ أجنبية: تكون هوامش الصفحة ٢,٥ سم من كل الجوانب ماعدا الجانب الأيمن ٣ سم، والمسافة بين الأسطر مفرد ١ سم ونوع الخط Times New Roman.
- في جميع الأبحاث - سواء باللغة العربية أو الأجنبية - يكون بنط الخط 16 Bold للعنوان الرئيسي و14 Bold للعنوان الثانوي و13 Regular للمتن. أما الهوامش فنُكتب بخط Times New Roman بنط ١٠ والمسافة بين أسطر الهوامش مفرد (٠ سم).

٢. كتابة عنوان البحث واسم الباحث بالكامل ولقبه العلمي (الدرجة الوظيفية) والجهة التي يعمل بها أو الجامعة التي ينتمي إليها كباحث والإيميل الأكاديمي أو الخاص على الصفحة الأولى من البحث باللغتين العربية والإنجليزية.

٣. تقديم مستخلصات للبحث (Abstract) باللغة العربية والإنجليزية (من ١٥٠ إلى ٢٥٠ كلمة) في حالة الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أما في حالة الأبحاث المكتوبة بلغةٍ أجنبية فيشترط وجود مستخلص بلغة البحث وآخر باللغة العربية. ويجب كتابة الكلمات الرئيسية (المفتاحية) أسفل كل مستخلص باللغة المُستخدمة فيه (من ٣ إلى ٥ كلمات).

٤. وجود قائمة لمراجع ومصادر البحث في نهايته (مرتبة أبجدياً) تبعاً لنظام التوثيق APA.

٥. في حالة استخدام برنامج خارجي أو نوع خط مميز لإدراج الآيات أو الرموز القرآنية في ملف البحث، يُرجى كتابة اسم البرنامج أو الخط المُستخدم في حالة كونه غير شائع كي تتم قراءة هذه الآيات والرموز في ملف البحث المُرسَل بصيغة Word، وكذلك في

حالة استخدام نوع خط معين في كتابة الرموز الصوتية في أبحاث اللغات.

### ثالثاً: الإجراءات المتبعة لتقديم ونشر الأبحاث بالمجلة

١. يشترط تقديم تقرير عن فحص مؤشر التشابه (الانتحال) للبحث المُقدم للنشر في المجلة معتمد من الوحدة الرقمية بجامعة بورسعيد.
٢. يُرسل البحث إلكترونياً على موقع المجلة <https://jfpsu.journals.ekb.eg> بصيغة Word مع مراعاة أن تُرسل البيانات الشخصية للمؤلف في ملف مستقل (صفحة العنوان) عن ملف البحث (الملف الأصلي للمقال) الذي يجب ألا يتضمن اسم المؤلف أو ما يدل عليه.
٣. يقوم الباحث بسداد رسوم التحكيم للبحث كاملةً فور وروده للمجلة وقبل إرساله للمحكمين. تخضع المادة العلمية للأبحاث والدراسات المُقدمة للنشر إلى التحكيم العلمي السري (المعمي) وفقاً للنظام المتبع في المجلة من الأساتذة المتخصصين في مجال البحث.
٤. يعتبر البحث مقبول للنشر بعد إجازته من المحكمين وقيام الباحث بعمل كافة التعديلات المطلوبة من المحكمين (إن وُجدت)، ويخطر الباحث بذلك، كما يمكنه الحصول على إفادة رسمية بقبول البحث للنشر.

## مجلس تحرير المجلة

## \* رئيس التحرير:

عميد الكلية

أ.د. / بدر عبد العزيز بدر

## \* نائب رئيس التحرير:

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

أ.د. / أحمد إبراهيم صابر

## \* الأعضاء :

- أستاذ بقسم الاجتماع
- أستاذ بقسم اللغة العربية
- أستاذ بقسم علم النفس
- أستاذ بقسم الاجتماع
- أستاذ بقسم اللغة العربية
- أستاذ بقسم اللغة العربية
- أستاذ بقسم التاريخ
- أستاذ بقسم علم النفس
- أستاذ بقسم الجغرافيا
- أستاذ بقسم الآثار
- أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية
- أستاذ مساعد بقسم الفلسفة
- أ.د. / نادية عبد العال رضوان
- أ.د. / علي السيد يونس
- أ.د. / جبر محمد جبر
- أ.د. / محمود صادق سليمان
- أ.د. / ندا الحسينى ندا
- أ.د. / محمد سعد محمد
- أ.د. / عبير زكريا سليمان
- أ.د. / أحمد أبو زيد
- أ.د. / عبد السلام عبد الستار
- أ.د. / محمود سعد الجندي
- أ.د. / سيد صادق عوض الله
- أ.د. / وجدى خيرى نسيم

## \*سكرتير تحرير المجلة:

المدرس المساعد بقسم اللغة الإنجليزية

م.م / إيمان رؤوف محمد

## \* القائمون بالأعمال الإدارية والمالية بالمجلة :

- أمين الكلية
- رئيس قسم الحسابات
- قسم الدراسات العليا
- مشرف مالى وإداري
- مراجع مالى وإداري
- أمين الصندوق
- الأستاذ / محمد السوداني
- الأستاذة / ريفان إبراهيم نور
- الأستاذة / شيماء فتحي

## الهيئة الاستشارية للمجلة

- ١ أ.د/ ابتهاج أحمد كمال  
أستاذ اللغة الفرنسية- كلية الآداب- جامعة القاهرة.
- ٢ أ.د/ ابراهيم القادري بوتشيش  
اسماعيل- مكناس- المغرب.
- ٣ أ.د/ أريزا أرمادا المودينا  
أستاذ الدراسات الاندلسية - جامعة نيويورك- مدريد - إسبانيا.
- ٤ أ.د/ آمال أحمد العمري  
أستاذ الآثار والفنون الإسلامية- كلية الآثار- جامعة القاهرة.
- ٥ أ.د/ جبر محمد جبر  
أستاذ علم النفس الاكلينيكي- كلية الآداب- جامعة بورسعيد.
- ٦ أ.د/ جوسيبى اسكاتولين  
أستاذ الفلسفة الإسلامية- أكاديمية اللغة العربية بالقاهرة- جامعة غريغوريانا - روما- إيطاليا.
- ٧ أ.د/ حسنة شويل أحمد الغامدى  
قسم التاريخ والآثار- جامعة جدة - السعودية.
- ٨ أ.د/ خلود بنت محمد بن عايد الأحمدي  
قسم العلوم الاجتماعية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة طيبة-المدينة المنورة - السعودية.
- ٩ أ.د/ دراجو لوتسيانو  
قسم الجيومورفولوجيا ونظم المعلومات الجغرافية - كلية الجغرافيا - جامعة بابيش بولياى دين كلوج - رومانيا.
- ١٠ أ.د/ رأفت محمد النبراوي  
أستاذ المسكوكات الإسلامية- كلية الآثار-جامعة القاهرة.
- ١١ أ.د/ سعيد محمد غريدة  
مدير معهد التعاون الثقافى والدولى-جامعة السنوسى - ليبيا.
- ١٢ أ.د/ صابر أمين سيد دسوقي  
أستاذ الجيومورفولوجيا-كلية الآداب-جامعة بنها.

- ١٣ أ.د/ صالح بن محمد بوسليم  
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - جامعة  
غرداية- الجزائر .
- ١٤ أ.د/ طه حسين هديل  
المستشار الثقافى لسفارة اليمن فى مصر - قسم  
التاريخ - كلية التربية - جامعة عدن - اليمن .
- ١٥ أ.د/ عامر جادله أبوجيلة  
أستاذ التاريخ الإسلامى -كلية الآداب- جامعة  
مؤتة-الأردن .
- ١٦ أ.د/ عبدالقادر بوباية  
قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الانسانية  
والعلوم الإسلامية - جامعة وهران - الجزائر .
- ١٧ أ.د/ غيلان حمود غيلان  
أستاذ الآثار- كلية الآداب- جامعة صنعاء-  
اليمن .
- ١٨ أ.د/ محمد محمد عناني  
أستاذ اللغة الإنجليزية -كلية الآداب-جامعة  
القاهرة .
- ١٩ أ.د/ محمود السيد مراد  
أستاذ الفلسفة اليونانية-كلية الآداب-جامعة  
سوهاج .
- ٢٠ أ.د/ ياروسلاف دروبنى  
كلية الآداب- جامعة كومنيوس- سلوفاكيا .
- ٢١ أ.د/ يوسف حسن نوفل  
أستاذ اللغة العربية- كلية البنات- جامعة عين  
شمس .



## مجلة كلية الآداب آفاق رحبة للإبداع الإنساني

يعد البحث العلمي هو المدخل الحقيقي للتطور الحضاري والتموي والتويري. لذا، إيمانًا من الكلية بأهميته ودوره المحوري الرئيسي في تحقيق التنمية المستدامة، ولأنه في الوقت ذاته المُركّز الأساسي لبنية الجامعة في أصل وجودها؛ فلقد أصبح لزامًا عليها أن توليه أهمية كبرى. كما أن دور الكلية لا يقف عند مهام التدريس، وإعداد الطلاب بالمناهج الدراسية، وإنما دورها منبثق من رؤيتها الشاملة، والتي تقوم على تفعيل الكفاءات العلمية، وإثراء ميادين البحث الأكاديمي، بما يخدم فلسفة العلم، ويردد أصداءه في البيئة المحيطة.

فكان لابد من إصدار مجلة علمية محكمة، وفق الأسس والمعايير والضوابط الرئيسية المقررة لتعمل على تشجيع وحفز مَنَاشط البحث العلمي في مجالات علوم الإنسان كافة، وتطوير وإثراء كفاءة الأداء البحثي الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس بالكلية، وتفعيل فحوى رؤية الكلية ورسالتها المهمة والملهمة، وتقديم الجديد والآني في مَصَامير العلوم الإنسانية كافة، ورفع مستوى تصنيف الجامعة عالميا، وتطوير التعليم وضمان جودته. فأنتت مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد لتفتح آفاق رحبة للإبداع الإنساني.

وقد صدر العدد الأول من المجلة في يناير ٢٠١٣م، وتوالى صدور الأعداد على مدار التسع سنوات الماضية بشكلٍ نصف سنوي، مُشكّلةً قاعدة بيانات متكاملة في شتى المجالات اللغوية والإنسانية والاجتماعية، حتى رأت المجلة ضرورة تحديث تلك القاعدة بشكلٍ مستمر ومواكبة منارات البحث العلمي المستجد واستيعاب قدرٍ أكبر من الأوراق البحثية؛ فتغيرت طبيعة إصدار المجلة من نصف سنوية إلى ربع سنوية في عام ٢٠٢٢م بداية من العدد العشرين إصدار أبريل ٢٠٢٢م ليكون أولى أعداد المجلة التي يتم إصدارها بشكلٍ ربع سنوي، وتوالى إصدارات المجلة في شهري يوليو وأكتوبر حتى صدر العدد الحالي بين يد القارئ وهو العدد الثالث والعشرون إصدار يناير ٢٠٢٣م.

يصدر العدد الثالث والعشرون على ثلاثة أجزاء تضم كافة التخصصات التي تهتم بها المجلة. يضم الجزء الأول ثمانية أبحاث، منهم سبعة أبحاثٍ في تخصص اللغة

العربية وآدابها، وبحث في آداب اللغات الشرقية. ويضم الجزء الثاني تسعة أبحاثٍ، منهم ستة أبحاثٍ تتناول موضوعات متنوعة ومتخصصة في مختلف مجالات الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وثلاثة أبحاثٍ في شتى علوم الاجتماع والفلسفة. أما الجزء الثالث، فهو جزء أجنبي يتضمن ستة أبحاثٍ لغوية في تخصصي اللغة الإنجليزية والفرنسية وآدابهما، ويبحثن باللغة الإنجليزية في مجال الجغرافيا الطبيعية.

ونسأل الله تعالى أن تحقق البحوث العلمية المنشورة في المجلة الفائدة المرجوة، وأن تتبعها خطوات بحثية أوسع، وأعمق، وأكثر استشرافاً للغد القريب.

أ.د./ د. محمد العزیز بدر

عميد الكلية

ورئيس تحرير المجلة

أ.د./ أحمد إبراهيم حابر

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

ونائب رئيس تحرير المجلة

## فهرس الجزء الأول

م	البحث	الصفحات
<b>أولاً: تخصص اللغة العربية وآدابها</b>		
١	نصييا العامل والمالك من الثمار في عقد المساقاة (دراسة فقهية مقارنة بالقانون المدني) د. أحمد طلعت حامد سعد مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب، جامعة بورسعيد	٢٦-١
٢	التنصا والاقتباس في أدب الطفل قصص كامل كيلاني نموذجا أ.آية السيد شاكر حافظ أحمد باحثة ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب، جامعة بورسعيد	٥٥-٢٧
٣	الترجيح النحوي عند ابن فرحون ت٧٦٩هـ من خلال كتابه: (العدة في إعراب العمدة) أ.م.د. أيمن فتحي عبدالسلام زين أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد كلية دار العلوم، جامعة المنيا	١٠٩-٥٦
٤	الانتقادات اللغوية لمحمود شاكر علي المرزوقي في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف" دراسة استقرايية تحليلية الدكتور/ طلال بن خلف بن محفوظ الحساني أستاذ اللغة والنحو المساعد، قسم اللغة العربية كلية العلوم والآداب بالمنطق، جامعة الباحة المملكة العربية السعودية	١٦٧-١١٠
٥	اللغة المضادة- دراسة تطبيقية على أدب السجون أ.م.د. مروة مصطفى السيد أمين أستاذ الدراسات اللغوية المساعد بقسم اللغة العربية كلية الألسن، جامعة عين شمس	٢٠٠-١٦٨

٢٥٦-٢٠١	تداولية الطلب والرفض في التفاوض السياسي مراسلات الحسين- مكماهون نموذجاً د. نورهان عبدالرؤف أحمد مُدْرَسَة الدراسات اللغوية بقسم اللغة العربية كلية الألسن، جامعة عين شمس	٦
٢٨٦-٢٥٧	معجمات التراث العربي أحادية اللغة بحث في التصنيف المعجمي د. هالة جمال عبد الفتاح علي القاضي مدرس الدراسات اللغوية العربية كلية اللغات والترجمة، جامعة الأهرام الكندية	٧
<b>ثانياً: تخصص اللغات الشرقية</b>		
٣١٨-٢٨٧	فن رد العجز على الصدر في قصائد خواجو الكرمانى أ.م.د. عثمان محمود مهني محمد أستاذ مساعد الأدب الفارسى قسم اللغات الشرقية وآدابها كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ	٨

الجزء الأول



أولاً: تخصص اللغة العربية وآدابها





نصيبي العامل والمالك من الثمار في عقد المساقاة  
(دراسة فقهية مقارنة بالقانون المدني)

د. أحمد طلعت حامد سعد

مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

[ahmedthalat468@gmail.com](mailto:ahmedthalat468@gmail.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.150294.1212

## نصيبا العامل والمالك من الثمار في عقد المساقاة (دراسة فقهية مقارنة بالقانون المدني)

### مستخلص

هذا البحث يبين أهمية معرفة تقدير نصيبى العامل والمالك من الثمار فى عقد المساقاة "دراسة فقهية مقارنة بالقانون المدني"، ومعلوم أن العاقدين فى المساقاة، هما المالك للأرض، والعامل الذى يقوم على العمل مقابل بعض الخارج من الأرض، فالشجر يدفع إلى من يصلحه بجزء معلوم من ثمره، وإن مالك الأشجار قد لا يحسن تعهدها، أو ليس له القدرة على ذلك، ومن يحسن وله القدرة قد لا يملك أرضاً أو أشجاراً، فيحتاج المالك للعامل ويحتاج العامل للعمل، فيريح الطرفان، وتتحقق مصلحتهما بالكسب ومصلحة الناس بالإنتاج الزراعى الذى لا غنى عنه لأنه من أقوات الناس وأرزاقهم، وربما تعدى النفع إلى التصدير للخارج، لجلب العملات الأجنبية التى يحتاج لها الناس فى الاستيراد، فالبحث يتناول رأى الفقه الإسلامى والقانون فى تحديد حصة "نسبة" العامل والمالك من الثمار فى عقد المساقاة لتجنب النزاع بين الناس.

**الكلمات المفتاحية:** المساقاة، المالك، العامل، الفقه الإسلامى، القانون المدنى.

## Share of the Worker and the Owner of the Fruits in the Watering Contract: A Jurisprudential Study Compared to the Civil Law

Dr. Ahmed Talaat Hamed Saad  
Lecturer at the Department of Arabic  
Faculty of Arts, Port Said University

### Abstract

This research shows the importance of knowing the estimation of the share of the worker and the owner of the fruits in the watering contract "A jurisprudential study compared to the civil law". It is known that the two contracting parties in the water supply are the owner of the land, and the worker who works in return for some of the outside of the land, so the trees are paid to the one who repairs them with a known part of their fruit, and the owner of the trees may not be good at his maintenance, or he does not have the ability to do so. Whoever, Who improves and has the ability may not own land or trees, so the owner needs the worker, and the worker needs work, so both parties profit, and their interest is achieved by earning and the people's interest through agricultural production that is indispensable because it is the people's livelihood and livelihood, and perhaps the benefit exceeds exporting abroad, to bring in the foreign currencies that the people needs to import. The research deals with the opinion of Islamic jurisprudence and the law in determining the share of the "ratio" of the worker and the owner of the fruits in the water supply contract to avoid conflict between people.

**Keywords:** Watering, Owner, Worker, Islamic jurisprudence, Civil law.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:  
فإن تقدير نصيبى العامل والمالك فى عقد المساقاة من أهم المسائل الفقهية والقانونية فى هذا العقد الضرورى بين الناس.  
وقد كتبت البحث معتمداً على المراجع الأصيلة، والأبحاث المعاصرة، قدر المستطاع.

وقد جاء البحث فى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نصيبا المالك والعامل فى الفقه الإسلامى.

المطلب الثانى: نصيبا المالك والعامل فى القانون المدنى.

المطلب الثالث: المقارنة بين الفقه الإسلامى والقانون المدنى.

ثم جاءت الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات ثم فهرس للموضوعات وفهرس للمراجع.

**أهمية الموضوع:** عقد المساقاة من أهم العقود التى تنتشر فى البيئة الزراعية، ولا غنى للإنسان عن الغذاء، وقد جاء فقه عقد المساقاة لينظم العلاقة بين مالك الأرض والعامل الذى يقوم بالعمل وإصلاح الأشجار وسقيها لكى يتحقق أكبر محصول ممكن من الثمار، وحصتا كل من المالك والعامل يجب أن تكونا معلومتين لرفع النزاع.

**أسباب اختيار الموضوع:** ينتشر فى الريف المصرى خاصة والريف فى البلاد الإسلامية عدة أشكال من التعامل بين المالك والعامل، فقد يكون المالك عنده الأرض والأشجار ولكن لا يقوى أو لا يحسن العمل، فى حين أن العامل قد يكون لديه القوة والخبرة الكافية ولكنه لا يملك أرضاً أو شجراً، فجاء عقد المساقاة لمصلحة الطرفين، وبما أنه قد ينحرف العقد المبرم بين المالك والعامل عن القواعد الفقهية الصحيحة أو مقاصد الشريعة الإسلامية فيترتب على ذلك فساد وخلل فى العقد مما يؤدى إلا بطلانه، ولذلك جاء هذا البحث لدراسة أهم مسألة فى عقد المساقاة وهى: تحديد حصتى كل من العامل والمالك، مع الرجوع للقانون المدنى بمصر للوقوف على رأى القانون فى هذه المسألة بالغة الأهمية لرفع النزاع بين المالك والعامل متى وجد.

**المشكلات والصعوبات:** عقد المساقاة لا يحظى بالدراسات الكافية في العصر الحديث نظرًا لانشغال أغلب الباحثين في فقه المعاملات بالمعاملات الحديثة، كالائتمان والبنوك ومعاملات البورصة والأسهم والسندات، وقد رأيت أهمية هذا العقد وهو عقد المساقاة؛ لأنه لا غنى للإنسان عن الطعام، فاستعنت بالله ورجعت إلى كتب التراث الأصيلة والمعاصرة كذلك، ومواد القانون المدني وشروحها، وقد يسر الله تعالى هذا البحث.

**الدراسات السابقة:** تناولت كثير من كتب التراث في الفقه الإسلامي، عقد المساقاة من حيث: المشروعية والأركان وصفة العقد والشروط وأحكام المساقاة الصحيحة والمساقاة الفاسدة، وانتهاء عقد المساقاة وحالات الفسخ، كما تناولها الدارسون المعاصرون الذين يتعرضون لهذه المسألة في الأطروحات العلمية المعاصرة غالبًا.

أما عن القانون فهذه المسألة موجودة في القانون المدني في المواد (٣٩٦ . ٦١٩ . ٦٢٠ . ٦٢٤)؛ وقد نصت المادة ٦٢٠ صراحة على سريان أحكام الشريعة الإسلامية، وبناء عليه تناول شرح كتب القانون هذه المواد بالبيان والشرح، كما تناولها الدارسون الذين يتعرضون لهذه المواد، وتأتي هذه الدراسة للمقارنة بين الفقه الإسلامي، والقانون.

**منهج الدراسة:** هو المنهج التحليلي المقارن.

## تمهيد

زراعة الأرض من أهم الأنشطة الاقتصادية التي يحتاج إليها الإنسان على وجه الأرض، فمن ضرورات الحياة لدى الإنسان المأكل والملبس والمسكن، وأكثرها ضرورة هو المأكل؛ إذ لا حياة بدون الطعام، ولذلك رَغِبَت الشريعة الإسلامية في الزراعة وحثَّت عليها، فيرى ابن حزم أن إكثار الزراعة طيب ويؤجر صاحبها، بشرط عدم الانشغال عن سبيل الله في الجهاد، والزراعة في أى أرض كانت من أراضى العرب أو الأراضى التي عليها تم إسلام أهلها أو أراضى الصلح، أو أراضى العنوة التي قسمت بين أهلها، أو التي أوقفت عن طيب نفس ووضعت للمسلمين في مصالحهم<sup>(١)</sup>.

وقد يذكر نصيب العامل ويسكت عن نصيب صاحب الأرض أو الشجر، فلا بأس لأن الثمار بينهما، فيكون المسكوت عنه للطرف الآخر.

ونظرًا لأن الفقه الإسلامى يرجع إليه المسلمون فى كافة معاملاتهم، ونظرًا لوجود القانون المدنى، فقد بدأت بالفقه الإسلامى، ثم القانون المدنى، ثم قمت بالمقارنة بينهما.

(١) يراجع: المحلى للإمام على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) - ٢١٠/٨ - تحقيق: أحمد محمد شاكر - دار التراث.

## المطلب الأول: نصيبا المالك والعامل في عقد المساقاة في الفقه الإسلامي:

أسقاه في اللغة: دله على الماء، أو سقى الماشية أو الأرض أو كليهما<sup>(١)</sup>، و«السقاية: الإناء يسقى به، وفي الكتاب العزيز: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه﴾<sup>(٢)</sup>»، وجاء في المصباح المنير: «سقيت الزرع سقيًا... ويقال للقناة الصغيرة: ساقية؛ لأنها تسقى الأرض... والاستسقاء: طلب السقى، مثل الاستمطار لطلب المطر»<sup>(٣)</sup>.

والمساقاة في الاصطلاح: «دفع شجر مغروس لمن يقوم بمصالحه بجزء من ثمره»<sup>(٤)</sup>، ويبين الخطيب الشربيني أصل الكلمة وسبب التسمية، أنها تؤخذ من السقى . بالسين المفتوحة والقاف الساكنة . فالزرع محتاج إلى الماء خاصة بالحجاز فالسقى عندهم بالآبار؛ فهو أنفع أعمالها ومؤنتها كثيرة<sup>(٥)</sup>.

ويبين الإمام التنوخي الحنبلي أنه في المساقاة: يقوم الرجل بتسليم الشجر الذي يملكه إلى رجل آخر فيسقيه ويعمل كل احتياجاته، بنصيب معلوم من الثمار، وسبب تسميتها المساقاة أنها مفاعلة من السقى؛ فأهل الحجاز يحتاجون إلى السقى كثيرًا؛ فهم يسقون من خلال الآبار... ويجوز عقد المساقاة في النخل، وأى شجر فيه ثمر يؤكل مقابل بعض ثمرته»<sup>(٦)</sup>.

ويرى الإمام البهوتي أن المساقاة من السقى؛ فالسقى أهم الأمور بالحجاز، وهي أن يدفع شجرًا ذا ثمر يؤكل ولو كان لم يغرَس بعد إلى شخص آخر ليعمل على سقيه وكل

(١) يراجع: القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) - مادة [س ق ي] - ص

١٦٧١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) سورة يوسف، من الآية ٧٠.

(٣) معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي - تأليف: سائر بصره جى - مادة [س ق ي] - ص ٣١٧ - صفحات للدراسات والنشر - ٢٠٠٩ م.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - تأليف أحمد بن محمد بن علي الفُقرى الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) - مادة [س ق ي] - ص ١٠٧ - المكتبة العلمية - بيروت - (د . ت).

(٥) انظر: نيل المأرب بشرح دليل الطالب، للشيخ عبد القادر بن عمر الشيباني، ص ٢٢٨ - الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٦) يراجع: مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، للإمام محمد الشربيني الخطيب - ٣٢٢/٢ - طبعة الحلبي - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

(٧) الممتع في شرح المقنع، للإمام زين الدين المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى التنوخي الحنبلي (ت: ٦٩٥ هـ) - ٧٣١/٢ - دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش - مكتبة الأسدى - مكة المكرمة - الطبعة الثالثة - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٣٣ م.

الذى يحتاجه، مقابل نصيب معلوم من الثمار<sup>(١)</sup>، وتجوز المساقاة فى شجر ذى ثمر مأكول سواء أكان نخلا أم غيره.

ويرى الإمام الزيلعى أن المساقاة: عبارة عن تعاقد يتم فيه تسليم الشجر إلى شخص يعمل فيها مقابل أن الثمار بينهما؛ بحسب العرف<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالمساقاة هى: تسليم الأشجار إلى من يصلحها بتتقية السواقي وإجراء عملية السقى وحراسة الأشجار وغيرها مقابل نسبة شائعة من الثمار؛ وهذا مما يخرج من الأشجار سواء أكانت من الرطب أم غير ذلك، وذلك بقوله: سلّمت لك هذا النخيل . على سبيل المثال . مساقاةً مقابل كذا، ويكون قول المساقى: بالقبول، فالركنان: إيجاب وقبول<sup>(٣)</sup>.

إن كون نسبة العامل على سبيل المشاع فيه مصلح؛ منها: أن يظهر الاجتهاد فى العمل، وتجنب الغرر، والاقتراب من العدل<sup>(٤)</sup>.

ويستدل على مشروعية عقد المساقاة بما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر أن: {النبي صلى الله عليه وسلم عامل خبير بِشَطْرِ ما يخرج منها من ثمر أو زرع}<sup>(٥)</sup>.

ويبين الإمام البغوى فى شرح السنة تعليقاً على قوله "ولهم شطر ما يخرج منها" وعلى "شطر ثمرها": أن فيه دليلاً على أن صاحب الأرض إذا وضّح حصته، أو فى المضاربة، وضّح صاحب المال حصته، يكون ما تبقى للعامل، كما لو وضّح حصة العامل يكون الباقي لصاحب الأرض والمال، وقال بعض العلماء: إذا وضّح نصيب نفسه، لم يكن للعامل الباقي، ولا يكون صحيحاً حتى يوضح نصيب العامل<sup>(٦)</sup>.

(١) يراجع: الروض المربع بشرح زاد المستقنع، للشيخ منصور البهوتى (ت ١٠٥١ هـ) - ص ٣٠٠ - مكتبة دار التراث - القاهرة..

(٢) يراجع: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، تأليف: عثمان بن على الزيلعى الحنفى (ت ٧٤٣ هـ) - ٢٨٤/٥ - المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق القاهرة - الطبعة الأولى: ١٣١٣ هـ.

(٣) تراجع: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن على بن القاضى الحنفى التهانوى (توفى بعد: ١١٥٨) - ١٥٢٦/٢ - تحقيق: د/ على دحروج - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - الطبعة الأولى: ١٩٩٦.

(٤) يراجع: (العقود المضافة إلى مثلها، تأليف: عبد الله بن عمر بن حسين بن طاهر - ١٠٥/١ - دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م)، وإن كان المؤلف يتناول عقد المزارعة إلا أن من الأمور المتشابهة بين عقد المزارعة وعقد المساقاة مسألة أن تكون الحصة من المشاع وليس تحديد شجر معين فى المساقاة أو قطعة أرض معينة فى المزارعة، وإلا اجتهد العامل فيما يخصه أكثر مما لا يخصه.

(٥) أخرجه البخارى، فى كتاب الوكالة، باب المزارعة بالشرط ونحوه، (صحيح البخارى - للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦ هـ) - ٣١/٢ - طبعة الحلبي - ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م).

(٦) يراجع: شرح السنة، للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى (ت: ٥١٠ هـ) - ٢٦١/٨ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامى - دمشق - بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.



على هذا الكلام فإن الرأى الأول سبيل معرفته مفهوم الخطاب وفحواه وليس من نطقه<sup>(١)</sup>، وهو ما يدل عليه اللفظ، فإذا كان الكلام يخص اثنين، وتحدد حصة لأحدهما فاللفظ يدل على أن الباقي للآخر وإن لم ينص على ذلك صراحة، والرأى الثانى أكثر تحديداً ورفعاً للخلاف.

ويبين الخطيب الشربيني فى المساقاة أن الاحتياج يدعو لها؛ فصاحب الشجر ربما لا يستطيع التفرغ لها أو التعاهد، والذى يستطيع ربما لا يستحوذ على شجر، فيطلب الأول من يستعمله، ويطلب الثانى أن يعمل، ولو أجر صاحب الشجر فعليه أن يدفع المال مباشرة، وربما لا تثمر الحديقة، بالإضافة إلى تهاون من يستأجره، فكانت المصلحة فى جواز المساقاة<sup>(٢)</sup>.

إن العامل فى عقد المساقاة عليه تكاليف؛ فعليه أن بسقى وما يتبع ذلك من أعمال، وكل ما تحتاجه الأشجار لصلاح وزيادة الثمر، وهذا ينحصر فى المقصد من المساقاة، ولكن لا يُكَلَّفُ أعمالاً ليست من أعمال المساقاة<sup>(٣)</sup>.

ويرى الإمام محمد بن الحسن الشيبانى أنه فى حالة أن يدفع شخص إلى شخص نخلا يملكه معاملة بغرض القيام عليه والسقى والتلقيح، فالذى يخرج الله تعالى من الثمار يكون مناصفة بينهما، فهو يجوز<sup>(٤)</sup>.

وجاء فى نيل المأرب: «وأن يشترط للعامل جزء مشاع معلوم من ثمره»<sup>(٥)</sup>.

إن المقصد فى عقد المساقاة هو الثمرة، فالمالك والعامل ينتظران الثمرة، ولذلك «يعتبر ضرب مدة معلومة تكتمل فى مثلها الثمرة»<sup>(٦)</sup>، فلو افترضنا أن العامل بدأ العمل فى

(١) يراجع: العدة فى أصول الفقه، للقاضى أبى يعلى محمد بين الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء (ت: ٤٥٨هـ) - ٤٨٠/٢ - تحقيق: الدكتور أحمد بن على - كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الثانية - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، للإمام عبد القادر بن بدران (ت: ١٣٤٦هـ) - ١٣٤/١ - تحقيق: محمد أمين - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) يراجع: معنى المحتاج، ٣٢٢/٢ - ٣٢٣.

(٣) يراجع: التدريب فى الفقه الشافعى المسمى "تدريب المبتدى وتذهيب المنتهى"، ومعه "تممة التدريب" لعلم الدين صالح بن الشيخ سراج الدين البلقىنى الشافعى - ٢١٩/٢ - تحقيق: نشأت بن كمال المصرى - دار القبلىين - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٤) يراجع: الأصل، للإمام أبى عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى (ت: ١٨٩هـ) - ٥٧٣/٩ - تحقيق الدكتور: محمد بويونكالن - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٥) نيل المأرب بشرح دليل الطالب، ص ٢٢٨.

(٦) كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع، لعلاء الدين على بن سليمان المرادوى، تأليف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج (ت: ٧٦٣هـ) - ١٢٠/٧ - تحقيق: عبد الله بن المحسن التركى - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

الشتاء، وموعد الثمرة آخر الصيف وكانت مدة العقد لأول الصيف، لما أدرك العامل نصيبه في الثمرة، وتصبح الثمار كلها للمالك لأنه صاحب الأرض والثمار في حوزته، وكان هذا ظلماً يقع على العامل؛ ولذلك جاء التنبيه على مدة معلومة تكتمل فيها الثمرة.

أما عن النسبة ففي المذهب الشافعي رأيان، رأى . وهو الأصح . : أنه لا يشترط تساوى الجزء المشروط من الثمر، والثاني: يشترط؛ لأن التفاضل يزيل التبعية<sup>(١)</sup>. وإننى أرى أن اشتراط التساوى قد يكون غير عادل؛ لأن قيمة الأرض الزراعية فى عصرنا أصبحت مرتفعة نظراً لتزايد عدد السكان وقلة الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة وما يلزم من خصوبة الأرض وتوفر مصدر المياه والطرق، فقد يكون المحصول ثمنه مرتفعاً جداً بملايين الجنيهات، فلا نشترط أن يشاطر العامل المالك الثمار، خاصة أنه قد يكون عمل العامل عدة أشهر فى السنة، ولذلك الأولى عندى عدم اشتراط التساوى، ويترك ذلك للاتفاق والتراضى بحسب ما يتعارف الناس عليه فى كل بلد.

وهل يجوز أن تكون الثمرة كلها للعامل؟ يبين ابن رشد: أن الإجماع قائم بأن المساقاة جائزة بجميع ما يتفقان عليه فى أجزاء الثمار، فمالكٌ يجيز كون الثمار كاملة للعامل كراهيه فى القراض، وقيل: هذا منحة ليست مساقاة، وقد قيل: بعدم الجواز<sup>(٢)</sup>.

والشافعية يرون من شروط عقد المساقاة أن تخصص الثمار لهما؛ يعنى للمالك وللعامل، وجائز أن يشترط أن تكون بعض الثمار لغيرهما، وينبغى أن يشتركا فى الثمار، فغير جائز أن يستحوذ أحدهما على كل الثمار، وينبغى أن يعلم كل واحد نصيبه بالجزئية وإن كان قليلاً مثل جزء من ألف<sup>(٣)</sup>.

ومن شروط عقد المساقاة أن يكون العوض من الثمر، وليس بدراهم، كما بين الخطيب الشربيني: أنه لا يجوز أن يكون العوض من غير الثمار، فلو كانت المساقاة مقابل الدراهم أو غيرها لم يكن عقد مساقاة ولا عقد إيجار، ولكن إذا كان هناك تفصيل لأعمال معلومة فيجوز<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مغنى المحتاج، ٣٢٥/٢.

(٢) يراجع: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، الشهير "بابن رشد الحفيد" (ت٥٩٥هـ) - ١٨٧/٢ - طبعة دار الفكر.

(٣) يراجع: مغنى المحتاج، ٣٢٦/٢.

(٤) يراجع: السابق، ٣٢٦/٢.

وللمساقاة أعمال معلومة عرفاً؛ فيشترط لصحتها أن المالك لا يشترط في العقد على العامل أشياء ليست من جنس أعمال المساقاة والتي جرى العرف أنها ليست على العامل مثل حفر البئر، فلو اشترط ذلك فلا يجوز العقد؛ فهو استتجار مقابل عوض مجهول وهو اشتراط عقد داخل عقد<sup>(١)</sup>.

وينبغي أن يكون العمل كله على العامل، وإن اشترط العامل أن يعمل مساعد في الحوائج لنفسه أو استتجار من يعاونه مقابل جزء من الثمار أو من غير ذلك من أموال المالك لم يجز العقد، أما في الحالة الأولى فواضح، وأما في الحالة الثانية: فلأن مسألة المساقاة أن يتحمل العامل الأعمال ومؤونها، أما إذا كانت الأجرة من أموال العامل فإن المساقاة تجوز<sup>(٢)</sup>.

إن لعقد المساقاة أركاناً خمسة هي: العاقدان ومورد المساقاة "ما له ثمر مأكول من الشجر" والثمار، والعمل والصيغة؛ فبين الدكتور وهبة الزحيلي الركن الثالث وهو الثمار: فيشترط فيه اختصاص الثمار بالمتعاقدين "العامل والمالك"، فلا يصح اشتراط بعض الثمار لغيرهما، بل اشتراكهما فيها، فلا يصح اشتراط الثمار كلها لأحدهما، والعلم بنصيب كل منهما من الشروط وذلك بالأجزاء فيها وإن كان النصيب قليلاً وتكون الحصة على المشاع مثل المضاربة<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: إقالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، فقال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة ونشركم في الثمرة، فقالوا: سمعنا وأطعنا<sup>(٤)</sup>. ومما ورد في فقه هذا الحديث، ما ورد في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، «قال ابن حجر: ... ويكون المتحصل من الثمرة مشتركاً بيننا وبينكم، وهذه عين المساقاة، لكن لم يبينوا مقدار الأنصبة التي وقعت، والمقرر أن الشركة إذا أبهمت ولم يكن فيها جزء معلوم كانت نصفين أو كان نصيب العامل في

(١) يراجع: السابق، ٣٢٧/٢.

(٢) يراجع: السابق، ٣٢٧/٢.

(٣) يراجع الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي - ٤٧١١/٦ - دار الفكر - دمشق - الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب الوكالة، باب: "إذا قال: اكفني مؤنة النخل أو غيره وتشركني في الثمر" (صحيح البخاري، ٣١/٢).

المساقاة معلومًا بالعرف المنضبط، فتركوا النص اعتمادًا على العرف»<sup>(١)</sup>.

وقد بين صاحب مصابيح الجامع: أن غاية الأمر أنهم لم يحددوا قدر الأنصبة التي اشتركوا عليها، وهي واقعة عين، فالاحتمال أنه وقعت تسمية الأنصبة، والراوى لم يوردها باللفظ، أو أن حصة العامل معلومة في عقد المساقاة لديهم بعرف منضبط، فترك النص عليه بالاعتماد على العرف<sup>(٢)</sup>.

إن العرف في تحديد نصيبى العامل والمالك له اعتباره، فلو قال: ساقيتك على هذه النخيل سنة، ولم يذكر قدر نصيبه، فإنه يجوز وتكون الثمرة نصفين حَمَلًا على عرف الناس فى المساقاة<sup>(٣)</sup>.

فى عقد المساقاة يكون نماء الشجر وإثماره متأخرًا عن العمل، فالعامل يبدأ العمل ويتأخر نصيبه لحين الإثمار، ومن شروط صحة عقد المساقاة عند الإمام الماوردى: كون حصة العامل من الثمار معلومة بجزء على المشاع فيها، سواء أكان نصفًا، أم ربعًا، أم عشراً، أم غير ذلك، قليلاً أم كثيرًا كعقد المضاربة، وفى حالة جهل النصيب بأن يقال: خذ ما يرضيك أو ما يكفيك أو كان بحكم الحاكم، لم يصح، وكذلك لو اتفقا على المائة من الأصع مثلاً بالتحديد فى المساقاة كان ذلك غير جائز للجهالة من مجموع الثمار، فربما كان ذلك كل ما تنتجه الأشجار أو كان ذلك قدرًا بسيطًا من جملة الثمار<sup>(٤)</sup>.

ما سبق كان من الفقه الشافعى، وقريب منه عند الحنابلة ما بيّنه الإمام الحجاوى: أن من شروط جواز المساقاة: أن تُقدَّر حصة العامل بنصيب من الثمار، كثلثها وربعها، فلو اتفقا أنه للعامل الجزء من مائة جزء أو جزء للمالك وما تبقى للعامل، فإنه يجوز، بشرط

(١) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى، تأليف: أحمد بن محمد القسطلانى (ت ٩٢٣هـ) - ١٧٥/٤ - المطبعة الكبرى الأميرية - مصر - الطبعة السابعة - ١٣٢٣هـ، (ويلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم أشفق على الأنصار برفضه قسمة النخل حتى لا يفرطوا فى جزء أملاكهم وإن كان الأنصار مستعدين لذلك حبًا فى الدين والرسول والمهاجرين، فاقترح الأنصار عقد المساقاة ليستفيد المهاجرون والأنصار وتتحقق المصلحة) انظر: السابق، ١٧٥/٤؛ وانظر: الكوثر الجارى إلى رياض أحاديث البخارى، للإمام أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكورانى الشافعى تم الحنفى (ت ٨٩٣هـ) - ٤١/٥، تحقيق: أحمد عزو عناية - دار إحياء التراث العربى - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. وقد ورد بالصفحة نفسها واستدل به الشافعى على أنه إذا لم يبين كمية نصيب العامل يكون مناصفة بينهما.

(٢) يراجع: مصابيح الجامع، للإمام محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر، بدر الدين، المعروف بالدمامىنى (ت ٨٢٧هـ) - ٢٢٧/٥ - تحقيق: نور الدين طالب - دار النوادر سوريا - الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٣) انظر: بحر المذهب فى فروع المذهب الشافعى، للإمام أبى المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرويانى (ت ٥٠٢هـ) - ١٢٢/٧ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(٤) يراجع: الحاوى فى فقه الشافعى، للإمام على بن محمد بن محمد، الشهير بالماوردى (ت ٤٥٠هـ) - ٣٦٠/٧ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

أن لا تكون حيلة . أما لو حدد له أصعًا محددة أو دراهم أو أضافها إلى الجزء المحدد فإنها تفسد، ومثل ذلك لو اشترط له ثمارًا بعينها، وإن أعطاه ثمار عام غير العام الذي ساقاه عليه فيه أو ثمار غير الأشجار التي ساقاه عليها أو أعمالا في غير الأشجار التي ساقاه عليها، أو أعمالا في غير العام فسدت المساقاة.<sup>(١)</sup>

إن المساقاة إذا كانت على بستان يحتوى على جنس واحد من الثمار، كالتمر، الذى يثمر من النخل، والعنب الذى يثمر من كرمات العنب أو التين أو الزيتون أو غير ذلك، والأرض كلها تحتوى على جنس واحد، واتفق المالك والعامل على نصيب كل منهما بالشروط المقررة جاز، وإن كان فى الحديقة أشجار من أجناس مختلفة؛ كالتين والزيتون والعنب، فكان الشرط للعامل قدرًا من كل جنس؛ كنصف ثمار التين وثلث ثمار الزيتون وربع ثمار العنب، أو كان يوجد من جنس أنواع فشرط من كل نوع مقدارًا والمالك والعامل يعرفان مقدار كل نوع فإنه يصح<sup>(٢)</sup>، وقد يكون هذا لاختلاف مقدار المجهود المبذول فى كل جنس من الأشجار، أو أنواع فى جنس واحد، والجنس أشجار مختلفة كالتين والعنب والزيتون والرمان والتمر، أما الأنواع فتكون فى جنس واحد كجنس النخل، فمنه البرحي والشكري والمجدول والزلغول والسمانى ....

وكثيرًا ما نجد أن يعمل العامل لدى بستان لشريكين، فإن كانت الحديقة يملكها اثنان فساقيا عليها عاملا واحدًا بحيث يكون له نصف نصيب الأول وثلث نصيب الثانى، والعامل يعلم ملك كل واحد من الاثنين، صح<sup>(٣)</sup>.

وقد يتفق المالك مع العامل على المساقاة عدة سنوات ويختلف نصيب العامل من سنة إلى أخرى، فلو «ساقاه على بستانه ثلاث سنين على أن له فى السنة الأولى: النصف، وفى الثانية: الثلث، وفى الثالثة: الربع، صح»<sup>(٤)</sup>، وأهل الخبرة يعرفون أن الأشجار الحديثة قليلة الإنتاج لصغر حجمها، فربما يعمل العامل فى السنة الأولى، والإنتاج قليل، فيزيد

(١) إراجع: الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل، تأليف أبى النجا شرف الدين موسى الحجاوى المقدسى (ت ٩٦٨هـ) - ٢٧٥/٢ - ٢٧٦ - تصحيح وتعليق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي - دار المعرفة - بيروت. هذا ولا تجوز المساقاة إلا على أشجار معلومة بالصفة التى لا تؤدى للخلاف أو بالرؤية، كالبيع، فإن ساقاه على حديقة لم يرها ولم توصف له أو على أحد هذين البستانين لم تصح، وتصح على ما يرتوى بعلا، كالسقى، وقال المحقق: البعل: هو الذى يمتص من الأرض من غير احتياج إلى سقاية. (انظر: السابق، ٢٧٦/٢).

(٢) إراجع: السابق، ٢٧٦/٢.

(٣) إراجع: السابق، ٢٧٦/٢.

(٤) السابق، ٢٧٦/٢.

المالك نسبة العامل، أما السنوات المتتالية، فيزيد نمو الأشجار وتكثر الأغصان فتزداد الثمار، فلو خفض المالك نسبة العامل مع زيادة الإنتاج لحصل العامل على نصيب يرضيه.

وجاء في الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان أنه: «يشترط لصحة المساقاة أن يكون الشجر المسقى له ثمر يؤكل؛ فلا على شجر لا ثمر له، أو له ثمر لا يؤكل»<sup>(١)</sup>. ويرى الشيخ الفوزان أنه من شروط المساقاة: أن يقدر سهم المالك أو العامل بجزء مشاع معلوم من الثمار، كالربع والثلث، مهما كان الجزء المشروط قليلاً أو كثيراً، فلو شرط المالك والعامل كل الثمار لأحدهما فلا يجوز؛ لاختصاص واحد منهما بالغلة، أو شرطاً أصغراً محددة من الثمار؛ كعشرة أو عشرين صاعاً فلا يجوز؛ لأنه قد لا يحصل هذا فيستحوذ بهذا الذي شرط له دون الثاني<sup>(٢)</sup>.

أما عن شرط الدراهم "أو ما يعادلها حسب العملات لكل بلد" فيقول الشيخ الفوزان: «وكذا لو شرط دراهم معينة لم تصح؛ لأنه قد لا يحصل من الغلة ما يساويها»<sup>(٣)</sup>. أما عن تحديد أشجار معينة، فلو شرط لأحدهما ثمار شجرة محددة أو أشجار محددة، فلا تجوز المساقاة؛ لأنه قد لا تثمر من الأشجار غير تلك المحددة، فيستحوذ على الغلة أحدهما دون الآخر، أو لا تثمر هذه الشجرة أو الأشجار المحددة، فلا يأخذ المشروط له بهذا العقد ويحصل الضرر والغرر<sup>(٤)</sup>.

وعن مدة العقد فإنه «لا بد من تحديد مدتها ولو طالمت، مع بقاء الشجر»<sup>(٥)</sup>، وأما واجبات كل من العامل والمالك فإنه يلزم العامل أن يقوم بكل ما ينفع الثمار كالحرث والسقي، ورفع ما يضر الأشجار والثمار من الأغصان، وإجراء عملية التلقيح للنخل والتجفيف للثمار، وأن يصلح قنوات الماء وأن توزع على الأشجار. وعلى مالك الأشجار عمل كل ما يحفظ الأشجار، كتوفير مصادر الري من آبار وغير ذلك، وبناء الأسوار،

(١) الملخص الفقهي، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان - ٢٤١/٢ - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) يراجع: السابق، ١٤١/٢.

(٣) السابق، ١٤١/٢.

(٤) يراجع: السابق، ١٤١/٢.

(٥) السابق، ١٤١/٢.

وعلى المالك توفير السماد وكل ما يقوى الأشجار ويزيد المحصول<sup>(١)</sup>. ويرى صاحب الشرح الكبير: أنه من شروط صحة عقد المساقاة: أن تقدر حصة العامل بجزء محدد من الثمار، مثل الثلث والرابع؛ وهذا لحديث ابن عمر في خير<sup>(٢)</sup>، وسواء كثر الجزء أو قل، فلو كان للعامل سهم من مائة سهم، أو قسم الجزء لنفسه وجعل الباقي للعامل فإنه يجوز، إذا لم يكن هذا بنية الحيلة، فإن اتفقا على جزء منهم كالنصيب والجزء والسهم لم يصح؛ لأنه إذا لم يكن محددًا يُعْلَمُ لا يتمكنون من القسمة بينهما<sup>(٣)</sup>، من هذا نستنتج أنه لا حد لمقدار النصيب لكل منهما قل أو كثر، ولكن العبرة بالتحديد، والمعرفة النافية للجهالة حتى لا تحدث النزاعات والخصومات. وجاء في الشرح أيضًا: «ولو جعل له أصعًا معلومة، أو جعل مع الجزء المعلوم أصعًا، لم يجز؛ لأنه ربما لم يحصل ذلك، أو لم يحصل غيره، فيستضر رب الشجر، أو يكثر الحاصل، فيتضرر العامل، وكذلك إن شرط له ثمر شجر بعينه؛ لأنه قد لا يحمل، وقد لا يحمل غيرها»<sup>(٤)</sup>، يعنى تحديد النسبة يكون على المشاع، والمساقاة في حقيقتها عقد على العمل ببعض الخارج، فهي دفع الشجر إلى من يصلحه بجزء معلوم من الثمرة<sup>(٥)</sup>، فالثمرة بين صاحب الشجر والعامل بنسبة معلومة.

كما ينبغي التنبيه على أن نصيب العمل ليس من ثمار خارج البستان، إذ «لا بد أن يكون نصيب العمل من المساقى عليه»<sup>(٦)</sup>، كما أنه «لا بد أن يكون مشاعًا»<sup>(٧)</sup>.

وجاءت مسألة في الشرح الكبير أنه إن «فسخ بعد ظهور الثمرة فهي بينهما، وإن فسخ قبله، فهل للعامل أجر؟ على وجهين»<sup>(٨)</sup>، فإذا ظهرت الثمرة تحقق المقصود من العقد وهو الثمرة التي تقسم بين المالك والعامل بحسب النسبة، أما إذا فسخت قبل ظهور الثمرة فاستحقاق العامل للأجرة على وجهين عند الحنابلة، وإن كنت أرجح وجه استحقاق العامل

(١) يراجع: السابق، ١٤١/٢ - ١٤٢.

(٢) سبق تخريجه، وهو صحيح.

(٣) يراجع: الشرح الكبير على المقنع، للإمام شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢هـ) - ١٩٦/١٤ - تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور: عبد الفتاح محمد الحلو - طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤) السابق، ١٩٦/١٤

(٥) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ٤٧٠٤/٦.

(٦) الممتع في شرح المقنع، ٧٣١/٢.

(٧) السابق، ٧٣١/٢.

(٨) الشرح الكبير على المقنع، ٢٠٩/١٤.

للأجرة، أعنى أجرة المثل، لما بذله من جهد وأسهم هذا الجهد في ظهور الثمرة فيما بعد. ويبطل عقد المساقاة بالموت عند الحنفية<sup>(١)</sup>؛ لأنها في معنى الإجارة، ولكن يباشر العامل رعاية الشجر لحين الحصاد، فقد جاء في تبيين الحقائق: «وتبطل بالموت؛ لأنها في معنى الإجارة كالمزارعة... فإن مات رب الأرض والخارج بسر<sup>(٢)</sup>. فللعامل أن يقوم عليه كما كان يقوم قبل ذلك إلى أن يدرك الثمر، وليس لورثته أن يمنعه من ذلك استحساناً كما في المزارعة؛ لأن في منعه إلحاق الضرر به، فيبقى العقد دفعاً للضرر عنه ولا ضرر على الورثة»<sup>(٣)</sup>.

أما المالكية فالمساقاة «عند مالك عقد موروث»<sup>(٤)</sup>.

ومن الفقهاء المعاصرين الدكتور وهبة الزحيلي؛ حيث يرى أنه لا يفسخ عقد المساقاة بسبب موت العامل، فلو مات العامل فإن ورثته يقومون مقامه في العمل والملك؛ فهو حق ثابت للذي مات وعليه، فكان لوارثه، فإن رفض الوارث أن يعمل ويأخذ، لا يجبر، ويقوم الحاكم باستئجار من يعمل من التركة، فإن كان ليس له تركة أو إن الاستئجار تعذر منها، فإنه يباع من نصيب العامل ما يحتاج لإكمال العمل واستؤجر من يعمله<sup>(٥)</sup>. ويمكن الجمع بين رأى الحنفية ورأى الدكتور وهبة الزحيلي، بإمهال العامل حتى يدرك اكتمال نمو الثمرة<sup>(٦)</sup>.

ثمة مسألة أخرى وهي: متى يثبت للعامل الملك في الثمرة، هل بمجرد ظهورها على الشجرة أم بعد القسمة وبيان نصيب كل من العامل والمالك؟ جاء في التجريد للقدوري عند مسألة "ملك الربح بالظهور أو بالقسمة: «قال أصحابنا: إذا ظهر ربح في مال المضاربة ملك المضارب منه حصته»<sup>(٧)</sup>، ثم تعرض للمساقاة قياساً على المضاربة وذكر قولين خارج المذهب أحدهما: الملك بمجرد الظهور، والآخر: أنه لا يملك إلا بالقسمة، وصح

(١) انظر: تبيين الحقائق، ٢٨٥/٥.

(٢) تمر لم يكتمل نموه.

(٣) تبيين الحقائق، ٢٨٥/٥.

(٤) بداية المجتهد، ١٨٨/٢.

(٥) يراجع: الفقه الإسلامي وأدلته، ٤٧٢٥/٦.

(٦) في تأثير الموت على الالتزامات المترتبة على عقد المساقاة، تنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية - ٢٧٩/٣٩ وما بعدها - دار السلاسل - الكويت.

(٧) التجريد للقدوري، للإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن حمدان أبي الحسين القدوري (ت: ٤٢٨هـ) - ٣٥٢٩/٧ - تحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية - أ.د/ محمد أحمد سراج - أ.د/ علي جمعة محمد - دار السلام - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.



القول الأول وهو التملك بمجرد الظهور .

قد يكون هناك بعض العمل بعد اكتمال نمو الثمرة كعصر الزيتون بعد جمعه، فهل مثل هذا يكون على العامل أم إن عمله ينتهي بمجرد نضج الثمار ويصبح له النصيب المتفق عليه مباشرة؟ ذكرت أقوال في ذلك<sup>(١)</sup>؛ منها: أن عصر الزيتون على ما شرط بينهما، وإن لم يكن فيه شرط فعصره بينهما، وقيل: على العامل عصره إذا كان ذلك عمل أهل البلد، وإن شرط على العامل إن لم يكن تَمَّ عُزْفٌ جاز .

ولكن ماذا لو لم يكمل العامل عمله وهرب، وكان النخل قد أثمر وتبقى عمل حتى تصلح الثمرة، يرى الإمام الماوردي: أنه لو كان عقد مساقاة بين رجلين على نخل والعقد صحيح فأثمر النخل وهرب العامل؛ استأجر عليه ولى الأمر من يعمل في النخل عمله... فإنه إذا هرب العامل ، وتبقى مما هو مكلف به من عمل الضروري الذي يصلح به النخل فإنه يجب أن يطلبه ولى الأمر عند شكوى صاحب النخل ، ويقيم البينة بالعقد عنده ليأخذه بما تبقى من عمله<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون المالك في مرض الموت؛ فعند الشافعية: لو «ساقى المريض رجلا على نخيل، ثم كان ما شرط له من الثمار زائداً على أجر عمله، فقد اختلف أصحابنا في المسألة؛ فمنهم من أجرى المساقاة مجرى القراض، وقد تمهد قياس القراض، والجامع أن المطلوب مفقود في المعاملتين؛ إذ لا ربح ولا ثمرة فيهما، وحصول الثمار منسوب إلى عمل المساقى وإلى حين قيامه على الأشجار، فرق»<sup>(٣)</sup>، وقد تقدم في القراض أن المعاملة صحيحة.

«ومن أصحابنا من قال: إذا زادت حصة المساقى من الثمار على أجر مثله، فتلك الزيادة تبرع محسوب من الثلث»<sup>(٤)</sup>.

وقد يحدث الفسخ بعد ظهور الثمرة، فإذا «فسخ بعد ظهور الثمرة وبعد موت العامل،

(١) انظر: التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، تأليف: الإمام خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (ت ٧٧٦هـ) - ١٠٨/٧ - ١٠٩ - تحقيق: د/ أحمد بن عبد الكريم نجيب - مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث - الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) يراجع: الحاوي في فقه الشافعي، ٣٨١/٧.

(٣) نهاية المطلب في دراية المذهب، للإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) - ٥١٧/٧ - تحقيق: الدكتور عبد العظيم محمود الديب، - دار المنهاج - الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٤) نهاية المطلب في دراية المذهب، ٥١٧/٥.

فهى بينهما، فإن كان قد بدا صلاحه خُير المالك بين البيع والشراء، فإذا اشترى نصيب العامل، جاز، وإن اختار بيع نصيبه باع الحاكم نصيب العامل، وأما إذا لم يبد صلاحه، فلا يصح بيعه إلا بشرط القطع»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثانى . نصيبا المالك والعامل فى عقد المساقاة فى القانون المدنى:

«المزارعة عقد يعطى به المالك أرضه المعدّة للزراعة أو المشغولة بالأشجار إلى آخر ليزرعها أو يستثمرها، ويلتزم هذا بأداء نصيب معين من محصولاتها إلى المؤجر "مادة ٣٩٦". ومعنى النصيب المعين: جزء من أربعة وعشرين؛ أعنى الخمس أو الربع أو الثلث»<sup>(٢)</sup>.

ونصت المادة "٦١٩" من القانون المدنى على أنه: «يجوز أن تعطى الأرض الزراعية والأرض المغروسة بالأشجار مزارعة للمستأجر فى مقابل أخذ المؤجر جزءاً معيناً من المحصول»<sup>(٣)</sup>.

وتبين المذكرة الإيضاحية: أن عقد المزارعة مشاركة بين المزارع والمؤجر، فالمؤجر يشترك بأرضه وما تحويه من مواشٍ وأدوات<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا، فإن المزارعة تعاقداً بإيجار محله الأرض الزراعية، ويمكن أن تكون أرضاً بلا شجر أو مزروعة بالشجر كالحداثق، ويميزها وتختلف عن إيجار أرض زراعية بكون الإيجار حصة معلومة من الحاصلات المنتجة كالربع والخمس<sup>(٥)</sup>.

وهناك صورة لعقد المشاركة، قد يُفهم أنه عقد المزارعة ولكنه غير ذلك، والصورة أن الأجرة هى نسبة متفق عليها، ولكنها ليست من المحصول نفسه المنتج من الأرض، مثل

(١) الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف، للإمام علاء الدين أبى الحسن على بن سليمان المرادوى (ت: ٨٨٥هـ) - ٢١١/١٤ - تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى - والدكتور عبد الفتاح محمد الطو - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) شرح القانون المدنى - تأليف: أحمد فتحى زغلول - ص ٢٨١ - المطابع الأميرية - ١٩١٣م، ويلاحظ أن: (المواد من ٣٨٩ إلى ٤١٧ أُلغيت بالقانون رقم ٢٥ لسنة ٦٨ الصادر بقانون الإثبات فى المواد المدنية والتجارية الذى نص على إلغاء الباب السادس من الكتاب الأول من القسم الأول من القانون المدنى، ونشر فى الجريدة الرسمية العدد ٢٢ الصادر فى ١٩٦٨/٥/٣٠ - القانون المدنى - ص ٧٢ - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - الطبعة السابعة عشرة).  
(٣) القانون المدنى، ص ١١٦ .

(٤) يراجع: المرجع فى التعليق على نصوص القانون المدنى - يشتمل على نصوص القانون المدنى معلقاً عليها بالمذكرة الإيضاحية والأعمال التحضيرية وأحكام النقض من عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٩٩ بالمقارنة بالتشريعات العربية - المستشار معوض عبد التواب ٦٢٧/٣ - مطابع القدس - الطبعة الخامسة.

(٥) يراجع: الوسيط فى شرح القانون المدنى "العقود الواردة على الانتفاع بالشئ - الإيجار والسارية - للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى - ١٣٦٥/٢ - بتصرف بسيط - دار النهضة العربية - ١٩٦٣م.

النصف من الصافي من ثمن الحاصلات، إذن العقد ليس مزارعة، إنما العقد شركة، يقتسم فيها المشاركون الأرباح<sup>(١)</sup>.

ويضاف إلى ذلك أن المزارعة يميزها عن العقد على العمل، أن المزارع غير الأجير بأجرة ولا يتحمل الخسارة، إنما هو مساهم في الخسارة والربح<sup>(٢)</sup>.

أما المادة "٦٢٠" فتنص على أن: «تسرى أحكام الإيجار على المزارعة، مع مراعاة الأحكام الآتية إذا لم يوجد اتفاق أو عرف يخالفها»<sup>(٣)</sup>.

وبينت المذكرة الإيضاحية: أن الغرض من هذه المادة بيان أحكام تنظيم تعاقد المزارعة؛ بالترتيب الآتي:

أ . العرف والاتفاق.

ب . في حالة عدم وجود العرف أو الاتفاق فإن أحكام المشرع تسرى، وهذه أحكام ستذكر فيما بعد.

ج . في حالة عدم وجودها فأحكام إيجار الأراضي المزروعة، وبعد ذلك فأحكام عقود الإيجار عموماً.

د . في حالة عدم وجودها فأحكام الشريعة الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

وجاء في المادة "٦٢٤":

«١. توزع الغلة بين الطرفين بالنسبة المتفق عليها أو النسبة التي يعينها العرف، فإذا لم يوجد اتفاق أو عرف كان لكل منهما نصف الغلة.

٢. فإذا هلكت الغلة كلها أو بعضها بسبب قوة قاهرة تحمّل الطرفان معاً تبعه الهلاك، ولا يرجع أحد منهما على الآخر»<sup>(٥)</sup>.

وبينت المذكرة الإيضاحية توزيع الغلة على قاعدة أن الشركة موجودة ، فالمزارع والمؤجر شركاء، كل واحد منهما له حصته حسب الاتفاق أو ما يسير عليه العرف، وتوزع

(١) يراجع: السابق، ١٣٦٥/٢.

(٢) يراجع: السابق، ١٣٦٧/٢.

(٣) القانون المدني، ص ١١٦.

(٤) يراجع: موسوعة التعليق على القانون المدني في ضوء قضاء النقض - دكتور عبد الحكم فودة - ٣٦٧/٤ - المكتب الفنى للموسوعات القانونية - الإسكندرية.

(٥) الموسوعة الوافية في شرح القانون المدني بمذاهب الفقه وأحكام القضاء الحديثة في مصر والأقطار العربية - المستشار أنور العمرى - ٥٦٢/٤ - دار العدالة - الطبعة الرابعة - ٢٠٠٩م.

لكل واحد نصف الغلة حالة عدم وجود الاتفاق أو العرف، أما آثار هلاك المحصول فيتحملانه سويًا كل واحد على حسب حصته (١).

ومن أحكام القضاء المترتبة على هذه المادة أنه في حالة كون تعاقد بالإيجار على سبيل الشركة بين شخصين فأخذ شخص منهما الحاصلات المنتجة من الأرض محل الإيجار بموجب العقد إلى ما يملكه وحدث التصرف بعملية بيع واستحوذ على الثمن بالكامل ولم يأخذ الآخر شيئاً، فهذا تبديد العقوبة عليه في المادة "٣٤١" بقانون العقوبات (٢).

وفي حالة انقضاء المزارعة وذلك قبيل نهاية المدة ، تصفى الشركة على أن يسدّد الذي أجر للمستأجر أو لمن يرثه كل النفقات التي أنفقها على الحاصلات التي لم يتم نضجها، مع التعويض العادل الذي هو مقابل العمل ، أما المحاصيل الناضجة فتحصد وتقسّم (٣)، هذا وقد بينت المذكرة الإيضاحية للمادة "٦٢٧" أنه: إذا تم انتهاء المزارعة وذلك قبيل نهاية المدة يجب على الذي أجر أن يسدّد لمن استأجر أو لمن يرثه ما أنفقه الذي استأجر على الحاصلات التي لم تنضج مع التعويض العادل عن عمل المستأجر، بالإضافة إلى ذلك إذا كان سبب انتهاء المزارعة موت المستأجر ، فإنه يجوز لورثة المستأجر التعويض وذلك بأن يستردوا ما أنفق، ويمكن أن يكونوا محل الشخص الذي ورثوه إلى أن تنضج الحاصلات في حال مقدرتهم أن يقوموا بذلك بلا تقصير أو خسارة أو إتلاف (٤).

إن قانون الإصلاح الزراعي أضاف للمزارعة خصوصية، وذلك أنه حدد أن تتعدى حصة المالك النصف من الحاصلات، وذلك بعد أن تخصم كل المصاريف (م "٣٩" من قانون الإصلاح الزراعي) (٥).

### المطلب الثالث . المقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون المدني:

أغلب مواد القانون المدني تسوى بين المساقاة والمزارعة وعلى هذا فإن المزارعة تعاقد

(١) يراجع: المرجع في التعليق على نصوص القانون المدني، ٦٣٢/٣.

(٢) يراجع: الطعن رقم "١٣٥٠" لسنة "٢٠" ق - جلسة ١٩٥١/١٦ (السابق، ٦٣٢/٣).

(٣) يراجع: السابق، ٦٣٥/٣.

(٤) يراجع: السابق، ٦٣٥/٣.

(٥) يراجع: الوسيط في شرح القانون المدني "العقود الواردة على الانتفاع بالشئ - الإيجار والعارية - بتصريف بسيط ١٣٦٩/٢ -

بإيجار محله الأرض الزراعية، ويمكن أن تكون أرضًا بلا شجر أو مزروعة بالشجر كالحداثق،. أما الفقه الإسلامي فإذا كانت مغروسة بالأشجار فتسمى مساقاة، وإذا كانت الأرض غراء فتسمى مزارعة، جاء في معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي أن المزارعة: «نوع شركة على كون الأراضى من طرف، والعمل من طرف آخر، يعنى أن الأراضى تزرع والحاصلات تقسم بينهما»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا يتضح أن واضعى القانون المدنى نظروا إلى العموميات، أما الفقه الإسلامى فقام التفصيل بن المساقاة والمزارعة، إن القانون نظر إلى الهدف وهو الحاصلات الزراعية، سواء كانت من شجر مزروع مستدام كالنخل والكرم وسائر الأشجار وهو عقد المساقاة فى الفقه الإسلامى أو محاصيل موسمية تزرع فى أرض خالية وتحصد كالقمح والذرة والأرز والشعير والبرسيم ... وهو عقد المزارعة فى الفقه الإسلامى.

إن قانون الإصلاح الزراعى أضاف للمزارعة خصوصية، وذلك أنه حدد أن تتعدى حصة المالك النصف من الحاصلات، وذلك بعد أن تخصم كل المصاريف (م "٣٩" من قانون الإصلاح الزراعى).

وإنى أرى فى هذا تضييق لواسع؛ حيث إنه قد يكون من الإنصاف أن يأخذ المالك أكثر من النصف، خاصة مع غلاء وارتفاع قيمة الأرض الزراعية، وعندما تكون مغروسة بالأشجار المثمرة التى لا تكلف العامل شيئاً خاصة أن الأراضى فى وادى النيل بمصر بعد فترة من غرس الشجر تصل جذوره إلى المياه الجوفية فقد لا يحتاج إلى رى، فكيف يقيد حق المالك بعدم الزيادة على النصف، وأيضاً بعض الملاك عندهم مساحات كبيرة وأشجار غزيرة المحصول، ولو أخذ العامل الثلث أو الربع مثلاً لأخذ مالا وفيراً.

يراعى القانون المدنى الاتفاق أو العرف وأحكام الشريعة الإسلامية، وإذا تناول القانون المدنى الاتفاق أو العرف، فإن هذا لا يخرج عن أحكام الشريعة الإسلامية خاصة وأن الفقهاء المسلمين ذكروا أهمية الاتفاق أو العرف بحسب ما ورد فى صفحات البحث بالتفصيل.

(١) معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامى، ص ٥٢٧.

## الخاتمة

تبين من أقوال الفقهاء أن المساقاة تصح على شجر له ثمر يؤكل بجزء متفق عليه من الثمار، ونص صاحب الروض المربع على أنها: «لا تصح على ما لا ثمر له كالجوز أو له ثمر غير مأكول كالصنوبر والقرظ»<sup>(١)</sup>.

ومع الاجتهاد المعاصر قد يطرح تساؤل: هل يتعدى الجواز إلى شجر لا ثمر له إذا كان الشجر نفسه هو المطلوب؟ أرى أنه لا مانع ففي العصر الحديث تقوم زراعات على شجر يستتبت من أجل إنتاج الخشب مثل الماهجوني، وتوجد أشجار ثروتها في لحاء الشجرة (القشرة الخارجية) مثل أشجار القرفة فإن اللحاء يفصل عن الشجرة ويكسر ويطحن ويصبح هو القرفة، وبعض الأشجار زهورها تعتبر هي المقصودة مثل الورد البلدى والياسمين والفل الذى ينتج منها العطور.

### أهم النتائج:

١. المقرر أن الشركة إذا أبهت ولم يكن فيها جزء معلوم كانت نصفين، أو كان نصيب العامل فى المساقاة معلوماً بالعرف المنضبط، فتركوا النص اعتماداً على العرف.
٢. تتفق أحكام الفقه الإسلامى والقانون المدنى على أهمية الاتفاق أو العرف.
٣. رجع القانون المدنى إلى أحكام الشريعة الإسلامية.

### التوصيات:

- إعادة صياغة القانون المدنى، وتنقيته من كل ما يخالف الفقه الإسلامى والشريعة الإسلامية.
- إعادة النظر فى المادة "٣٩" من قانون الإصلاح الزراعى الذى خص المزارعة بحكم مهم؛ إذ أوجب ألا يزيد نصيب المالك على النصف فى المحصول بعد خصم جميع المصروفات، وقد بينت العوار الذى شاب هذه المادة.
- تعدية الجواز فى صحة عقد المساقاة إلى الأشجار التى لا ثمار لها ومقصود منها انتفاع آخر كأشجار الورد والياسمين وأشجار إنتاج الخشب، مع اتفاق المالك والعامل على نسبة

(١) الروض المربع، ص ٣٠١.

من الإنتاج لكل منهما.

### قائمة المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى، تأليف: أحمد بن محمد القسطلانى (ت: ٩٢٣هـ) . المطبعة الكبرى الأميرية . مصر . الطبعة السابعة . ١٣٢٣هـ.
- ٣- الأصل، للإمام أبى عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى (ت: ١٨٩هـ) . تحقيق: الدكتور محمد بونوكالان . دار ابن حزم . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ . ٢٠١٢م.
- ٤- الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أبى النجا شرف الدين موسى الحجاوى المقدسى (ت: ٩٦٨هـ) . تصحيح وتعليق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي . دار المعرفة . بيروت.
- ٥- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف، للإمام علاء الدين أبى الحسن على بن سليمان المرادوى (ت: ٨٨٥هـ) . تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى . والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو . دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.
- ٦- بحر المذهب فى فروع المذهب الشافعى، للإمام أبى المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرويانى (ت: ٥٠٢هـ) . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- ٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى، الشهير "بابن رشد الحفيد" (ت: ٥٩٥هـ) . طبعة دار الفكر .
- ٨- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، تأليف: عثمان بن على الزيلعى الحنفى (ت: ٧٤٣هـ) . المطبعة الكبرى الأميرية . بولاق القاهرة . الطبعة الأولى،: ١٣١٣هـ .
- ٩- التجريد للقدورى، للإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن حمدان أبى الحسين القدورى (ت: ٤٢٨هـ) . تحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية . أ.د/ محمد أحمد سراج . أ.د/ على جمعة محمد . دار السلام . القاهرة . الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.

- ١٠- التدريب فى الفقه الشافعى المسمى "تدريب المبتدى وتهذيب المنتهى"، ومعه: "تتمة التدريب" لعلم الدين صالح بن الشيخ سراج الدين البلقينى الشافعى . تحقيق: نشأت بن كمال المصرى . دار القبلتين . الرياض . الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ . ٢٠١٢م.
- ١١- التوضيح فى شرح المختصر الفرعى لابن الحاجب، تأليف: الإمام خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندى المالكى المصرى (ت ٧٧٦هـ) . تحقيق: د/ أحمد بن عبد الكريم نجيب . مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث . الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.
- ١٢- الحاوى فى فقه الشافعى، للإمام على بن محمد بن محمد، الشهير بالماوردى (ت ٤٥٠هـ) . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م.
- ١٣- شرح السنة، للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى (ت: ٥١٠هـ) . تحقيق: شعيب الأرنؤوط . محمد زهير الشاويش . المكتب الإسلامى . دمشق . بيروت . ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- ١٤- شرح القانون المدنى، تأليف: أحمد فتحى زغلول . المطابع الأميرية . ١٩١٣م.
- ١٥- الشرح الكبير على المقنع، للإمام شمس الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى (ت: ٦٨٢هـ) . تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى . الدكتور: عبد الفتاح محمد الحلو . طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.
- ١٦- الروض المربع بشرح زاد المستقنع، للشيخ منصور البهوتى (ت ١٠٥١هـ) . مكتبة دار التراث . القاهرة.
- ١٧- صحيح البخارى . للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) . طبعة الحلبي . ١٣٧٢هـ . ١٩٥٣م.
- ١٨- العدة فى أصول الفقه، للقاضى أبى يعلى محمد بين الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء (ت: ٤٥٨هـ) . تحقيق: الدكتور أحمد بن على . كلية الشريعة بالرياض . جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية . الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.
- ١٩- العقود المضافة إلى مثلها، تأليف: عبد الله بن عمر بن حسين بن طاهر . دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع . الرياض . الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م.



- ٢٠- الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي . دار الفكر . دمشق . الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م .
- ٢١- القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) . مادة [س ق ي] . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م .
- ٢٢- القانون المدني . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . الطبعة السابعة عشرة .
- ٢٣- كتاب الفروع، ومعه: تصحيح الفروع، لعلاء الدين علي بن سليمان المرادوي، تأليف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج (ت: ٧٦٣ هـ) . تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي . مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .
- ٢٤- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للإمام أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت ٨٩٣ هـ) . تحقيق: أحمد عزو عناية . دار إحياء التراث العربي . بيروت . الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م .
- ٢٥- المحلى للإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) . تحقيق: أحمد محمد شاكر . دار التراث .
- ٢٦- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، للإمام عبد القادر بن بدران (ت: ١٣٤٦ هـ) . تحقيق: محمد أمين . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ .
- ٢٧- المرجع في التعليق على نصوص القانون المدني . يشتمل على نصوص القانون المدني معلقاً عليها بالذاكرة الإيضاحية والأعمال التحضيرية وأحكام النقص من عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٩٩ بالمقارنة بالتشريعات العربية . المستشار معوض عبد التواب . مطابع القدس . الطبعة الخامسة .
- ٢٨- مصابيح الجامع، للإمام محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر، بدر الدين، المعروف بالدماميني (ت: ٨٢٧ هـ) . تحقيق: نور الدين طالب . دار النوادر سوريا . الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .
- ٢٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . تأليف: أحمد بن محمد بن علي المُقرئ الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) . المكتبة العلمية . بيروت . ( د . ت ) .
- ٣٠- معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي . تأليف: سائر بضمه جي . صفحات

- للدراسات والنشر . ٢٠٠٩م.
- ٣١- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، للإمام محمد الشربيني الخطيب . طبعة الحلبي . ١٣٧٧هـ . ١٩٥٨م.
- ٣٢- الملخص الفقهي، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان . دار العاصمة . الرياض . الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٣٣- الممتع فى شرح المقنع، للإمام زين الدين المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى التنوخى الحنبلى (ت: ٦٩٥هـ) . دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش . مكتبة الأسمى . مكة المكرمة . الطبعة الثالثة . ١٤٢٤هـ . ٢٠٣٣م.
- ٣٤- موسوعة التعليق على القانون المدنى فى ضوء قضاء النقض . دكتور عبد الحكم فودة . المكتب الفنى للموسوعات القانونية . الإسكندرية.
- ٣٥- الموسوعة الفقهية الكويتية . دار السلاسل . الكويت.
- ٣٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن على بن القاضى الحنفى التهانوى (توفى بعد: ١١٥٨) . تحقيق: د/ على دحروج . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- ٣٧- الموسوعة الوافية فى شرح القانون المدنى بمذاهب الفقه وأحكام القضاء الحديثة فى مصر والأقطار العربية . المستشار أنور العمروسى . دار العدالة . الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م.
- ٣٨- نهاية المطلب فى دراية المذهب، للإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) . تحقيق: الدكتور عبد العظيم محمود الديب، . دار المنهاج . الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
- ٣٩- نيل المآرب بشرح دليل الطالب، للشيخ عبد القادر بن عمر الشيبانى . الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية . ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م.
- ٤٠- الوسيط فى شرح القانون المدنى "العقود الواردة على الانتفاع بالشئ . الإيجار والعارية . للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى . دار النهضة العربية . ١٩٦٣م.

التناص والاقْتباس في أدب الطفل  
قصص كامل كيلاني نموذجاً

آية السيد شاكر حافظ أحمد

باحثة ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

[aya.hafez381993@gmail.com](mailto:aya.hafez381993@gmail.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.146386.1207

## التناسق والاقتراس في أدب الطفل

## قصص كامل كيلاني نموذجا

## مستخلص

يُعد أدب الطفل مساهمًا في نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل آخر، وهدف أدب الطفل هو تنمية قدرات الطفل العقلية واللغوية، ويساعده في تكوين ثقافته ونمو الطفل اجتماعيًا وعقليًا وعاطفيًا ووجدانيًا، ويُعد الأديب كامل كيلاني هو الأب الشرعي لأدب الأطفال، وكتب الكيلاني الكثير من القصص للأطفال، واتسم أسلوبه بالبساطة والواقعية وسهولة الأسلوب ووضوحه، ولغة أدب الطفل التي قدمت من خلال قصص الكيلاني هي لغة سهلة بسيطة واضحة تناسب مستوى الطفل، كما أنه يزود الطفل بكلمات جديدة ويصبح لديه قاموس لغوي خاص به. كانت غاية كامل كيلاني من وراء الكتابة للأطفال هو تعليم اللغة العربية للأطفال، وهدفه إقناع الأطفال وإمتاعهم بقراءة القصص، وتعددت مصادر الأديب كامل كيلاني في كتابته قصص الأطفال، وذلك واضح في تأثره بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وذلك يغرس القيم الدينية والأخلاقية والثقافية لدى الطفل، ووظف كامل كيلاني الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لخدمة القصص، وذلك واضح في استخدام ظاهرة التناسق والاقتراس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

**الكلمات المفتاحية:** التناسق، الاقتراس، أدب الطفل، القصص، كامل كيلاني.

## **Intertextuality and Quotation in Children's Literature: The Stories of kamel Kailani as an Example**

Aya Al-Sayed Shaker Hafez Ahmed  
An MA Researcher in the Department  
of Arabic Language and Literature  
Faculty of Arts, Port Said University

### **Abstract**

Children's literature is a contributor to the transfer of the heritage and experiences of mankind from one generation to another, and the goal of children's literature is to develop the child's mental and linguistic abilities, and helps him in the formation of his culture and the development of the child socially, mentally, emotionally and emotionally, and the writer Kamel Kailani is the legitimate father of children's literature, and Al-Kailani wrote a lot of stories for children, and his style was characterized by simplicity, realism, ease of style and clarity, and the language of children's literature presented through the stories of Al-Kailani is an easy simple and clear language that suits the level of the child, and it also provides The child with new words and becomes having his own linguistic dictionary. Kamel Kailani's goal behind writing for children was to teach Arabic to children, and his goal was to convince children and entertain them to read stories, and the sources of the writer Kamel Kailani in writing children's stories, and that is clear in his influence on the Holy Quran, and the Hadith, and that instills religious, moral and cultural values in the child, and Kamel Kailani employed Quranic verses and hadiths to serve stories, and that is evident in the use of the phenomenon of dissociation and quotation from the Holy Quran and the Hadith of the Prophet Muhammad.

**Keywords:** Intertextuality, quotation, children's literature, the stories, Kamel Kailani.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ...

فيشكل الأدب دورًا كبيرًا في الحياة بفنونه المتنوعة وأساليبه الرائعة، ويُعد أدب الطفل مساهمًا في نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل آخر، ويسهم في بناء شخصية الطفل من خلال النمو العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي وغرس القيم الأخلاقية والتربوية والسلوكية الإيجابية، كما أنه يساعد في نمو ثقافة الطفل، وتكوين الذوق الأدبي وإرهاب الحس الجمالي، وتشويقه إلى الروائع الفنية، ويقدم الخبرات، وتنمية القدرة على التفكير، وتنمية المهارات الحسية والحركية والعقلية، وإشباع حاجاته النفسية والوجدانية والاجتماعية، وذلك يجعل الطفل مميزًا ويصبح أكثر إيجابيًا في المجتمع.

ويُعد الأديب كامل كيلاني هو الأب الشرعي لأدب الأطفال، وكتب الكثير من قصص الأطفال وقصائد شعرية وأناشيد، وجمع الكيلاني في كتبه بين حسن الأسلوب، ووفرة المعلومات، ومراعاته مناسبة أعمار الأطفال وميولهم الأدبية، ومن خلال دراسة قصص الأطفال لدى الأديب كامل كيلاني يتبين أهمية قراءة القصص وتعليم القراءة للأطفال، وتحبيب اللغة العربية لدى الطفل العربي.

والقصة حدث إخباري يُروى ويُحكى، فيسمعها الطفل من الآخرين، أو يقرأها، فتزيد قدرته على التفكير، وتنمو مهاراته العقلية والذهنية .

إن الكتابة للطفل من أصعب الأشياء ويجب على كاتب قصة الطفل مراعاة ذلك، فأسلوب الكاتب يتغير تبعًا لتغير مراحل نمو الطفل، وتظهر مشكلة الأسلوب وأهميته وعلاقته بالمضمون في قصص الأطفال، فالكاتب يحتاج إلى أسلوب متميز من أجل وصول الفكرة إلى الطفل لكي يصل إلى غاية القصة؛ ومن ثم كان اختيار الموضوع تحت عنوان السمات الأسلوبية في لغة أدب الطفل لكامل الكيلاني.

وسوف يتم دراسة هذا النتاج القصصي في ضوء الأسلوبية ومبادئها، وهي علم وصفي يعنى ببحث الخصائص والسمات التي تميز النص الأدبي بطريق التحليل

الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية. **السيرة الذاتية للأديب كامل كيلاني**

ولد كامل كيلاني إبراهيم كيلاني بالقاهرة عام ١٨٩٧ م، وأتم حفظ القرآن الكريم في الكتاب ثم التحق بمدرسة أم عباس الابتدائية، ثم التحق بمدرسة القاهرة الثانوية ونال شهادة البكالوريا، ثم انتسب إلى الجامعة المصرية القديمة، ثم تخرج واشتغل مدرساً للإنجليزية في المدرسة التحضيرية، ونقل مدرساً في مدرسة الأقباط الثانوية بدمهور، ووظف في وزارة الأوقاف، وكان آخر مناصبه بالوزارة منصب سكرتير مجلس الأوقاف الأعلى.

اشتغل بالصحافة والفن ثم اشتغل رئيساً لنادى التمثيل الحديث، ورئيساً لتحرير جريدة الرجاء، ثم سكرتيراً لرابطة الأدب العربي، وقد توقف بصره فجأة مدة أربع سنوات ثم رده الله إليه.

### الشخصيات التي أثرت في طفولة كامل كيلاني

والده الشيخ كيلاني من أشهر ثلاثة مهندسين في عصره، والمربية اليونانية كانت تحكى له أقاصيص عجيبة، وأستاذه الشيخ أحمد أبو بكر وهو شاعر يسترزق من حكايات أبو زيد الهلالي، وخاله سعد إسماعيل مكفوف البصر كان يقص عليه القصص والأشعار، والعرجي وكان يستمع أيضاً إلى القصص من حوذي العربية الخاصة بأبيه وكان هذا الحوذي نصف أمي ونصف فيلسوف وكان حافظاً للقرآن الكريم والأحاديث النبوية والكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات، وكان والده يعول امرأة يونانية أرملة ولها بنتان وتولت هذه المرأة تربيته وكانت بنتها على ثقافة واسعة، وأول ما سمعه منهن الأساطير اليونانية، والشاعر الشعبي عبده الشاعر وكان ينشد على ربابته أقاصيص البطولة، فكان يذهب للاستماع إليه كل ليلة في ميدان القلعة في سوق العصر.

وكان يؤمن بالقاعدة التي تقول العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، وكان شعاره هو أن يعمل ويعمل دائماً.

عاش كامل كيلانى اثنين وستين عاماً حافلة بالعلم والمعرفة، وقد توفي عام ١٩٥٩ م.<sup>١</sup>

### منهج الكيلانى وأسلوبه فى الكتابة للطفل

اهتم الأديب كامل كيلانى بأدب الطفل وكتب قصصاً كثيرة للأطفال، واتسم أسلوبه بالبساطة ومن يقرأ قصص الأطفال للكيلانى يجد فيها البساطة وسهولة الأسلوب ووضوحه، كما أنه تدرج فى كتابته للطفل فلكل سن قصة تناسبه، وكتب الكيلانى فى موضوعات متعددة وقصص متنوعة، مثل: القصة الواقعية، والقصة الدينية، والقصة الفكاهية، والقصة الطبيعية، والقصة التاريخية، والقصة الشعبية، والقصة على لسان الحيوان، والأساطير، وحكايات جحا، وقصص شهر زاد، وقصص ألف ليلة وليلة، وقصص هندية.

### بناء القصة وأسلوبها عند الكيلانى

اهتم الكيلانى ببناء قصة الطفل وبدا ذلك واضحاً فى قصصه التى تقدم للأطفال حيث " يتميز بناء قصة الطفل عند الكيلانى بأنه يعتمد على مبدأ أخلاقى تهنئى، وليس على مجرد التشويق. كل فقرة عند الكيلانى ترمى إلى هدف أخلاقى تربوى حتى القصص التى ترجمها للأطفال من مصادر أجنبية يجعلها تسير على هذا المنهج".<sup>٢</sup>

وأسلوب الكيلانى فى كتابته للقصص يميل إلى البساطة والواقعية، واهتم الكيلانى باختيار شخصيات القصة ورسم الحياة أمام الطفل كما هي بخيرها أو شرها، واهتم الكيلانى بأن تحتوى كل قصة على كلمات جديدة؛ لكي يستفيد الطفل ويصبح لديه قاموس لغوي خاص به، واهتم باستخدام الصور، والألوان، وأحجام الحروف، والكلمات فى القصة.

والجدير بالذكر أن قصص الكيلانى ليست قصصاً خيالية فقط بينما كانت تقص أحداث واقعية تصور البيئة الذى يعيش فيها ويعالج الصفات السيئة التى توجد

<sup>١</sup> انظر كامل كيلانى وسيرته الذاتية، عبد الرحمن بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م، ص ١٩ - ٢٧.

<sup>٢</sup> كامل كيلانى، عبد الرحيم الكردى، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١ م، ص ١٧٩.



بالمجتمع، فهو يجعل المواقف، والأحداث، وشخصيات القصة تتناسب مع البيئة من حيث العادات والتقاليد والقيم الدينية والأخلاقية.

### اتجاهه القصصي

تأثر الأديب كامل كيلاني كثيراً بالشخصيات التي كانت حوله في طفولته؛ ولذلك كان عمله يتجه أكثر إلى الاتجاه القصصي، وكان ذلك نتيجة طبيعية لشخصيته فكان لديه دوافع دفعته إلى اتجاه القصص وأسس قامت عليها القصص.

" الحافز الذي دفعه إلى السير في هذا الاتجاه الخاص بالطفل، وجدناه ذا فرعين :

- أولهما يتصل بشعور الكيلاني وهو طفل حينما كان يرى قصص الأطفال الأجنبية آية من آيات الروعة والجمال، والقصص العربية في الغاية من المسخ والتشويه.
- الفرع الآخر فقد يكون الحافز لاتجاهه أنه قص على ابنه قصة فرآه بعد أيام يقصها على الخادم بحذافيرها محافظاً على أدق الأجزاء، و زادت دهشته حينما علم أنه قصها مرات على الجميع لم يحذف منها شيئاً.

### الأسس التي قامت عليها قصص كامل كيلاني

كان الفن القصصي لدى كامل كيلاني معتمداً على ثلاثة أسس هي : الجانب اللغوي: طريقته في استخدام اللغة هي التكرار والإعادة مع الشكل الكامل لكل حروف الكلمة، فهو يكرر الكلمة الجديدة في القصص خمساً وعشرين مرة حتى يحس الطفل أنه فهمها فهماً دقيقاً حياً في الجملة نفسها وحتى تثبتت في نفسه، وتصبح جزءاً من ثروته اللغوية يستعملها في حديثه وكتابته.

الجانب المعنوي والخلقي: حرص الكيلاني على تنمية الجانب المعنوي والخلقي لدى الطفل؛ لأن الطفل إذا رأى انتصار الشر مرة ضعف إيمانه بالحياة، وزلزلت عقيدته بالخير.

الجانب الموضوعي: إن الكيلاني لم يقتصر على مجال دون آخر ولا أدب أمة دون غيرها، وإنما استقى من كل لون وهذه القصص تغذى بها عقول الناشئة من ضروب شتى

والمقادير متفاوتة".<sup>١</sup>

وكانت الغاية من وراء الكتابة للأطفال لدى كامل كيلاني هي أنه يريد تعليم أطفال العرب قراءة القصص، وهدفه الإقناع والإمتاع، والإقناع بأنه يجب تنمية ثقافة الأطفال، والإمتاع تتمثل في تسليية الأطفال بالقراءة في وقت الفراغ، وبالتدريج يجعل الأطفال تدوام على قراءة القصص.

### شخصية كامل كيلاني بأقلام معاصريه

تعدد كلام المعاصرين في وصف الكيلاني وذلك على النحو الآتي :

قال ابنه رشاد كامل كيلاني " لقد كان اقتحامه هذا الميدان مغامرة، فإذا كان يشق طريقاً جديداً وكان يمشى على أرض صلبة وله عند كل خطوة عقبة فمضى يكتب للأطفال مؤلفاً و مترجماً ومقتبساً ومقومًا ومفصلاً وأعنى بالتفصيح نقل القصص والحكايات والأساطير من مروياتها أو من كتابتها الركيكة إلى بيان فصيح بلسان عربي مبين".<sup>٢</sup>

كما ذكر عبد التواب يوسف وهو من كتاب أدب الطفل " وأشهد أنه رائد ورائع بكل المقاييس وخلال رحلتى مع كتبه وأعماله اكتشفت أننا أمام عملاق بحق وصدق وأنه صاحب منهج فيما قدم، ولم يعتمد على أدب الغرب فحسب بل إن أعماله العربية تشهد له بالوعى، كما كان له فضل السبق في تقديم أعمال أفريقية وهندية للأطفالنا جنباً إلى جنب".<sup>٣</sup>

وذكر الدكتور على الحديدى أنه "الأب الشرعى لأدب الأطفال فى اللغة العربية، فقد كتب نحو ألف قصة ومسرحية للأطفال ما بين مترجمة أو مقتبسة أو مؤلفة، وكتب عشرات المقطوعات والقصائد والأغنيات والأناشيد التى تتدرج مع الأطفال من بداية عهدهم بالقراءة إلى بلوغهم".<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> كامل كيلاني وسيرته الذاتية، عبد الرحمن بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨.

<sup>٢</sup> كامل كيلاني وسيرته الذاتية، عبد الرحمن بدوى، مرجع سابق، ص ٩، ١٠.

<sup>٣</sup> الطفل والشعر، ديوان كامل كيلاني للأطفال، عبد التواب يوسف، ط١، مجلد ١، ١٩٨٨م، ص ٩، ١٠.

<sup>٤</sup> كامل كيلاني، عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م، ص ١٦٠.

### مقولات تكشف الاتجاه الفكري لدى كامل كيلاني

الإنسان يعرف شخصيته وأسلوبه عندما يتكلم، ويمثل ذلك قول ( تكلم حتى أراك )، والجمل التي تكتبها أو تنطقها فهي تعبر عنك، وهذه بعض الأقوال والجمل التي قالها الكيلاني :

- " إن طرائق السعادة معروفة واضحة ولكنها عسيرة شاقة لا يجتازها إلا من حباها الله بنعمة التوفيق .
- ما أجد العقل أن يأتي بالمبدع العجيب ويصنع المعجز الغريب ولكن العقل مع جلال خطره، ربما وقف حائراً أمام مشكلة من المشاكل وتحير إزاء كارثة لا يجد فيها إلا الاستسلام لقضاء الله والرضى بما قدره .
- لو كان الناس يسترشدون بعقولهم لما كابروا في الحق بعد ظهوره .
- الحياة نفسها أسطورة حالم أو حلم يقظان . " (٧)

وتعكس تلك الكلمات الاتجاه الفكري لدى كامل كيلاني من خلال استبيان ما تثيره هذه المقولات من قضايا مثل : السعادة الحقيقية في توفيق الله، والعقل هو النعمة الكبرى، والحق أحق أن يتبع، وإدراك حقيقة الحياة.

### تقدير الدولة للأديب كامل كيلاني

وقد قامت الدولة بمنح اسمه شيئاً من التخليد، فأطلقت اسمه على المدرسة الابتدائية باب الخلق بجوار دار الكتب، ورصدت جائزة باسمه لأدب الأطفال تحت إشراف المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وأطلقت المحافظة اسمه على أحد الشوارع بحي شيرا.

ومن مظاهر تقدير مكانته الأدبية أن جعلت الدولة له

- كرسي للأدب العربي وفن القصة في الجامعات باسمه.
- الاحتفال به في الإذاعة والتلفزيون في مختلف المناسبات.
- إخراج سلسلة من مسرحيات الأطفال مستوحاة من قصصه الشائقة.
- أن يقام له مهرجان أدبي سنوي.

▪ إقامة تمثال للنقيب الراحل في أحد الميادين العامة اعترافاً بفضله".<sup>١</sup>

## التناص والاقْتباس

الفرق بين التناص والاقْتباس :

### تعريف التناص

عرف أحمد الزغبى التناص بأنه هو " النقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة، وهو اقتطاع أو تحويل، وهو عينة تركيبية تجمع لتنظيم نصي معطى التعبير المتضمن فيها ".<sup>٢</sup>، وذكر أحمد الزغبى أن التناص "يسمى أيضاً تداخل النصوص أو النصوصية، التناص كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى، ويصبح نصاً في نص تناصاً وتنتمي الكلمة إلى الجميع لكونها توشح على فكرة مبذولة في كل دراسة ثقافية ".<sup>٣</sup>

كما حدده محمد صلاح بقوله إن " التناص عبارة عن الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو لأجزاء من نصوص سابقة عليها ".<sup>٤</sup>

وعرفه عبد القادر بقشى بأن التناص هو " إنتاج النص وكتابات أخرى طابعاً وتأويلًا غدا معه آلية خاصة للقراءة الأدبية ومرتبطة من مراتب التأويل الأدبي ولهذا عرف التناص بأنه إدراك القارئ للعلاقة بين نص ونصوص أخرى قد تسبقه أو تعاصره ".<sup>٥</sup>

كما عرف جيرار جينيت التناص بأنه هو " علاقة حضور مشترك بين نصين أو أكثر، أى عن طريق الاستحضار وفي الأغلب بالحضور الفعلي لنص ضمن نص آخر ".<sup>٦</sup>

نلاحظ أن التناص هو أن يتضمن الكلام من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو من نصوص أخرى، وهو تداخل النصوص مع بعضها كما أنه يوجد تشابه بين نص وآخر أو بين عدة نصوص، وبذلك يدرك الطفل العلاقة بين النصوص وبعضها.

<sup>١</sup> انظر كامل كيلانى وسيرته الذاتية، عيد الرحمن بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م، ص ٢٠٠، ٢٠١.

<sup>٢</sup> التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبى، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١١.

<sup>٣</sup> التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبى، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١٣.

<sup>٤</sup> دراسات في النقد الأدبي الحديث، محمد صلاح أبو حميدة، ط ١، ٢٠٠٦ م، ص ٣٥.

<sup>٥</sup> التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، عبد القادر بقشى، أفريقيقا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧ م، ص ٢٠.

<sup>٦</sup> مدخل إلى التناص، عبد الحميد بورايو، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٢ م، ص ١٨.

## تعريف الاقتباس

عرف أحمد مختار الاقتباس في معجم اللغة العربية المعاصرة " اقتبس الشاعر أو الكاتب: ضمن كلامه آية قرآنية أو حديثاً نبوياً أو شيئاً من كلام غيره .... اقتبس من عبارة، أو فكرة، أو أسلوب منقول أو مستوحى من مصدر أساسي، ويسمى الاستشهاد اقتباسات من القرآن الكريم آيات مضمنة في أسلوب ... نقل من لغة إلى لغة، أو من مجتمع حضارى إلى آخر".<sup>١</sup>

وعرف محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب الاقتباس بأنه " يتضمن الكلام نثرًا أو شعرًا شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف لا على المقتبس جزء منهما ويجوز أن يغير المقتبس قليلاً".<sup>٢</sup>

في حين عبر عنه على الجارم بأن " الاقتباس تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلاً".<sup>٣</sup>

وذلك يتفق مع تعريف الاقتباس عند كاظم الموالى بأنه " هو تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتضخيماً لشأنه، فهو تضمين الكلام كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله أو من حديث الرسول (ﷺ)، وهو تضمين الكلام نثرًا أو نظمًا شيئاً من القرآن أو الحديث النبوى الشريف".<sup>٤</sup>

نلاحظ أن الاقتباس هو أن يتضمن الكلام من آيات للقرآن الكريم أو أحاديث رسول الله (ﷺ) أو الشعر كما أن الكاتب أو المؤلف يجوز له أن يغير ما يريده في الجزء المقتبس منه ويكون الكلام فيما معناه من القرآن أو الحديث أو الشعر ولكن التغيير يكون قليلاً .

<sup>١</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، المجلد الأول، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٧٦٥.

<sup>٢</sup> علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٣م، ط ١، ص ٢١٧.

<sup>٣</sup> البلاغة الواضحة، على الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، ١٩٩٩م، ص ٢٧٠.

<sup>٤</sup> الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، كاظم عبد فريح الموالى، ٢٠٠٦م، ص ١٤، ١٥.

## النماذج التطبيقية لظاهرة التناص

## قصة ثمرة الخلاف

تدور أحداث القصة حول خلاف الأخوين على قسمة التفاحة، ومر جحا في طريقهما فأكل التفاحة؛ لكي يلقي درسًا ينتفع به الأخوين سمير ومروان، وهو عدم الخلاف والنزاع والخصام بينهما، وتعلموا أن يحب الإنسان لأخيه كما يحب لنفسه.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناص في القصة في المواضع الآتية :

- قاضى الغابة أراد بنا الشر، فإذا هو الخير كل الخير !
- قوله تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ ( سورة

البقرة : ٢١٦ ) .

جاء قول كامل كيلاني هنا متأثراً بالقرآن الكريم حيث إنه يوجد تفاعل بين أحداث القصة، وهو أن قاضى الغابة أراد لهم الشر ولكنه كان ذلك خيراً لهم، وذلك يتفاعل مع الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾، وذلك يهدف إلى إحساس الطفل بتصديق أحداث القصة.

- ليت كل إنسان يحب لغيره ما يحب لنفسه! إذن ، لخلا مجلس القضاء من أن يجتمع فيه خصمان .
- " رواه البخارى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: ( لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)".<sup>١</sup>

جاء قول كامل كيلاني هنا مستمداً هذا المعنى ليت كل إنسان يحب لغيره ما يحب لنفسه من الحديث الشريف، وذلك يدعو الطفل إلى حب الخير للآخرين كما يحب لنفسه.

## قصة عجيبة وعجيبة

تدور أحداث القصة حول زواج الملكة عجيبة من الملك بسطام، وكانت تعيش معه في سعادة، ولكن في يوم رأت عجيبة فتاة تشبهها في سيرها وعجز الملك عن التفريق بينهما، وأقنعتها الساحرة أنها الملكة عجيبة وطرد عجيبة من القصر، وبعد مرور أيام وجد

<sup>١</sup> صحيح البخارى ، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٤ .

الملك بسطام رجلاً يشبه، فعرف الحقيقة وقتل الساحرة، وكان السر في الخاتمين المسحورين الذي أعطته الساحرة بكرة لهما ليكونوا قادرين على التشبه بمن يريدوا، وعادت الملكة عجيبة إلى قصر زوجها، وأدركت أن مع العسر يسراً؛ لأن الحقيقة ظهرت وعادت لحياتها مع زوجها مرة أخرى.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناس في القصة في المواضيع الآتية :

- قد أقنعنا التجارب أن مع العسر يسراً، وأن البؤس إذ تناهى، وبلغت الشدة منتهاها؛ كان ذلك إيذاناً بالفرج، وزوال الحرج .

- قوله تعالى : ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ ( سورة الطلاق : ٧ )

جاء قول كامل كيلاني هنا متأثراً بالقرآن الكريم، وذلك يوضح المعنى للطفل، وهو أن العسر يليه اليسر، والفرج يأتي بعد الشدة والضيق، وهذا يدعو الطفل إلى التفاؤل .

### قصة الشمعدان الحديدي

تدور أحداث القصة حول مغامرات الشاب رضوان مع الشيخ أبو النصر صديق أبيه وأخذه معه في رحلته، وطلب منه إحضار الكنز وهو الشمعدان الحديدي، ووجده رضوان وعاد إلى أمه، وكلما أضاء الشمعدان ظهر شيخ يسقط ديناراً، وزادت الدنانير، فأوصته أمه بأن يستثمر المال، وعمل في التجارة وأصبح تاجراً كبيراً، وعرف مكان الشيخ أبي النصر وأعطاه الشمعدان الحديدي، وعرف رضوان فضل الوفاء بالعهد، ورد الأمانات إلى صاحبها.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناس في القصة في المواضيع الآتية :

- أداء الأمانة، وفضل الوفاء بالعهد.
- "عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: ( أد الأمانة إلى من ائتمك ولا تخن من خانك )".<sup>١</sup>

جاء قول كامل كيلاني هنا مستوحى من الحديث الشريف، وإن استخدام كامل كيلاني التناس يلفت انتباه الطفل إلى أهمية أداء الأمانة والوفاء بالعهد، وذلك يجعل الطفل

<sup>١</sup> سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، باب البيوع و الكسب و الزهد ، ص ٢٢٠ .

يتفاعل مع القصة.

### قصة أبوصير وأبوقير

تدور أحداث القصة حول صديقين اتفقا على السفر إلى الإسكندرية، وهما أبوصير وأبوقير، وكان أبوصير حلاقاً، وكان أبوقير صباغاً ماهراً في عمله، وتعاهد الصديقان على الوفاء، ولكن أبوقير خان صديقه وأوقع بين الملك وأبوصير، وغضب الملك من أبي صير وأمر بقتله؛ لأن أبو قير أخبر الملك بأن أبو صير يريد قتله ولكن كبير خدم الملك أخفي أبو صير في بيته ثم عرف الملك حقيقة كذب أبي قير وخداعه، وغدره بصديقه وأمر بقتله، وانتهت القصة بموت أبي قير، وهذه القصة توضح لنا صفات المنافق وهي الكذب، وعدم الوفاء بالوعد، والخيانة، والغدر.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناص في القصة في المواضيع الآتية :

- كان هذا الجار شرهًا طماعًا، وهو مثال للغش والخداع والمماطلة؛ إذا حدثك كذب عليك، وإذا وعدك أخلف وعده، وإذا ائتمنته خانك، فكرهه الناس، وكفوا عن معاملته.
- "رواه البخارى حدثنا سليمان أبو الربيع قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)".<sup>١</sup>

جاء قول كامل كيلاني هنا متأثرًا بالحديث الشريف، وإن استخدام كامل كيلاني التناص يبين أن من يتحدث كذب، ويخلف وعده، ويخون الأمانة هذه صفات المنافق، وقد استلهم الكاتب المعنى من الحديث الشريف، وهذا يدل على تأثر الكيلاني بالدين، وواضح في استخدام التناص الديني في القصة.

<sup>١</sup> صحيح البخارى، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م، ص ١٨.



### قصة ذات الجناحين

تدور أحداث القصة حول سفر جحا إلى بلد رجل لا يحكم بين الناس بالعدل، وهو الوالى كميث، وقال الوالى للفران أنه يريد الوزة الذى يشويها، وأن يقول لصاحب الوزة أنها عادت إليها الروح، وبالفعل نفذ الفران أوامر الوالى، وكان الوالى لا يرد الحقوق والأمانات إلى أصحابها.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة التناصر فى القصة فى المواضع الآتية :

- أنسيت أن الله جعل لكل شئ سبباً ؟ أنسيت أنه سبحانه خلق لطبائع الأشياء قوانين لا تتخطاها ؟
- قوله تعالى: ﴿ إنا مكننا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سبباً ﴾ ( سورة الكهف: ٨٤).

جاء قول كامل كيلانى هنا مستوحى من القرآن الكريم، وإن استخدام كامل كيلانى التناصر يشوق الطفل للقصة، واستلهم الكاتب هذا المعنى من القرآن الكريم بأن الله يجعل لكل شئ سبب .

- ما أجدرك بالعقاب ! ألا تعلم أن الله يأمرنا برد الأمانات إلى أصحابها ؟
- قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾.(سورة النساء : ٥٨).

جاء قول كامل كيلانى هنا متأثراً بالقرآن الكريم، واستلهم الكاتب من القرآن الكريم أن الله يأمرنا برد الأمانات إلى أصحابها، وذلك يجعل الطفل مدرك أهمية رد الأمانة لصاحبها .

### قصة جحا والبخل

تدور أحداث القصة حول جحا الذى التقى بصديقه البخيل فى طريق سفره، وكان صديقه شديد البخل، ولم يساعده فى شراء الطعام، ففكر جحا فى حيلة لكى يعلم صاحبه درساً لا ينساه، فأخبره بهلاك داره وأسرته وجمله وهلاك كل ما يملكه.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة التناصر فى القصة فى المواضع الآتية :

- استبشرت خيراً أيقنت حينئذ بقرب الفرج العظيم، استولى على نفسى الأمل الباسم، وحل محل اليأس القاتم.
- "عن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)"<sup>١</sup>.

جاء قول كامل كيلانى هنا مستمداً من الحديث الشريف، وإن استخدام كامل كيلانى للتناص فى القصة يلفت انتباه الطفل بأن يبشر الإنسان بالخير وقرب الفرج، وذلك يدعو الطفل إلى التفاؤل، وقد استلهم الكاتب هذا المعنى من الحديث الشريف .

### قصة شهر زاد بنت الوزير

تدور أحداث القصة حول الملك شهريار ملك عادل يحمى رعيته، ولكنه تحول إلى ملك ظالم بسبب خيانة زوجته، وطلبت شهرزاد من أبيها الوزير آزاد أن تتزوج الملك لكى تدفع الأذى عن البنات؛ لأنه كان يتزوج كل يوم فتاة ثم يقتلها بسبب غدر زوجته، وتزوجته شهرزاد وتغير حال الملك بسبب شهرزاد، وأنجبت منه ولدين وعاش معها فى سعادة، وكانت هذه الحيلة البارعة سبباً فى خلاص البنات من الهلاك.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة التناص فى القصة فى المواضع الآتية :

- إن الله فى عون الإنسان ما دام الإنسان فى عون غيره .
- "عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه؛ كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة؛ فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)"<sup>٢</sup>.

جاء قول كامل كيلانى هنا مستوحى من الحديث الشريف، وقد استلهم الكاتب هذا المعنى من الحديث الشريف بأن الله فى عون الإنسان ما دام الإنسان فى عون غيره، وذلك يدعو الطفل إلى أهمية مساعدة الآخرين وتلبية طلباتهم .

<sup>١</sup> الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و سنته و أيامه ، المؤلف محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى ، المحقق محمد زهير بن ناصر ، شرح و تعليق د. مصطفى ديب ، دار طوق النجاة ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، ص ٤٨ .

<sup>٢</sup> سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألبانى ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، باب الإيمان و التوحيد و الدين و القدر، ص ٢٠٥ .

## قصة الوزير السجين

تدور أحداث القصة بين السلطان الهندي والوزير سيلا، كان الوزير سيلا يعالج حماقة السلطان، وأمر السلطان الحراس بأن يسجنوا الوزير في أعلى برج الهلاك، وقد أخبر أحد الحراس زوجته لكي تنقذه وساعدت زوجها فأحضرت الخنفساء ووضعتها على حائط البرج وأنقذت الوزير، وحلم السلطان بخنفساء صغيرة تحمل خيوط تألفت منها جملة ( العدل أساس الملك )، وأسرع السلطان إلى البرج، وهوى جسمه من أعلى البرج، وتلقى كل شخص جزاءه، وأصبح الوزير سيلا سلطاناً للبلاد.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناصر في القصة في المواضع الآتية :

• حذار أن يتسرب اليأس إلى قلبك، فإن اليأس طريق الخذلان، والصبر مفتاح الفرج .

• قوله تعالى : ﴿ لا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرين ﴾ ( سورة يوسف : ٨٧ ) .

• قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ( سورة آل عمران : ٢٠٠ ) .

جاء قول كامل كيلاني هنا متأثراً بالقرآن الكريم، وإن استخدام كامل كيلاني التناصر يشوق الطفل للقصة حيث إن الصبر مفتاح الفرج، وحذر من إحساس القلب باليأس، وقد استلهم هذا المعنى من القرآن الكريم .

• فتألفت منها جملة بديعة الخط رائعة المعنى فقرأها، فإذا هي العدل أساس الملك .

• قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تتقون ﴾ . ( سورة النحل : ٩٠ ) .

• "عن أبي سعيد الخدرى قال رسول الله (ﷺ): ( أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر) ".<sup>١</sup>

جاء قول كامل كيلاني هنا مستوحى من القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد استلهم

<sup>١</sup> سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألبانى ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، باب السفر و الجهاد و الغزو ، ص ٣٦٩ .

الكاتب هذا المعنى أن العدل من أساس الملك من القرآن الكريم والحديث الشريف.

### قصة قاهر الجبابرة

تدور أحداث القصة حول سليمان الحطاب يعيش مع زوجته في كوخ صغير في قرية، وتبدل أحوال أهل القرية بسبب مجئ العملاق من الغابة، وأكل الكثير من الثمر والنبات ونفذت منابع الماء، واعترض العملاق فتاة كانت تملأ جرتها الصغيرة من الماء، وسمع الحطاب صوت الفتاة فأنقذها من العملاق، وسدد فأسه على العملاق وبذلك أطلق عليه قاهر الجبابرة، وعادت الفتاة إلى قرية الحطاب وعادت الماء إلى القرية كما كانت.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة التناص فى القصة فى المواضع الآتية :

- اصبرى يا عزيزتى، ولا تياسى من رحمة الله .
- قوله تعالى : ﴿ ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ ( سورة يوسف : ١٧ ) .

جاء قول كامل كيلانى هنا متأثراً بالقرآن الكريم، وقد استلهم الكاتب هذا المعنى من القرآن الكريم وهو الصبر وعدم اليأس من رحمه الله .

- الحق معه لا بد من الوفاء بالدين لصاحبه الله يأمرنا برد الأمانات إلى أهلها، ما أجدرنا أن نشكر جارنا على ما قدم لنا من معروف .
- قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ . (سورة النساء: ٥٨) .

جاء قول كامل كيلانى هنا متأثراً بالقرآن الكريم ، وهو يدعو الطفل إلى رد الأمانات إلى أهلها .

### قصة كيس الدنانير

تدور أحداث القصة حول جحا وجاره شديد البخل والفضول والتجسس، وفي يوم من الأيام قرر جحا أن يعطى لجاره درساً لن ينساه، وحيلة جحا أنه كان يدعو الله بأن

يمنحه ألف ديناراً لا يزيد ولا يقل، فألقى جاره كيس به ألف دينار إلا واحداً في حجرته ثم ذهب إلى جحا وأخبره بأنه كان يتجسس عليه وكان يمازحه حين ألقى الدنانير، ولكن جحا تظاهر بالغباء، وذهب جحا وجاره إلى القاضي، فقص جحا وجاره عليه ما حدث، وحكم القاضي على جار جحا بأن يعتذر بسبب التجسس ثم رد جحا لجاره كيس الدنانير، وتعلم جاره عدم التجسس على الآخرين.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناسخ في القصة في المواضع الآتية :

- كيف تبيح لنفسك أن تتجسس على أفعاله، وترهف السمع إلى ما يسره من أقواله؟ بأى حق يتنصت الجار على جاره، ويتقصى ما يخفيه من أسراره، ثم يتهمه بالباطل ؟
- قوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾. ( سورة الحجرات: ١٢ )
- "عن أبي هريرة ( رضى الله عنه ) : قال رسول الله ( ﷺ ) : ( إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً )".<sup>١</sup>

جاء قول كامل كيلاني هنا متأثراً بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وقد استلهم الكاتب هذا المعنى

من القرآن الكريم والحديث الشريف، وهو عدم التجسس والتصنت على الآخرين .

### قصة الملك عجيب

تدور أحداث القصة حول مغامرات الملك عجيب وحبه للسفر والبحر، وأعد الملك عجيب للسفر سفينة وهبت عاصفة في البحر، وغرقت السفينة وقذفته الأمواج إلى شاطئ جزيرة كبيرة، ورأى الرجال يخرجون من مركب ثم حفروا الأرض وتركوا الفتى؛ لأن والده رأى في منامه أن الملك عجيب سيقتل الفتى وبالفعل قتله الملك عجيب بسبب وقوع السكينة على الفتى، ثم رأى الملك عجيب رأى قصرًا فيه رجال فقدوا عيونهم اليمنى،

<sup>١</sup> رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تأليف:الإمام أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي الدمشقي ، تعليق وتحقيق: د. ماهر ياسين الفحل ، دارابن كثير، دمشق ، بيروت ، ٢٠٠٧ م ، باب النهي عن التجسس ص٤٤١ .

وسألهم عن سبب عورهم ولكنه قرأ على باب القصر من دخل فيما لا يعينه لقي ما لا يرضيه، ثم جاء طير فحملة إلى القصر فرأى أربعين جارية، وقالوا له أدخل كل الحجرات ماعدا الحجرة الأخيرة فدفعه الفضول ودخل الحجرة فوجد حصاناً فركبه وطار به ثم هبط به إلى الأرض وضربه بذيله في عينه اليمنى فعورها، ووجد سفينة مرت على الجزيرة فوصل إلى بلده، وقص على الناس ما حدث له، وأمر وزيره يكتب على باب قصره ( من دخل فيما لا يعينه لقي ما لا يرضيه ).

استخدم كامل كيلانى ظاهرة التناص فى القصة فى المواضع الآتية :

- من دخل فيما لا يعينه ، لقي ما لا يرضيه .
- " قال مالك : قال رسول الله (ﷺ) : ( من حسن المرء تركه ما لا يعنيه . )

#### قصة اللحية الزرقاء

تدور أحداث القصة حول صاحب اللحية الزرقاء تزوج فتاة، وعاشت معه فى القصر، وقد أعطاهما كل مفاتيح القصر، وأخبرها أن كل حجرات القصر ملك لها ما عدا حجرة واحدة ولكن دفعها الفضول إلى فتح هذه الحجرة فغضب الزوج منها، وهذه القصة تهدف إلى أهمية الوفاء بالعهد، وعدم التدخل فى أمور الآخرين، وانتهت بعفو الزوج عن زوجته.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة التناص فى القصة فى المواضع الآتية :

- يغضب من تدخل الناس فيما لا يعينهم، ويرى أن من حسن الأدب أن يشتغل كل إنسان بما يفيد .
- " قال مالك : قال رسول الله (ﷺ) : ( من حسن المرء تركه ما لا يعنيه . )

تأثر كامل كيلانى بالحديث الشريف " قال رسول الله (ﷺ): من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"<sup>١</sup>، وإن استخدام كامل كيلانى التناص فى القصة هو نقل نص الحديث

<sup>١</sup> الجامع فى السنن والآداب والمغازى والتاريخ لأبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى، حققه وقدم له وعلق عليه محمد أبو الأبحان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة بيروت، والمكتبة العتيقة تونس، ط ٢، ١٩٨٣ م ، باب فى الصمت والعزلة والقصد والحياء وحسن الخلق ، وذكر فى العبادة و شئ من مواعظ و حكم ، ص ١٦٩ .

الشريف فيما معناه إلى القصة ليس نقل لفظي، وذلك يجذب انتباه الطفل إلى عدم تدخل الإنسان في أمور الآخرين، وبذلك يظهر كامل كيلاني الجانب الديني، واستلهم الكاتب هذا المعنى من الحديث الشريف، وهو ألا يشغل الإنسان نفسه بغيره وتركه ما لا يعنيه، وكرر هذا الحديث في قصة الملك عجيب، وقصة للحية الزرقاء .

كما استخدم كامل كيلاني ظاهرة التناصر في القصة في المواضع الآتية :

... ..

• نجاة : العفو عند المقدرة

• هيهات منى المغفرة

• ... ..

• قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة

التغابن: ١٤)

جاء قول كامل كيلاني هنا متأثرًا بالقرآن الكريم، وهذا التناصر يلفت انتباه الطفل إلى أهمية العفو والتسامح بين الناس، وقد استلهم الكاتب ذلك من القرآن الكريم .

### النماذج التطبيقية لظاهرة الاقتباس

#### قصة في بلاد العجائب

تدور أحداث القصة حول بلاد العجائب ولماذا سميت بذلك؟ ومن خلال القصة نعرف أن بلاد العجائب هي بلاد يعيش الأطفال فيها لا يحتاجون لأب أو أم، وكان لافظ يعيش وحده في بيت صغير، والملك عطارد جاء بالطفلة لاحظة وكان لديها الفضول لمعرفة ما بداخل الصندوق الموجود في بيت لافظ ، ودفعا الفضول إلى فتح الصندوق فتكاثف الظلام ثم جاء صوت الأمل من الصندوق، وهو شخص صغير فزال الظلام عنهما، وقال الأمل لهم : إن مع العسر يسراً، وإن مع الضيق فرجاً، وإن مع الألم أملاً . عادت حياة الأطفال كما كانت مملوءة بالسعادة.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة الاقتباس في القصة في المواضع الآتية :

• لا تضجرا بشئ في الحياة فإن مع العسر يسراً، وإن مع الضيق فرجاً، وإن مع الألم أملاً .

• قوله تعالى : ﴿ فَإِن مَّعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنْ مَّعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ( سورة الشرح

٥٠ ، ٦).

اقتبس كامل كيلانى هذه الآية من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **فَإِن مَّعَ الْعَسْرِيسِرًا** ﴾، وإن تضمن آية من القرآن الكريم فى قصته يجعل الطفل يتفاعل مع معانى كلمات القصة، وهو ألا تحزن وتضجر بشئ فى الحياة، وإن العسر والصعوبات التى تجدها فى الحياة سيأتى بعدها يسرًا وفرجًا وأن الألم يحل مكانه الأمل، والكاتب يدعو الطفل إلى التفاؤل والصبر .

### قصة ذات الجناحين

تدور أحداث القصة حول سفر جحا إلى بلد رجل لا يحكم بين الناس بالعدل، وهو الوالى كميث، وقال الوالى للفران أنه يريد الوزة الذى يشويها، وأن يقول لصاحب الوزة أنها عادت إليها الروح، وبالفعل نفذ الفران أوامر الوالى، وكان الوالى لا يرد الحقوق والأمانات إلى أصحابها.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة الاقتباس فى القصة فى المواضع الآتية :

- أأست مؤمنًا بقدره الله ؟ كيف تستكثر على قدرته شيئًا ؟ هل يخامرك شك فى أنه سبحانه يحيى العظام وهى رميم ؟ فيم العجب إذن مما حدث لوزتك؟
- قوله تعالى : ﴿ **وَضْرَبَ لَنَا مِثْلًا** ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ . (سورة يسن :

٧٨ ، ٧٩ ) .

اقتبس كامل كيلانى هذه الآية من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **وَضْرَبَ لَنَا مِثْلًا** ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾، ووضعه فى القصة ( يحيى العظام وهى رميم )، وذلك يجذب الطفل مما يؤدى إلى ضرورة إعمال عقله، والتأمل فى قدرة الله تعالى على إحياء العظام بعد الموت .

### قصة الفيل الأبيض

تدور أحداث القصة حول الفيل الأبيض الذى يعيش مع أمه، وكانت تحذره من غدر الآدميين ولكن الفيل الأبيض لم يصغ إلى نصيحة أمه، وسمع صيحات إنسان يطلب النجدة فأسرع الفيل إليه وأنقذه ووصله إلى مدينته، وعاد الفيل إلى أمه ثم تفاجئ بعودة



الخطاب فأوقع الفيل في أسره، وقدمه للملك هدية، ولما عرف الملك قصة الفيل تركه يعود إلى أمه، وهذه القصة توضح طيبة الفيل الأبيض وفعله الخير، وغدر الخطاب له كما ذكرت أمه غدر الآدميين.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة الاقتباس في القصة في المواضع الآتية :

- فإن الحسنات يذهبن السيئات .
- قوله تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك نكرى للذاكرين ﴾ (سورة هود: ١١٤).

اقتبس كامل كيلاني هذه الآية من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك نكرى للذاكرين ﴾ وذكر هذه الآية في القصة ( فإن الحسنات يذهبن السيئات )، فالكاتب يجعل الطفل يتفاعل مع القصة، ويفكر في كل ما يفعله، ويهتم بالخير الذي يكسبه الحسنات، ويبعد عن الشئ الذي يعطيه سيئات، وذلك يحث الطفل على أهمية الأفعال التي تكسبه الحسنات ويتقرب بها إلى الله .

### قصة عجيبة وعجيبة

تدور أحداث القصة حول زواج الملكة عجيبة من الملك بسطام، وكانت تعيش معه في سعادة، ولكن في يوم رأت عجيبة فتاة تشبهها في سريها وعجز الملك عن التفرقة بينهما، وأقنعتها الساحرة أنها الملكة عجيبة وطرد عجيبة من القصر، وبعد مرور أيام وجد الملك بسطام رجلاً يشبهه، فعرف الحقيقة وقتل الساحرة، وكان السر في الخاتمين المسحورين الذي أعطته الساحرة بكرة لهما ليكونوا قادرين على التشبه بمن يريدوا، وعادت الملكة عجيبة إلى قصر زوجها، وأدركت أن مع العسر يسراً؛ لأن الحقيقة ظهرت وعادت لحياتها مع زوجها مرة أخرى.

استخدم كامل كيلاني ظاهرة الاقتباس في القصة في المواضع الآتية :

- قد أقنعتنا التجارب أن مع العسر يسراً، وأن البؤس إذ تناهى، وبلغت الشدة منتهاها؛ كان ذلك إيذاناً بالفرج، وزوال الحرج .
- قوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً ﴾ . (سورة الشرح :

اقتبس كامل كيلانى هذه الآية من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **إِن مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ وذكرها فى القصة، وذلك يجذب انتباه الطفل إلى تجاربه إن العسر نهايته يسر، وأن الشدة تنتهى بالفرج .

### قصة قاهر الجبابرة

تدور أحداث القصة حول سليمان الحطاب يعيش مع زوجته فى كوخ صغير فى قرية، وتبدل أحوال أهل القرية بسبب مجئ العملاق من الغابة، وأكل الكثير من الثمر والنبات ونفذت منابع الماء، واعترض العملاق فتاة كانت تملأ جرتها الصغيرة من الماء، وسمع الحطاب صوت الفتاة فأنقذها من العملاق، وسدد فأسه على العملاق وبذلك أطلق عليه قاهر الجبابرة، وعادت الفتاة إلى قرية الحطاب وعادت الماء إلى القرية كما كانت.

استخدم كامل كيلانى ظاهرة الاقتباس فى القصة فى المواضع الآتية :

- اصبرى يا عزيزتى، إن الله مع الصابرين .
- قوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ . ( سورة الانفال : ٤٦ )
- اقتبس كامل كيلانى هذه الآية من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **إِن مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ وذكرها فى القصة، وذلك يحث الطفل على الالتزام بالصبر .
- ليس أمامنا غير الصبر الجميل، حسبنا الله ونعم الوكيل .
- قوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾ . ( سورة المعارج : ٥ ) .
- قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ . ( سورة آل عمران :

( ١٧٣ )

اقتبس كامل كيلانى هاتين الآيتين من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **فَصَبِرْ جَمِيلًا** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾، وذلك يجعل الطفل يتفاعل مع أحداث القصة، ويجذبه إلى التفكير فى الصبر، ومدى جمال الصبر، واقتبس ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ ومعنى حسبنا الله ونعم الوكيل هو تفويض الأمر لله ، وذلك يلفت انتباه الطفل إلى ضرورة تفويض الأمر لله والتوكل عليه .

- كلا يا عزيزتي لا تندمن على فعل الجميل إن لكل شئ ثوابه إن الله لا يضيع أجر المحسنين.
- قال تعالى: ﴿ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾. ( سورة هود :١١٥).

اقتبس كامل كيلاني هذه الآية من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾، وذلك يؤكد أن جزاء الصبر هو الإحسان .

### تعليق حول استخدام التناصر والافتباس لدى كامل كيلاني

#### تعليق حول ظاهرة التناصر لدى كامل كيلاني

- تأثر كامل كيلاني بالتناصر الديني في قصصه .
- استخدم كلاً من التناصر بالقرآن الكريم والحديث الشريف .
- تفاعل الطفل مع أحداث القصة .
- تداخل النصوص مع بعضها .
- إدراك الطفل العلاقة بين النصوص وبعضها .
- الكاتب كامل كيلاني يدعو الطفل إلى حب الخير للآخرين، والوفاء بالعهد، والاحتفاظ بالسِر، وإكرام الضيف، والإيمان بالله واليوم الآخر، والأمل، والتقاؤل، والأمانة، وعدم الخداع والغش، وعدم التدخل في أمور الآخرين، وعدم التجسس والتصنت على الآخرين، والصبر مفتاح الفرج، ولكل بداية نهاية، ورد الأمانات إلى أصحابها، والعفو والتسامح بين الناس، والتعاون، ومساعدة الآخرين، وشكر الله على نعمه، والعدل أساس الملك، وعدم اليأس من رحمة الله، والرضا بقضاء الله وقدره، وانتصار الحق على الباطل، وانتصار المظلوم وأخذ حقه من الظالم .

#### تعليق حول ظاهرة الافتباس لدى كامل كيلاني

- تأثر الكاتب كامل كيلاني بالقرآن الكريم والحديث الشريف .
- إن التنوع في الافتباس يبين مدى تأثر كامل كيلاني بالدين وظهر ذلك في

قصصه .

- يتفاعل الطفل مع معانى كلمات القصة .
- يدعو الطفل إلى أهمية التفكير وإعمال العقل .
- أن استخدام الاقتباس القرآن الكريم والحديث الشريف يدعو الطفل إلى
  - التحلى بالصبر .
  - التفاؤل والأمل .
  - انتظار الفرج الذى يأتى بعد الصبر .
  - الإيمان بالله .
- التقرب إلى الله بالأفعال التى تكسب الإنسان الحسنات، والبعد عن كل معصية تعود بالسيئات عليه .

### قيمة استخدام التناص والاقتباس

- إعلاء القيم الدينية وترسيخها لدى الطفل.
- التطرق إلى النصوص الغائبة وما يدور حول أحداثها.
- زيادة مدارك الطفل العقلية والاجتماعية والدينية.
- تنمية الجانب المعرفي والثقافي لدى الطفل.
- عقد الصلات بين النصوص.
- استحضار الصورة.

### توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لخدمة القصص :

وظف كامل كيلاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لخدمة القصص، وذلك واضح فى ظاهرة التناص والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف. استطاع كامل كيلاني توظيف الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة فى كتابته للقصص من أجل تعليم الطفل المبادئ الإسلامية وتدعيم القيم الأخلاقية، ونلاحظ أن القصص تمدد الطفل بالصفات الإنسانية الرائعة وينفر الطفل من الصفات السيئة... مما يجعل للطفل شخصية مميزة مختلفة عن الآخرين.

نوع كامل كيلاني بين إتيان الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كما هي بدون تغيير في الكلام وهو الاقتباس، وبين إتيان الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة بأن يكون في مضمون الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث وهو التنصيص، وهذا التنوع يجذب انتباه الطفل، ويجعله يتعمق أكثر في قراءة القصة والاستفادة منها.

الأسلوب القصصي لكامل كيلاني هو أسلوب تربوي مؤثر في وجدان الطفل، وذلك عن طريق تنمية المهارات العقلية والمعرفية والوجدانية، وتنمية الوعي الديني لدى الطفل.

### النتائج الإحصائية الأسلوبية

نتائج تتعلق بأسلوبية الأديب كامل كيلاني

- لغة أدب الطفل التي قدمت من خلال قصص الكيلاني هي لغة سهلة بسيطة واضحة تناسب مستوى الطفل، كما أنه يزود الطفل بكلمات جديدة ويصبح لديه قاموس لغوي خاص به.
- هدف أدب الطفل هو تنمية قدرات الطفل العقلية واللغوية، ويساعده في تكوين ثقافته ونمو الطفل اجتماعياً وعقلياً وعاطفياً ووجدانياً.
- تعددت مصادر الأديب كامل كيلاني في كتابته قصص الأطفال، وذلك واضح في تأثره بالقرآن الكريم، والسيرة النبوية، والحديث الشريف، وترجمة القصص، وذلك يغرس القيم الدينية والأخلاقية والثقافية لدى الطفل.
- هدف الكيلاني هو رسم الحياة أمام الطفل كما هي حتى لا يصطدم بالواقع، ووظف الكيلاني الخيال من أجل الوصول إلى الواقع.

## المراجع

- القرآن الكريم .
- الاقتباس والتضمين فى نهج البلاغة ، كاظم عبد فريح الموالى ، ٢٠٠٦ م .
- البلاغة الواضحة ، على الجارم ، مصطفى أمين ، دار المعارف ، ١٩٩٩ م .
- التناص فى الخطاب النقدى والبلاغى، عبد القادر بقشى، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.
- التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبى ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف محمد بن إسماعيل أبوعبد الله البخارى ، المحقق محمد زهير بن ناصر، شرح و تعليق د. مصطفى ديب ، دار طوق النجاة ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- الجامع فى السنن والآداب والمغازى والتاريخ لأبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى، حققه وقدم له وعلق عليه محمد أبوالأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة بيروت، والمكتبة العتيقة تونس، ط ٢ ، ١٩٨٣ م ، باب فى الصمت والعزلة والقصد والحياء وحسن الخلق ، وذكر فى العبادة و شئ من مواعظ و حكم .
- دراسات فى النقد الأدبى الحديث ، محمد صلاح أبو حميدة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف: الإمام أبى زكريا يحيى ابن شرف النووي الدمشقي، تعليق وتحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ٢٠٠٧م، باب إكرام الضيف .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألبانى، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤م، باب



الترجيح النحوي عند ابن فرحون ت ٧٦٩ هـ  
من خلال كتابه: (العدة في إعراب العمدة)

أ.م.د. أيمن فتحي عبدالسلام زين  
أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد  
كلية دار العلوم، جامعة المنيا  
[ayman.hassan1@mu.edu.eg](mailto:ayman.hassan1@mu.edu.eg)

doi: 10.21608/jfpsu.2021.107380.1148



## الترجيح النحوي عند ابن فرحون ت ٧٦٩هـ من خلال كتابه: (العدة في إعراب العمدة)

### مستخلص

يعالج هذا العمل " الترجيح النحوي عند ابن فرحون المدني (ت ٧٦٩هـ) من خلال إعراباته للأحاديث النبوية التي اشتمل عليها كتاب "عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي" (ت ٦٠٠هـ)، من خلال أربعة محاور هي: الجملة الاسمية ونواسخها، ثم الفعلية ومكملاتها، ثم تعلق حروف الجر، ثم التوابع ومحل الجمل والأساليب. وتوصل العمل إلى نتائج منها أن الترجيح النحوي عند ابن فرحون يخدم اللغة باعتبارها نسقا اجتماعيا تتحكم فيه عدد من الأمور الخارجة عن قواعدها، كما أثبت البحث مدى اعتناء ابن فرحون بالجملة الفعلية لما لها من دور في بناء الخطاب بما تكتنفه أفعالها من تعدد في الدلالات على المستوى النحوي والمعجمي والسياقي المقامي مما أسهم في تعدد الاجتهادات والتأويلات، وظهر في هذا العمل دور المتلقي والمتكلم في الترجيح النحوي، كذلك توصل العمل إلى عدم تقييد ابن فرحون بمذهب نحوي معين، وإنما كان تحليله موضوعيا في ضوء المذاهب كلها واختار ما ناسب المعنى وإن كان نادرا أو قليلا على مستوى القاعدة مبتعدا عن التكلف.

**الكلمات المفتاحية:** ابن فرحون، الترجيح النحوي، التوجيه، التعلق، العدة في

إعراب العمدة.

## **The Grammatical Weighting of Ibn Farhoun al-Madani (769 AH) through His Book *Al-Oddah Fi Tierab Al-Omdah***

Dr. Ayman Fathy Abdulsalam Zain  
Assistant Professor  
Faculty of Dar Al Uloom, Minia University

### **Abstract**

This work deals with "the grammatical weighting of Ibn Farhoun al-Madani (769 AH) through his expressions of prophetic hadiths, which included the book "The Mayor of the Judgments of Abdel Ghani al-Maqdisi" (600 AH), through four axes: the nominal sentence and its copies, then the actual and its supplements, and then attached to the prepositions, then the minions and the place of sentences and methods. The work found results, including that the grammatical weighting of Ibn Farhoun serves the language as a social format controlled by a number of things outside its rules, and the research has also shown the extent to which Ibn Farhoun took care of the actual sentence because of its role in building the discourse because of the multiplicity of semantics in its actions at the grammatical, lexical and contextual level, which contributed to the multiplicity of jurisprudence and interpretations, and in this work the role of the recipient and speaker in the grammatical weighting, as well as the work reached a lack of compliance Ibn Farhoun had a certain grammical doctrine, but his analysis was objective in the light of all doctrines and chose what was the reason for the meaning, albeit rare or a little at the grass-roots level, away from cost.

**Keywords:** Ibn Farhoun, Grammatical Weighting, Guidance, Attachment, *Al-Oddah Fi Tierab Al-Omdah*.

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

فهذا بحث بعنوان "الترجيح النحوي عند ابن فرحون<sup>(١)</sup> من خلال كتابه" العدة في إعراب العمدة"، تناولت فيه ترجيحاته من خلال المصطلحات الدالة على الترجيح، نحو: (الراجح، أرجح، أولى، الصحيح، الظاهر، يرجح..... إلخ" التي ظهرت في إعرابه لنصوص الحديث النبوي التي اشتمل عليها كتاب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام للإمام الحافظ تقي الدين، أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي. (ت ٦٠٠هـ).

والذي دفعني لاختياره عدة أمور أولها: أن هذا الكتاب يعد أول كتاب فصل إعراب الأحاديث وتحليلها نحويًا وصرفيًا دون الاكتفاء بالمشكل منها، كما عند سابقه ممن ألقوا في هذا المجال، وثانيها أنه لم تقم عليه دراسة واحدة - فيما أعلم - تتناول الترجيح النحوي عند مؤلفه حتى الآن<sup>(٢)</sup>، وثالثها أن مؤلفه فقيه، وله مؤلفات عديدة في

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي القاسم، فرحون الدين أبو محمد البعمرى التونسي الأصل، مدني المولد والمنشأ المعروف بابن فرحون الفقيه المالكي (٦٩٣هـ - ٧٦٩هـ) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د:ت، ج ٤٥٤/١.

(٢) بعد البحث والتنقيب وجدت بعض الدراسات حول كتاب العدة لابن فرحون، جاء أولها بعنوان: (العدة في إعراب العمدة من أول كتاب الطهارة إلى كتاب الصلاة عند قوله: باب صفة صلاة النبي، دراسة وتحقيق)، وهي رسالة ماجستير من إعداد الباحثة فتحية عبد الرحمن حسن، وإشراف أ.د/ أمين علي السيد، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ١٩٩٥م. وتنقسم هذه الدراسة إلى قسمين: قسم للدراسة النظرية شمل أربعة فصول، وأولها خصص للحديث عن الكتاب وصاحبه، والثاني: أفرد للحديث عن موضوع الكتاب وأهميته والغرض من تصنيفه ومصادره ومنهجه، والثالث: تناول الدعائم الرئيسية (أصول النحو) التي استند إليها ابن فرحون، وخصص الرابع لبيان موقفه من العامل النحوي. أما القسم الثاني فخصص للتحقيق، وكما يظهر من عناوين الفصول أنها ليست منوطة بدراسة الترجيحات وجاءت الدراسة الثانية بعنوان: (العدة في إعراب العمدة من أول الكتاب إلى آخر كتاب الجنائز دراسة وتحقيق)، رسالة ماجستير إعداد الباحثة/ عبد الحفيظ حسن محمد الباشا، وإشراف أ.د/ علي إبراهيم إشتوي، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية بليبيا، كلية اللغة العربية، شعبة اللغويات، ٢٠٠٧م، وبالرجوع إليها نبين لي أن الباحث منوط بتحقيق الكتاب ودراسته دراسة عامة توصل من خلالها إلى أنه: عرّفنا على كتاب جديد يمثل ثقافة مؤلفه وهو إضافة للمكتبة العربية، وأن المؤلف نهج نهج الدماميني وابن مالك في الاحتجاج بالحديث والاعتداد به مصدرا من المصادر السماعية لإثبات القواعد، وأن مؤلفه اعتمد على مصادر متنوعة في النحو واللغة والتفسير" وهذه النتائج لا علاقة لها بترجيحات ابن فرحون كما هو واضح، كما أن مجموع الأبواب التي تناولتها كلتا الدراستين هي ثلاثة أبواب مع أن الكتاب شمل خمسة عشر بابا هي (الطهارة - الصلاة - الجنائز - الزكاة - الصيام - الحج - البيوع - النكاح - الطلاق - اللعان - الفصاص - الأطعمة - الأشربة - اللباس - الجهاد).

وأما الدراسة الثالثة فحملت عنوان: المباحث النحوية في كتاب العدة لابن فرحون المدني (٧٦٩هـ) منصوبات الأسماء أنموذجا، للباحثة: هيام عبد الله حرج، مجلة كلية الآداب، جامعة الأنبار للغات والآداب، ٢٠١٩، ص ص

الفقه، ورغم ذلك فالكتاب منوط بمعالجة جانب مهم من أدق جوانب النحو هو التحليل في ضوء السياق والمعنى، وهذا بلا شك قد يعطي نتائج تفيد في أثر الفقهاء في التفكير النحوي من ناحية، ونتائج أخرى تزدُّ على ما أتهم به النحاة من أنهم يفرضون القواعد على اللغة فرضاً، لاسيما أن الكتاب يعالج مستوى لغويًا من اللغة المسموعة هو الحديث الشريف وهو محل خلاف بين النحاة.

#### أهداف الدراسة:

لقد قمت بدراسة المسائل النحوية التي استعمل فيها ابن فرحون عبارات الترجيح

هادفاً إلى ما يلي:

- ١- التعرف على شخصية فقهية ونحوية في آن واحد لم تتل حظها من الاهتمام من قبل الباحثين، ومعرفة مذهبه النحوي، وعلاقته بالمذاهب الأخرى، والانفرادات التي انفرد بها من خلال الترجيح.
- ٢- بيان أثر الفقه في الترجيح النحوي عنده، ومعرفة رأيه تطبيقياً في الاستشهاد بالحديث النبوي على القاعدة النحوية لاسيما القواعد التي هي محل خلاف بين النحويين ومدى الاعتماد على ذلك في تيسير النحو.
- ٣- توضيح طبيعة القياس النحوي عند ابن فرحون من خلال الجوازات النحوية التي يقدمها ويرجح الكثير منها وموقفه من النادر والقليل من الوجوه النحوية.
- ٤- معرفة أثر الشواهد القرآنية في معالجة نصوص الحديث النبوي وتحليلها ومدى التوافق بينهما والتعويل عليها في الترجيح.
- ٥- إبراز أثر المعنى والسياق اللغوي والمقامي بظروفه المختلفة في الترجيح النحوي

١٠٦ - ١٢٤. تناولت الباحثة فيها المنصوبات ممثلة في: النداء والاختصاص والإغراء والتحذير، والحال، والتمييز،... إلخ مكتفية بعرض طريقة ذكرها عند ابن فرحون وكيف تعامل النحاة معها ولم تشر للترجيح مطلقاً.  
وأما الدراسة الرابعة فجاءت بعنوان "التأويل بالحدف عند ابن فرحون في كتابه العدة في إعراب العدة"، للباحثين: جلال محمود داود، محمد حسن عواد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية/ غزة، مج ٢٩، ع ٣، ٢٠٢١م، ص ص (٣٩٨-٤٢٧) واهتم الباحثان ببيان صور الحذف عند ابن فرحون وعلاقتها بنظرية العامل دون أي إشارة إلى فكرة الترجيح.

**تساؤلات الدراسة:**

هناك العديد من التساؤلات التي يطرحها هذا العمل منها: ما طبيعة الترجيح النحوي عند ابن فرحون؟، وهل هو ترجيح قواعدي يكتفي بقواعد اللغة وحدها أم يضيف عوامل أخرى متنوعة من خارج اللغة تسهم بدور بارز في الترجيح؟ وما حقيقة العلل التي قدمها في ترجيحاته هل هي الأخرى لغوية خالصة؟ أم أنّ هناك عللا من خارج اللغة؟، وهل يمكن من خلال معالجة ابن فرحون للحديث الشريف مستأنسا في غالب تحليلاته بشواهد القرآن الكريم دحض رأي من أنكر الاستشهاد بالحديث من خلال التشابه العميق بين المصدرين على مستوي التراكيب؟

**المنهج المعتمد:**

اتخذ البحث من المنهج الوصفي سبيلا لدراسة ترجيحات ابن فرحون، حيث قمت بوضع عنوان للمسألة خاصة عند اختلاف المسائل المعالجة، واقتصرت على موضع الشاهد في الحديث إن كان سياقه واضحا، وأذكر جزءا من متن الحديث بقدر ما يتضح به الشاهد إن كان غير واضح، ثم أحلل كلام ابن فرحون على ضوء كلام النحاة القدامى من ناحية والمناهج النحوية الحديثة كالتداولية من ناحية أخرى.

**المادة عينة الدراسة:**

اعتمدت الدراسة على كتاب "العدة في إعراب العمدّة تأليف: بدر الدين أبو محمد عبد الله ابن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن فرحون المدني، تحقيق: مكتب الهدى لتحقيق التراث، أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، الناشر: دار الإمام البخاري - الدوحة، قطر، ط١، د: ت.

**أبعاد الدراسة:**

اقتضت طبيعة العمل أن أقسمه إلى أربعة مباحث تسبقها مقدمة بينت فيها أهداف الدراسة والمنهج المعتمد والدراسات السابقة... إلخ. وتعبها خاتمة بها أهم النتائج ثم مصادر الدراسة ومراجعتها. أما المباحث فجاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: ترجيحات ابن فرحون في الجملة الاسمية ونواسخها. وجاء الثاني بعنوان: ترجيحات ابن فرحون في الجملة الفعلية ومكملاتها. وأردفه الثالث بعنوان: ب: ترجيحات ابن فرحون في تعلق حروف الجر. وتبعه المبحث الرابع ليعالج: ترجيحات ابن

فرحون في التوابع ومحل الجمل والأساليب، والحمد لله أولاً وآخراً.

## المبحث الأول

### ترجيحات ابن فرحون في الجملة الاسمية ونواسخها

يعرض هذا المبحث ترجيحات ابن فرحون في الجملة الاسمية، وشملت: حذف المبتدأ، وحذف الخبر، وتقديم الخبر على المبتدأ، كذلك يعرض ترجيحاته في نواسخ الجملة الاسمية، ومنها: لزوم اقتران خبر كان الماضي بقد، وأيها يكون خبرا ليس عند مجيء جارين ومجرورين بعدها، وخبر لا النافية للجنس.

#### أ- ترجيحاته في الجملة الاسمية:

**حذف المبتدأ في قوله:** "... أَلَا أَعْلَمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟

يقول ابن فرحون: "قوله: "ولا يكون أحد أفضل منكم": يحتمل أن يكون في محلّ حال من ضمير "تسبقون"، ولكنها جاءت بـ "الواو"، وقد تجيء الحال المنفيّة بـ "لا" كالمثبت في قلة مجيئه حالاً بـ "الواو". فالأصحّ أنّه خبر مبتدأ محذوف، وهو عند ابن عصفور بخلاف المثبت، أي أنّه يجيء بـ "الواو" فصيحاً." (١)

رجّح ابن فرحون كون جملة "ولا يكون أحد أفضل منكم" خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هو" وذلك لأنه ذكر قبل ذلك مواطن مجيء الواو قبل جملة الحال ومواطن امتناعها، ومن مواطن الامتناع مع: المضارع المنفي بـ "لا"، نحو: {وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ} [المائدة: ٨٤]. (٢)

وفي نص ابن فرحون السابق نجده حلل التركيب في ضوء رأي ابن عصفور الذي يرى فصاحة مجيء الحال مع المضارع المنفي بالواو، ثم رجح ما رآه صواباً موافقاً لجمهور النحويين. وجواز الواو لم ينسب لابن عصفور وحده بل نسبته السيوطي في الهمع لابن خروف، ونسب عند الشاطبي إلى الفارسي وغيره، وعند ناظر الجيش لابن عمرو

(١) العدة في إعراب العمدة تأليف: بدر الدين أبو محمد عبد الله ابن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن فرحون المدني، تحقيق: مكتب الهدى لتحقيق التراث، أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، الناشر: دار الإمام البخاري - الدوحة، قطر، ط١، د: ت: ج: ٨٤/٢، وانظر قريباً من هذا النص: توضيح المقاصد والمسالك: ج: ٧٢١/٢.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج: ٢١٠/١. وهذه المواضع السبعة نقلها نقلاً عن أوضح المسالك إلى حل ألفية ابن مالك لابن هشام، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د: ت: ج: ٢٨٩/٢.

كذلك. (١)

ونسب ابن عقيل إلى ابن مالك أنه قال بالرأيين يقول: "ويدخل تحت هذا أيضا المضارع المنفي بلا، فعلى هذا تقول جاء زيد ولا يضرب عمرا بالواو. وقد ذكر المصنف في غير هذا الكتاب أنه لا يجوز اقترانه بالواو كالمضارع المثبت وأن ما ورد مما ظاهره ذلك يؤول على إضمار مبتدأ. (٢) وقال الشاطبي: "ولا يدري ما مذهبه حين نظم هذه الأرجوزة، وحكى في التسهيل أن الواو قد تدخل على المضارع المنفي بلا." (٣) وعللوا السبب في ذلك بقولهم: "لأن المضارع المنفي بـ"لا" بمنزلة اسم الفاعل المضاف إليه "غير"، فجرى مجراه في الاستغناء عن الواو، ألا ترى أن معناه: ما لنا غير مؤمنين، فكما لا يقال: ما لنا وغير مؤمنين لا يقال: ما لنا ولا نؤمن. قاله ابن مالك في شرح الكافية." (٤)

### حذف الخبر في قوله: ( مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟ فَقَالُوا: ابْنُ الْأَكْوَعِ )

يقول ابن فرحون: "قوله: "فقالوا: ابن الأكوع": "ابن مرفوع، فاعل فعل محذوف، أي: "قتله ابن الأكوع". ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: "هو ابن الأكوع". ويجوز أن يكون مبتدأ، وخبره محذوف، أي: "ابن الأكوع قتله"، وهذا أولى لمطابقة السؤال." (٥) يعد سياق السؤال من السياقات التداولية التي تخضع حركتها للمخاطب والمخاطب وطبيعة الخطاب، ومن ثم تكون صياغة السؤال والجواب بناء على هذه الثلاثية، وينبغي للجواب أن يكون مطابقا للسؤال كما نص كثير من النحاة المتأخرين كالرضي والرمثاني والمرادي وغيرهم، ونظرا لأن عملية التساؤل تكون بحضور المتكلم

(١) انظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، دراسة وتحقيق: أ.د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ. ج٥/ ٢٣٤٠، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) للشاطبي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م: ج٣/ ٥١٦، وجمع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداري، المكتبة التوفيقية - مصر. د. ت. ج٣/ ٣٥، (٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، ط٢٠٠٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ج٢/ ٢٨٢.

(٣) المقاصد الشافية: ج٣/ ٥١٥.

(٤) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاني الأزهرى: دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ج١/ ٦١٢.

(٥) الغدة في إعراب الغمدة: ج٣/ ٥٢٥.

والمخاطب، فإنها تنحو نحو الاختصار والحذف لفهم المعنى، وثقة بفهم المستمع<sup>(١)</sup>، والحذف هنا يكون بناء على وجود قرينة تدل على المحذوف في سياق السؤال المتقدم. وهذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها النحاة، فيرى ابن مالك أن المحذوف هو الفعل في جواب: من قرأ؟ وهو على غرار السؤال المذكور في الحديث، ولذا قال في الألفية:

ويرفعُ الفاعلَ فعلٌ أُضْمِرًا ... كمثلِ زيدٍ في جوابٍ من قرأ

لكن من النحاة من اعترض على ابن مالك وقال بأن الأولى أن يوافق الجواب السؤال، يقول المرادي: "وهذا المثال يحتمل أن يكون "زيد" فيه مبتدأ محذوف الخبر، أي: زيد القارئ، وهو الأظهر؛ لأن الأولى مطابقة الجواب للسؤال. والأحسن أن يقال: كمثل زيد في جواب: هل قرأ أحد؟<sup>(٢)</sup> وقال المكودي: "ويجوز في (زيد) المثال أن يكون فاعلا والتقدير (قرأ زيد) وأن يكون مبتدأ محذوف الخبر وهو أجود لمطابقة الجواب للسؤال، فإن السؤال جملة اسمية"<sup>(٣)</sup> ومنهم من لم يعترض ورأى الوجهين جائزين، واستشهد لهما بشواهد من القرآن نحو قوله تعالى: {وَلَوْنٌ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} ﴿٩﴾ سورة الزخرف. وقوله: {وَلَوْنٌ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} ﴿٨٧﴾ سورة الزخرف.<sup>(٤)</sup>

هذا، وقد نقل السيوطي عن ابن الزمكاني في الزهارة: وَالَّذِي تُوجِبُهُ صِنَاعَةُ عِلْمِ الْبَيَانِ فِي الْفَاعِلِ الَّذِي حُذِفَ فِعْلُهُ فِي إِجَابَةِ سُؤَالٍ: أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ لُوجْهِينَ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُطَابِقُ الْجُمْلَةَ الْمَسْئُولَ بِهَا فِي الْإِسْمِيَّةِ، كَمَا وَقَعَ النَّطَابِقُ فِي قَوْلِهِ: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ قَالُوا خَيْرٌ} [النحل: ٣٠] فِي الْفِعْلِيَّةِ ... الثَّانِي: أَنَّ اللَّبْسَ لَمْ يَقَعْ عِنْدَ السَّائِلِ إِلَّا فِيْمَنْ فَعَلَ الْفِعْلَ، فَوَجَبَ أَنْ يَتَقَدَّمَ الْفَاعِلُ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ غَرَضِ السَّائِلِ، وَأَمَّا الْفِعْلُ فَمَعْلُومٌ عِنْدَهُ؛ وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى السُّؤَالِ عِنْدَهُ، فَحَرِيٌّ أَنْ يَقَعَ فِي

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ٣/ ٤٩٢.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م، ج ٢/ ٥٨٧.

(٣) شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف للإمام جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي الأندلسي المالكي، تأليف: أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، تحقيق د. عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ١/ ٩١.

(٤) انظر: المقاصد الشافية: ج ٢/ ٥٦٣.



الأواخر التي هي محل التكميلات والفضلات. (١)

وعلى ضوء هذا حلل ابن فرحون، فإذا كانت اللغة تنتج عدة احتمالات ممكنة في تفسير الجواب، فإن منها ما يناسب ما يقصده السائل/المتكلم ومنها ما لا يناسبه، ففي السؤال السابق: من قتل الرجل؟ فالسؤال يتوجه إلى معرفة القاتل، و(من) الاستهامية تستفهم عنه، فقالوا: ابن الأكوغ.

وهذه الإجابة يمكن تحليلها على ثلاثة احتمالات ممكنة نحويًا كما قال ابن

فرحون:

أولها: أن يكون التقدير: (قتله ابن الأكوغ) فتعرب كلمة "ابن" فاعل لفعل محذوف دلّ عليه (قتل) في السؤال، وهذه الإجابة غير مطابقة للسؤال، وكأنّ تصدر التقدير النحوي هنا بالفعل مخالف لما يطلبه السائل لأن الفعل (القتل) معلوم وواقع وإنما يسأل عن الفاعل.

الثاني: يكون التقدير: (هو ابن الأكوغ) ف"ابن" خبر لمبتدأ محذوف، وهذا الاحتمال مع أنه أجاب عن السؤال لكنه غير موافق له؛ لأن (ابن الأكوغ) خبر، وفي السؤال عنه بـ"من" وقع مبتدأ، وهو هنا جعله في المؤخرة وهذا مخالف تواصلياً.

الثالث: تقديره (ابن الأكوغ قتله) فكلمة (ابن) هنا مبتدأ وخبره محذوف، وهذا أولى لأنه مطابق للسؤال تمام المطابقة حيث وقعت الإجابة بالمسئول عنه كما بالسؤال وهذا ما يجله السائل، وعليه يكون ابن فرحون في ترجيحه مهتماً بما يحقق التواصل الفعال بين المتكلم والمخاطب، وأن المخاطب والمخاطب لهما دور في التحليل النحوي.

حذف الخبر في قوله: ( وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْعَدُوَّةُ خَيْرٌ

مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)

يقول ابن فرحون: "قوله: "أَوْ الْعَدُوَّةُ": أي: "أَوْ الْعَدُوَّةُ يَغْدُوها الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ"، فحذف جملة "يغدوها" والمتعلق بها وخبرها، واكتفى بـ"الرَّوْحَةُ" وما يتعلّق بها. ويحتمل أن يكون "خَيْرٌ" خبر "الْعَدُوَّةُ"، وخبر "الرَّوْحَةُ" محذوفٌ يدلُّ عليه خبر الثاني، والأول أنبين. (٢)

(١) انظر: معترك الأقران: ج٣/٤٩٢-٤٩٣.

(٢) العدة في إعراب العمدية: ج٣/٥٠٦.

تتجلى البلاغة النبوية في هذا الحديث من خلال الاحتباك المتشابه - من وجهة نظري - حيث إن التقابل بين الروحة والغدوة يفسر بعضه بعضاً، وقد أحسن ابن فرحون في تحليله له وإن لم يسمه بهذا الاسم، ويمكن توضيح التقديرات النحوية التي ذكرها ابن فرحون ورجح واحداً منها على النحو التالي:

( خير من الدنيا وما فيها )	الروحة يروحها العبد في سبيل الله
(.....)	أو الغدوة (.....)
(.....)	الروحة يروحها العبد في سبيل الله
( خير من الدنيا وما فيها )	أو الغدوة (.....)

فابن فرحون يرى أنه يجوز أن يكون المقصود: الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، والغدوة مثلها بالكيفية نفسها، فحذف المتعلق بالغدوة وخبرها لدلالة المتعلق بالروحة وخبرها عليه، وبهذا يكون ما قبل العطف كلاماً تاماً لا حذف فيه، ومن ثم يمكن إكمال الجملة المعطوفة بناءً على فهم جملة المعطوف عليه، لاسيما مع وجود علاقة التقابل بين الروحة والغدوة، كما يجوز أن نجعل (خير) خبراً للغدوة، وخبر الروحة محذوف يدل عليه خبر الثاني، لكن الراجح هو الأول لأنه واضح في معناه، والحذف اتساع، والاتساع بابه آخر الكلام ووسطه لا صدره وأوله كما ذكر ابن جني<sup>(١)</sup>، وهو مبدأ يتعلق بالتواصل.

تقديم الخبر في قوله: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي السَّفَرِ، فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ. قَالَ: فَتَرَلْنَا مَنْزِلًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ، وَأَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبِ الْكِسَاءِ... " يقول ابن فرحون: "قوله: "وأكثرنا ظلاً صاحب الكساء": "أكثر" مُبتدأ، وهو أفعال التفضيل، و"ظلاً" تمييز، و"صاحب الكساء" خبر المُبتدأ. وفصل بالتمييز بين المُبتدأ والخبر؛ لأنه من صلة "أفعل"، ولأنه المقصود من الجملة الخبرية. ويجوز أن يكون "صاحب الكساء" مُبتدأ، والخبر مُقَدَّم عليه، ويكون التقدير: "وصاحب الكساء أكثرنا ظلاً". وهذا أحسن. " (٢)

(١) الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، دط، ١٩٥٢م، ج ٢٩١/١.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ٢/ ٣٥٦.

ذكر النحاة أن الفصل بين ركني الإسناد على خلاف الأصل، وذكر التمييز هنا مقصود في الحديث، حيث إن النبي وأصحابه كانوا في يوم حار، ولا يجدون ما يستظلون به، ومن ثم فأكثرهم ظلًا من له كساء يلقيه على رأسه. فذكر الظل هنا مقصود فوجّه التركيب عليه لكنه لا يرجح هذا الوجه بسبب مخالفة الأصل القواعدي بالفصل بين ركني الإسناد بالتمييز، ومن ثم يوجهه بوجه آخر يحافظ على المقصود من ناحية ويوافق القواعد من ناحية أخرى من خلال عكس الوظائف والمواقع، وهذا جائز هنا؛ لأن كلا من طرفي الإسناد صالح لجعله مبتدأ وخبراً، ولأن الحديث سيق لأجل بيان جواز الصيام والإفطار في السفر وليس لأجل الحديث عن أكثر الناس ظلاً.

ب - ترجيحاته في نواسخ الجملة الاسمية:

**مسألة عدم لزوم اقتران خبر كان الماضي بقد: (... وَكَانَتْ أُمُّ سَلْمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ أَتْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ ...)**

يقول ابن فرحون: "قوله "وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا": "كان" واسمها وخبرها، الخبر جملة "أتتا"، وفاعل "أتتا" الألف... وشرط بعضهم في خبر "كان" إذا كان ماضيًا اقترانه ب"قد"، والصحيح أنه لا يلزم، وعلى ذلك أكثر الأحاديث.<sup>(١)</sup>

خرج ابن فرحون الجملة الفعلية المصدرة بالفعل الماضي "أتتا"، على أنها خبر كان موافقا لجمهور البصريين، ومعترضا على الكوفيين الذين لم يستحسنوا وقوع الماضي في خبرها، فإن وقع قدروا معه "قد" ظاهرة أو مضمرة، وحجتهم أن أحد الفعلين الماضيين يغني عن الآخر فتقدر "قد" لأنها تقرب الماضي من الحاضر، والحقيقة أن السماع فاش في جواز هذا الوقوع دون تقدير "قد" كما ذكر كثير من النحويين.<sup>(٢)</sup>

**مسألة: أي الجارين خبر ليس في قوله: "لا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ فِي الثُّوبِ الْوَّاحِدِ، لَيْسَ عَلَى عَاتِقِهِ مِنْهُ شَيْءٌ؟"**

يقول ابن فرحون: "ليس على عاتقه منه شيء": "ليس" من أخوات "كان"، ترفع

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٢٣١/٢.

(٢) انظر: شرح الرضي على الكافية، تحقيق د. يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس - ليبيا. ط ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م، ج ١٤٣/٢، والتذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د. حسن هندأوي، دار القلم - دمشق (الأجزاء من ١-٥)، ط ١، ١٤١٩ هـ: ١٩٩٨ م، ودار كنوز إشبيلية (الأجزاء من ٦: ١٣)، ط ١، ١٤٣٣ هـ:، ج ١٥١/٤، وتمهيد القواعد: ج ٣/١٠٩٥.

الاسم وتنصب الخبر، الخبرُ مقدرٌ، يتعلق به "على" ... قوله: "ليس على عاتقه منه شيء": إِنَّ جَعَلَ الخبر في "منه" ضعيفٌ ؛ لأنَّ الخبر حيث تستقر الفائدة، والفائدة هنا في قوله: "على عاتقه" أقوى، لأنها محطُّ الفائدة، إذ التقدير: "ليس شيء مستقرًا على عاتقه منه"، وعلى هذا المعنى. وأما إن جعلت "منه" الخبر كان التقدير: "ليس شيء موجودًا على عاتقه كائنًا منه"، فيتعلّق "على عاتقه" بحال من "شيء" على أنه صفة في الأصل، فيقتضي نفي وجوده حال وجوده على عاتقه، وليس كذلك، فترجّح الأول بجريانه مع المعنى. (١)

إن الإشكال الموجود في الحديث هو أنّ في الحديث مجرورين متقدّمين على الخبر، وهو نكرة، فمتى جعلت أحدهما متعلقًا بالخبر جعلت الآخر صفة متقدّمة حالًا، وكل منهما صالح قواعديا للخبرية، لكن ليس كل منهما صالحا لتحقيق التواصل وقصد الكلام، ومن ثم يكون الراجح فيها هو الذي يحقق التواصل والفائدة، وهذا كائن في أحد التقديرين دون الآخر، وهذا الحديث يشبه حديث "كنت مع النبي في سفر" فكون الجار والمجرور "على عاتقه" متعلقًا بخبر (ليس) يفيد ما قصده النبي في حصول الستر، لكن حين نجعل الجار والمجرور "منه" الخبر كان التقدير: "ليس شيء موجودًا على عاتقه كائنًا منه" وهذا لا فائدة فيه؛ لأنه يقتضي نفي وجوده حال وجوده على عاتقه، وليس هذا هو المقصود فترجّح الأول بكونه جاريا مع المعنى كما ذكر.

مسألة خبر ليس في قوله: (... وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ

كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ...)

يقول ابن فرحون: "قوله: "وليس كذلك": اسم "ليس" ضمير يعود على "المدعو"، و"كذلك" في محل خبرها، أي: "وليس المدعو كائنًا كذلك". ويحتمل أن تكون "الكاف" خبر "ليس"، و"ذلك" مُضافٌ إليه، وفيه بُعد، والأوّل أشدّ معنى. (٢)

لحرف الكاف معان متعددة ووظائف نحوية بحسب السياق الذي يرد فيه من ناحية وبحسب التصنيف النحوي لها بين الاسمية والحرفية من ناحية أخرى، وقد ذكر ابن فرحون في مواضع أخرى من كتابه هذه المعاني وتلك الوظائف، يقول في أحدها: الكاف

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٢/٢٣٢.

(٢) السابق: ج ٣/٢٦٥.

حرف تشبيهه، وتختص اسميتها بالشعر على الأصح، وتجيء زائدة، وتوافق على... وللتعليل... (١).

ومن ينظر إلى التوجيه السابق لابن فرحون يلحظ أن الوجه الأول يجعل فيه الكاف حرفاً للتشبيه أو حرف جر زائداً للتأكيد، ومن ثم فذلك "تعرب خبراً للناسخ" ليس، وعلى هذا الأساس لا يتعلق حرف الجر بالفعل الناقص، فقدّر له ما يصح أن يتعلق به وهو "كائناً"، وهذا التوجيه مرجح عنده وهو أفضل من الوجه الثاني الذي جعل الكاف فيه اسماً بمعنى "مثل" وعليه يكون هو الخبر للناسخ، ويعرب اسم الإشارة بعده مضافاً إليه، وأرى أن عدم ترجيح هذا الرأي عنده راجع إلى معنى المماثلة، لأن التقدير: وليس المدعو مثل ذلك، فالمماثلة تعني أنها قد تكون في كل شيء وهذا ليس مقصوداً أما تقدير "كائناً" لا يعني المطابقة في كل شيء. أي: ليس كافراً ولا عدواً لله.

**مسألة جر خبر لا النافية للجنس في قوله: فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، بِلا أَدَانٍ**

**وَلَا إِقَامَةَ...**

يقول ابن فرحون: "و"لا" هنا عند الكوفيين اسم بمعنى "غير" لدخول حرف الجر عليها. و"أَدَانٍ" مخفوضٌ بالإضافة إليها، ومثله قوله: "خرجت بلا زاد"، و"جئت بلا شيء". **والصحيح:** أنّ "أَدَانٍ" مجرور بـ "الباء"، و"لا" دخلت بين حرف الجر والاسم لمعناها من النفي، فهي زائدة بين "الباء" ومعمولها... (٢).

يبدو من النص السابق أن ابن فرحون يوافق رأي البصريين في كون "لا" في "بلا أَدَانٍ" ولا إقامة زائدة أو لغوا باعتبار العمل، لا المعنى، ومن ثم فكلمة أَدَانٍ مجرورة بالباء، ولقد ذكر المرادي رأي الكوفيين وعلى أي شيء قاسوه، يقول المرادي: "وحكى بعضهم، عن الكوفيين، أن لا في قولهم: جئت بلا زاد، اسم بمعنى غير، لدخول حرف الجر عليها، كما جعلت "عن وعلى" اسمين، إذا دخل حرف الجر عليهما. ورد بأن "عن وعلى" لم تثبت لهما الزيادة، فلذلك حكم باسميتهما، بخلاف "لا"، فإنها قد تثبت لها الزيادة. (٣)، ووافق بعض المعاصرين رأي الكوفيين ورأوه أقرب منهم د. السامرائي، قائلاً:

(١) العدة في إعراب العدة: ج ١/٢٦٨.

(٢) السابق: ج ٢/١٣٣ - ١٣٤.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م: ص ٣٠١، وانظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي

وعند الكوفيين أن (لا) هنا اسم بمعنى (غير) والمعنى جئت بغير زاد، وما بعدها مجرور بالإضافة. وهذا القول أقرب إلى المعنى. (١) وعلى أية حال فقد لاحظنا أن ابن فرحون بعد أن حلل التركيب في ضوء المذاهب النحوية للمدرستين رجح رأي البصريين.

## المبحث الثاني

### ترجيحات ابن فرحون في الجملة الفعلية ومكملاتها

تعد ترجيحات ابن فرحون في الجملة الفعلية أكثر عددا إذا ما قورنت بسابقتها، وذلك راجع من وجهة نظري لتعدد قضاياها ومسائلها وتنوع مكملاتها من ناحية، ودورها في بناء الخطاب من ناحية أخرى، لذا شملت ترجيحاته دلالة الأفعال معجميا وسياقيا وما يترتب على ذلك من ارتباط العناصر المكملة لبناء الجمل بها، كما شملت حركة الفعل الإعرابية بين الرفع والجزم تارة، وبين النصب والرفع تارة أخرى، كذلك حذف الفعل، ثم تناول المكملات وإعراباتها في ضوء السياق اللغوي والمقامي، ولعل هذا يتضح فيما يلي:

#### أ- في الجملة الفعلية:

مسألة " رأى " هل هي بصرية أم علمية في قوله: (فما رأيت رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - استنَّ استنَّنا أحسن منه)

يقول ابن فرحون: " قولها: "فما رأيتُ النبي -صلى الله عليه وسلم- استنَّ: "ما" نافية، والرؤية بصرية، وجملة "استنَّ" في محلِّ حال، أي: "مستنَّنا". ويحتمل أن تكون الرؤية بمعنى العلم؛ فتكون جملة "استنَّ" في محلِّ المفعول الثاني. وهو أحسن. (٢)

يخضع التحليل النحوي في النص السابق للاعتبارات التي يتبناها المحلل في دلالة الفعل التي يبرزها السياق وتتحكم في نوعية العناصر المرتبطة به وظيفيا، فالرؤية في الحديث قد تحمل دلالتها على معنى ( رأى البصرية)، أي أن أمنا عائشة ما أبصرته بعينها حال استنانه يفعل كما فعل هذه المرة، ومن ثم يكون التفضيل قاصرا على ما أبصرته بعينها هي فقط. وقد تحمل دلالتها على ( رأى القلبية) أي بمعنى العلم والذي يعني

حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣/١٢١٤.

(١) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١/٣٦١.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ١/١٧٨.

الإدراك الكلي لحقيقة استئنان النبي، وهو أقوى من دلالة البصر؛ لأنها تشمل ما رآته وما نقل إليها من استئنانه من قبل آخرين، فكأنها تريد القول بأنها لم تر ولم ينقل إليها أحد استئنانا للنبي هو أفضل من ذلك، وهذا يتطلب مفعولين يكون أحدهما هو النبي والثاني هو الجملة الفعلية "استئن" أي مستئنا.

والحقيقة أن النفي بـ"ما" - من وجهة نظري - يدل على مراقبة زوجته له في أفعاله لدرجة أنه حصل لديها علم وإدراك كلي لاستئنانه وليس قاصراً على ما رآته هي في هذه الحال، لكن الذي أريد أن أؤكد عليه هنا أن كلتا الداليتين يحتملها السياق لكن ما رجحه ابن فرحون مبني على الولوج إلى عالم النص وما يحيط به من ظروف وملابسات.

مسألة "رأى" هل هي بصرية أم علمية في قوله "هل على المرأة من غسل إذا هي احتملت، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَعَمْ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ"

يقول ابن فرحون: "والرؤية يحتمل أن تكون علمية؛ فتتعدى إلى مفعولين، الثاني مُقَدَّر، أي: "إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ مُوجُودًا" أو غير ذلك. قال أَبُو حَيَّان: وحذف أحد مفعولي "رأى" وأخواتها عزيز ... **وَالظَّاهِرُ أَنَّ الرُّوْيَةَ بَصْرِيَّةٌ؛ فَيَتَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ. وَيُنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّهَا أَنْزَلَتْ وَلَمْ تَرَهُ أَنَّهُ لَا غَسْلَ عَلَيْهَا.**" (١)

لعل تحليل ابن فرحون لهذا الحديث يستدعي طرح عدد من الإشكالات المهمة تجاه التحليل وهي: أليس الفعل المتحدث عنه هذه المرة هو الفعل (رأى) نفسه موضع الحديث في الشاهد السابق ودلالته بين البصرية والعلمية؟ وإذا كان كذلك فلماذا استدعي كلام أبي حيان الذي يفيد أن حذف أحد مفعولي رأى العلمية عزيز، ولماذا رجَّح هذه المرة كونها بصرية؟ وما الفرق بين هذا الحديث والحديث السابق (فما رأيت رسول الله استئن)؟

لقد اعتمد ابن فرحون على عدد من المرجحات لكونها هنا بصرية منها: أن عدد العناصر المرتبطة بالفعل (رأى) واحد وهو (الماء) بينما في الحديث السابق يوجد عنصران أساسهما المبتدأ والخبر، وهذا جعله يستدعي نص أبي حيان ليعتمد عليه في تدعيم كونها بصرية؛ لأن حذف أحد مفعوليهما حين تكون علمية عزيز، وهذا كله يدخل في الجانب النحوي القواعدي.

(١) السابق: ج ١/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

لكن - من وجهة نظري - هناك مرجح يتجاوز القواعد مراعيًا ظروف النص وملابساته وطبيعة المتحدث عنه، كما تتدخل فيه عدد من الكفايات التداولية والموسوعية عبّر عنها بيان ابن فرحون لعلاقة النحو بما يبنى عليه من أحكام فقهية!، فلست أرى أنه رجح أنها بصرية بسبب ما نقله عن أبي حيان من قلة حذف أحد مفعولي رأى العلمية، فقد عهدنا عن ابن فرحون أنه لا مانع عنده من أن يخرج في ضوء القليل ويدافع عنه طالما وافق المعنى والسياق، لكن السبب الحقيقي هو أن المُتحدِّث عنه وهو الحيض لا يحتاج إلى مجرد التصور الكلي له، ولكن يحتاج إلى المعاينة الحسية والمشاهدة في كل مرة، وهذا لا يتحقق إلا بالبصر، ولذا قال ابن فرحون مختتمًا كلامه "وينبني على ذلك أنّ المرأة إذا علمت أنّها أنزلت ولم تره أنّه لا غسل عليها" وفي هذا أكبر دليل على أن المشاهدة بالبصر فيما يتعلق بالحيض أدل على المعنى من الرؤية العلمية.

**مسألة الفعل "اشتكى" بين التعدي واللزوم: "عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -**

**قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم...**

يقول ابن فرحون: "ويحتمل أن يكون "اشتكى" متعديًا، أي: "اشتكى رأسه"، وقد جاء في الحديث أنه قال - صلى الله عليه وسلم - لعائشة - رضي الله عنها -: "وا رأساه". وفي الحديث: "إن ابنتي اشتكت عينها"، يُروى بالضم والفتح، فالضم على الفاعلية، والنصب على المفعولية. والظاهر أنه لازم؛ لأنه بمعنى "مرض".<sup>(١)</sup>

لعل مما يلفت الانتباه في التحليل النحوي عند ابن فرحون هو استحضاره (باعتباره متلقيًا) لكل ما يتعلق بالتركيب موضع التحليل سواء من الحديث أو من القرآن وهذا يسمي في علم اللغة النصي "التعالق النصي" وبيان العلاقة بين النصوص في محاولة فهم النص وتفسيره<sup>(٢)</sup>، فهو هنا استحضر وقوع شكواه من رأسه في حديث (وا رأساه)، ووقوعها على العين في رواية النصب من حديث "إن ابنتي اشتكت رأسها"، إلا أن ابن فرحون لا يرى الفعل (اشتكى) في هذا السياق متعديًا والمفعول محذوفًا، لكنه يتخذ من التضمين - وإن لم يصرح به لكنه ذكره في كتابه وخرج عليه - سبيلًا للترجيح، لأن الفعل (اشتكى) بمعنى

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٢/٢٢٧.

(٢) انظر: علم اللغة النصي النظرية والتطبيق د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٠هـ:

٢٠٠٩م، ص ٧٤.



(مرض) باتفاق جميع شراح الحديث، ومرض فعل لازم، ولعله استند إلى رواية ذكرها البخاري عن عروة بلفظ "في مرضه الذي مات فيه" (١). فحمل الفعل (اشتكى) على (مرض) ناتج عن فهم لطبيعة السياق والمقام وللغة باعتبارها قدرة إنسانية تلازم فيها النظر في المعنى مع النظر في التركيب.

مسألة معنى الفعل "يعلم" في قوله: "لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ

مِنَ الْإِنَّمِ"

يقول ابن فرحون: "قوله: "يعلم": يحتمل أن يكون بمعنى "يعرف"; فيتعدى لواحد، وهو الظاهر فيها هنا. ويحتمل أن تكون العلمية؛ فيتعدى إلى اثنين. وهو على كلا الوجهين معلق بـ "ماذا". فجملة "ماذا" في محلّ مفعول "علم". (٢)

إن السياق في هذا الحديث لا نستطيع أن نعتمد عليه في عملية الترجيح، ذلك لأن (علم) معلق عن العمل بـ "ماذا" الاستهامية، فالظاهر أن ابن فرحون اعتمد على أشياء من خارج النص تتعلق بالاعتقاد، حيث إننا في تحديد كم الثواب والعقاب قاصرون عن ذلك، فالله وحده هو العالم به، ومن ثم فالفعل "يعلم" لا سبيل لحمله على معنى العلم الذي يفيد الإدراك الكلي لحقيقة العقاب الذي يناله المار بين يدي المصلي، لذلك نقول: عرفت الله ولا نقول علمت الله (٣)، والأمر نفسه مع الثواب والعقاب لأنه مما يتعلق بالله، ومن ثمّ (يعلم) في الحديث يُحمل على المعرفة.

مسألة الفعل بين الرفع والجزم في قوله: "فَأَمَرْتُ الْمُقَدَّادَ بْنَ الْأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ،

فَقَالَ: يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ"

يقول ابن فرحون: "... يَغْسِلُ ذَكَرَهُ"، الفعل مرفوعٌ على الخبر، ويجوزُ فيه الجزمُ بتقدير "لام" الأمر، أي: "ليغسل". ومثله قوله:

مُحَمَّدٌ تَقَدَّرَ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ ...

أي: "لنقد". ويكون "يتوضأ" مجزوماً بالعطف عليه، إن جزم. والظاهر أنه مرفوعٌ،

(١) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ. ج ٣٤/٧.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٦٠٩.

(٣) للمزيد حول الفرق بين علم وعرف ينظر: المقارنة بين المعرفة والعلم د. لبليل عبدالكريم، مقال بشبكة الألوكة / ثقافة ومعرفة / فكر: تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/١١/١٢ ميلادي - ١٤٣٠/١١/٢٤ هجري.

<https://www.alukah.net/culture//0/8227>

وهو أَحْسَنُ. قالوا: والسرُّ في العُدول عن الأصل في ورود الأمر بمعنى الخبر، وورود الخبر بمعنى الأمر: أَنَّ الخَبَرَ يستلزم ثبوت مُخبره ووقوعه، بخلاف الأمر، فإذا عبَّر بالخبر عن الأمر كان ذلك آكد لاقتضاء الوقوع حَتَّى كأنه واقع. وأمَّا التعبير عن الخبر بالأمر: فَإِنَّ الأَمْرَ شأنه أَنْ يَكُونَ بما فيه دَاعية للأمر، وليس الخبر كذلك، وإذا عبَّر بالأمر عن الخبر أشعر ذلك بالداعية، فيكون ثبوته وصدُّقه أقرب. (١)

إن ابن فرحون بعد أن ذكر ما يجوز في التركيب من وجوه وفقاً لما تقرره قواعد اللغة يختار ما يتناسب أكثر مع المقام ويحقق تواصلًا فعالاً مع المتلقي، وعلى الرغم من أنه ذكر رواية البخاري وهي "اغسل ذكرك وتوضاً" ورواية مسلم "توضاً وانضح فرجك" وكل منهما على الأمر، إلا أنه يرجح رواية الرفع على الإخبار لأنها هي المشهورة معللاً ذلك بـ"علة تداولية أو تواصلية تتعلق بالإنجاز أو لنقل بسرعة الإنجاز، فالتعبير بالخبر (وتناسبه حالة الرفع) عن الأمر أكد في الوقوع، أي صار واقعا بالفعل كأنه حدث، وكأنه يريد أن يقول إن الصحابي السائل عن حكم المذي امتثل الأمر بالفعل وحقق ما طلب منه، وفي هذا من حسن التلطف والتأدب ما فيه، وعلى هذا فترجيحات ابن فرحون تكون في ضوء ما تحققه قواعد التواصل الفعال في ضوء المقام.

مسألة الفعل بين الرفع والنصب بعد حتى في قوله: "خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى

نَلْتَقِيَ"

يقول ابن فرحون: "ويحتمل الفعل الرفع، أي: "خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ (حَتَّى) نحن (نلتقي) مَعَكُمْ". فعلى الأول - يقصد النصب - : يَكُون لسيرهم غاية، وهو "لُقي النبي - صلى الله عليه وسلم -، وتكون "الياء" مفتوحة. وعلى الثاني: لا يَكُون "لُقي النبي" غَايَةً لسيرهم، إنما القصد به حِفْظ سَاحِلِ الْبَحْرِ، وتكون "الياء" ساكنة، ويُرجَّح هذا كونهم دَبَّحُوا الصَّيْدَ وَأَكَلُوا وَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا النَّبِيَّ .. ونظيرُ هذا: قوله تعالى: {... وَرُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ..} ﴿٢١٤﴾ سورة البقرة. ومنه قولهم: "مرض حتى لا يرَجُونه" أي: "هُم لا يَرَجُونه". قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: فِي قَوْلِ الْبَرَاءِ: "إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَامُوا قِيَامًا حَتَّى يَرَوْنَهُ قَدْ سَجَدَ" إِشْكَالًا؛ لِأَنَّ "حَتَّى" فِيهِ بِمَعْنَى "إِلَى أَنْ"، وَالْفِعْلُ مُسْتَقْبَلٌ؛ فَحَقُّهُ أَنْ يَكُونَ بِلَا

(١) العدة في إعراب العمدة: ج/١-٢٠١-٢٠٢، وانظر شاهدا آخر حله بالطريقة نفسها: ج/٢٢٧-٢٢٨.

"ثون"؛ لاستحقاقه النصب، لكنّه جاء على لغة من يرفع الفعل بعد "أن"، حملاً على "أن" المخففة، كقراءة مجاهد: {لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} بضمّ "الميم". وإذا جاز تركُّ إعمالها ظاهرة؛ فتركُّ إعمالها مُقدّرة أولى بالجواز. انتهى. قلتُ: والعملُ بعد هذا على الرواية. (١)

يظهر أثر العلامة الإعرابية على المعنى من خلال ما قدمه ابن فرحون في توجيه دلالة التركيب بين النصب والرفع، فقول النبي "حتى نلتقي" توافرت فيه شروط "حتى" في كونها ناصبة، فالفعل بعدها مستقبل، ودلالاتها "إلى أن" وفقاً للسياق، ويكون المعنى أنهم جعلوا لقاء النبي غاية لهم، فسيرهم متواصل حتى يصلوا النبي، إلا أنه يرى أن هناك مرجحات من السياق النصي والمقامي ترجح الرفع على الحكاية وهي صنيعهم في الطريق وتوقفهم حتى ذبحوا وأكلوا ثم واصلوا السير، ومن ثم يكون القصد حفظ ساحل البحر لئلا يضلوا الطريق لا ليلتقوا بالنبي، ويؤكد رأيه بشاهد من عند ابن مالك منقح مع ما يقوله في الإعراب، وفي النهاية يقرر بأن العمل على الرواية، أي أنها هي التي تبين أي الوجهين نختار.

**مسألة حذف الفعل من قوله: (فَقَالَ: الصَّلَاةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَفَدَ النَّسَاءُ**

**وَالصَّبِيَّانُ)**

يقول ابن فرحون: "قوله: "فَقَالَ: الصَّلَاةُ": النَّصْبُ بتقدير "احضر"، وهو الصَّوَابُ، ويحتمل الرَّفْعُ، بتقدير "الصلاة حاضرة". وعلى النَّصْبِ الرواية. وَحَذْفُ الْفِعْلِ جَائِزٌ إِذَا فُهِمَ الْمَعْنَى، ولو أَظْهَرَ لَجَازٌ، بِخِلَافِهِ إِذَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلَمْ يُفْهَمَ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ. (٢)

إن فهم المعنى من قبل المخاطب مهم في حركة التركيب النحوي حذفاً وإثباتاً، فحذف الفعل هنا مفهوم من المعنى من قبيل المخاطب، وهذا المبدأ من المبادئ الراسخة في الفكر النحوي وأيديته النظريات الحديثة في تحليل الخطاب، فليس المقصود هنا بعدما تأخر النبي عن الصلاة وانتظره الصحابة حتى إن صبيانهم ناموا سوى دعوته لحضور الصلاة، ولعل هذا بمثابة القرينة الحالية التي تفهم من سياق الحديث، وهذا بخلاف الحذف مع عدم وجود الدليل، وفي هذا يظهر أثر المخاطب في التوجيه النحوي.

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٢/٦٢١ - ٦٢٢.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٣٤٨، وانظر شاهداً آخر: رجع فيه النصب قائلا: "وعلى الأول الخُذَّاق. ج ٢/١٤٦ -

**مسألة حذف الفعل من قوله: (والمقصرين) في الحديث: "اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحَلِّقِينَ".**  
 قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحَلِّقِينَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
 وَالْمُقَصِّرِينَ. قَالَ: "وَالْمُقَصِّرِينَ"

يقول ابن فرحون: "والمقصرين": هَذَا مَعْطُوفٌ عَلَى مَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحَلِّقِينَ وَالْمُقَصِّرِينَ". وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا "وَأَوْ مَعَ" لَا "وَأَوْ الْعَطْفُ"، فَقَالُوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ مَعَ الْمُقَصِّرِينَ" وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ؛ لِأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ أَجَابَهُمْ بِطَبَقِ سُؤَالِهِمْ. (١)

وَفَقَّ ابْنُ فَرْحُونٍ فِي تَرْجِيحِهِ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ لِلْعَطْفِ وَلَيْسَ بِمَعْنَى (مَعَ) فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَالْمُقَصِّرِينَ مَنْصُوبَةٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (ارْحَمْ) يَفْسِرُهُ السَّابِقُ، وَالْوَاوُ هُنَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْجُمْلَةِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنْ تَرْجِيحَ الْعَطْفِ هُنَا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَوَافَقَ الْقَوَاعِدُ مَبْنِي عَلَى مِرَاعَاةِ الْمَقَامِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ قَامَ فحَلَقَ شَعْرَهُ، فَالْحَلْقُ فِيهِ تَفْضِيلٌ عَلَى التَّقْصِيرِ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَدْلُّ عَلَى صِدْقِ النِّيَّةِ، فَإِنَّ الْمُقَصِّرَ يُبْقَى عَلَيْهِ الشَّعْرُ وَهُوَ زِينَةٌ، وَالْحَاجُّ إِنَّمَا هُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرَ فِيهِ التَّقْصِيرُ تَقْصِيرًا. (٢)

وَإِذَا كَانَ فِي التَّقْصِيرِ تَقْصِيرٌ كَمَا ذَكَرَ شَرَّاحُ الْحَدِيثِ، فَحَمَلَ الْوَاوُ عَلَى الْمَعْنَى بِجَعْلِ مَنْ قَصَّرَ مَسْتَوِيًا مَعَ مَنْ حَلَقَ مَقْتَدِيًا بِفِعْلِ النَّبِيِّ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِلتَّكَرُّارِ الَّذِي قَالَهُ النَّبِيُّ ثَلَاثًا حَتَّى اسْتَعْطَفَ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْمُقَصِّرِينَ، وَهَكَذَا تَتَحَكَّمُ دَلَالَةُ الْحَالِ الْمَشَاهِدَةِ فِي تَوْجِيهِ دَلَالَةِ الْوَاوُ فِي الْحَدِيثِ، كَمَا أَنَّ السِّيَاقَ الْوَالْحَالِ مِمَّا فِي إِجَابَةِ النَّبِيِّ لَهُمْ تَوْكَّدَ دَلَالَةَ الْعَطْفِ لَا الْمَعْنَى.

### ب. ترجيحات ابن فرحون في مكملات الجملة الفعلية:

**مسألة إعراب "أنفا" في قوله: "أَذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأَنْتُونِي بِأَنْبَجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَثْنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي"**

يدور الخلاف هنا حول إعراب كلمة "أنفا" هل هي ظرف أم حال؟ واستدعى ابن فرحون النص القرآني في قول الله تعالى "لَمَّا قَالَ أَنفًا" [محمد: ١٦]، ونقل رأي كلٍّ من

(١) العدة في إعراب العمدة: ج٢/٦٠٦.

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د: ط،

د:ت. ج١٠/٦٤.

أبي حيان والزمخشري واعتراض الأول على الثاني في أنها ظرف مرجحاً بكل تأكيد رأي الزمخشري، يقول: "قال أبو حيان في قوله تعالى: {مَاذَا قَالَ أَنفًا} [محمد: ١٦]: تقديره: أي: "مؤتفاً"، أي: "مبتدئاً"، وهذا منصوبٌ على الحال، وأعرَبَه الزمخشري ظرفاً، أي: "الساعة". قال أبو حيان: ولا أعلم أحداً من النحويين عدّه من الظروف. قلت: وإن لم يعدّه أحد، فالمعنى عليه هنا، لا يصحّ خلافه، إلا أن تُقدَّر: "أنها ألّهت عند ابتداء الصلاة"، فيكون حالاً، أي: "ألّهتني عن صلاتي مؤتفاً للصلاة"، وفيه خروجٌ عن الظاهر، وتكلفٌ لا يخفى." (١)

وصف ابن فرحون توجيهه "أنفاً" في الحديث على الحالية بأنه تكلف وخروج عن الظاهر معتداً في ذلك بالمعنى والسياق الذي وردت فيه، وهذا التكلف من وجهة نظري إنما جاء من تأويل الكلمة على وجه ليس مقصوداً، فانشغال النبي بالخميسة لا دليل على أنه كان حال الابتداء فقط، وقوله: "فالمعنى عليه هنا لا يصحّ خلافه" فيه تأكيد على دور المعنى والسياق في الترجيح، ولقد أصاب ابن فرحون في ترجيحه ذلك؛ لأن أبا حيان نفسه فسّر قوله "أنفاً" بالساعة، يقول: (ماذا قال أنفاً) أي الساعة" كما فعل الزمخشري ثم قال: "وقال الزمخشري: وَأَنفًا نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ. ائْتَهَى. وَقَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالسَّاعَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ، وَالْمَفْسِّرُونَ يَهْوُلُونَ: أَنفًا، مَعْنَاهُ: السَّاعَةُ الْمَاضِيَةُ الْقَرِيبَةُ مِنَّا..." (٢)

كذلك فسره الزجاج، يقول: "ماذا قال أنفاً، أي ماذا قال الساعة، ومعنى أنفاً من قولك استأنفت الشيء إذا ابتدأته... فالمعنى ماذا قال من أول وقتٍ يقرب منّا." (٣) فأعراب (أنفاً) على الظرفية فيه تطابق بين المعنى والإعراب وهذا ما لا غاية وراءه كما قال ابن جني: "فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منها عليك" (٤) فالعبرة هنا ليس بكلام النحويين الذين لم يذكروا أنها ظرف، فربما لم يسمعوا عن

(١) العدة في إعراب العمدة: ج٢/٩٤.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي: تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط١٤٢٠ هـ، ج١: ٤٦٧/٩ - ٤٦٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج١٠/٥.

(٤) الخصائص لابن جني: ج ١/٢٨٣ - ٢٨٤.

هذا الشاهد، وإنما العبرة بالشاهد اللغوي الصحيح والسياق والمعنى، وهذا يؤكد مدى اعتداد ابن فرحون بما يراه هو وفقا للمعنى وإن خالف جمهور النحاة.

**مسألة مجيء الحال من أي الفاعلين المتقدمين في قوله: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَكَيُّ فِي حَجْرِي، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَأَنَا حَائِضٌ؟ (١)**

يقول ابن فرحون: "وجملة "وأنا حائض": في محلّ الحال من فاعل "يقرأ" أو من فاعل "يتكئ"، أي: "يتكئ وأنا حائض في حجري"، وهو أحسن<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث لا يوجد خلاف في إعراب جملة "وأنا حائض" حالا، لكن الخلاف من صاحب الحال؟ هل هو فاعل الفعل يقرأ، أم فاعل الفعل يتكئ مع أن كليهما للنبي؟ ويرجح ابن فرحون أنه من فاعل الفعل يتكئ، وكلا الوجهين جائز في اللغة، لكننا عندما ننظر في ملابسات النص والظروف المحيطة به يمكن لنا أن نصف رأي ابن فرحون بأنه صواب. فالفهاء اختلفوا هل تقرأ الحائض القرآن أم لا؟ وذكر بعضهم أن في هذا الحديث إشارة إلى أن الحائض لا تقرأ القرآن؛ لأن قراءتها لو كانت جائزة لما توهم امتناع القراءة في حجرها حتى احتيج إلى التنصيص عليها، وفيه جواز ملامسة الحائض وأن ذاتها وثيابها طاهرة ما لم يتحقق نجاسة شيء من ذلك بالحيز ونحوه.<sup>(٢)</sup>، فالكلام على القراءة والملامسة عند الفقهاء.

لكنّ مسألة قراءة الحائض وجوازها من عدمه ليست هي المقصودة - من وجهة نظري في هذا الحديث- والدليل على ذلك من وجوه منها، أولاً: صياغة الحديث أو الرصف اللغوي الذي جاء عليه، حيث نلاحظ أنه لو كان المقصود هو قراءة الحائض لقال مثلاً: كان رسول الله يتكئ في حجري، فأقرأ القرآن وأنا حائض، لكن يبدو لي أن المقصود هو ملامسة الحائض بدليل تقديمها على قراءة القرآن، فالقراءة أتت عقبها، ومن ثم فالحال من فاعل يتكئ.

**ثانياً :** ذكر ابن فرحون حديثاً آخر في مسألة الملامسة يرجح ما قصدته وهو "كان رسول الله يخرج رأسه إليّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض".<sup>(٣)</sup>

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ١/ ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) انظر كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: شمس الدين السفاريني تحقيق وتخريج: نور الدين طالب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م: ج ١/ ٥٢٢.

(٣) العدة في إعراب العمدة: ج ١/ ٣٠٠.

**ثالثاً :** إذا اعتبرنا ملابس الحايض والحائض عند العرب في الجاهلية نجدهم كانوا لا يلامسونها ولا يؤاكلونها وهذا فيه من الإهانة للمرأة ما فيه، فأراد النبي أن يغير ذلك، وهذا يؤكد قصد الحديث في الملامسة ممثلة في الاتكاء، لا في قراءة القرآن، ويقويه قوله: اصنعوا كل شيء إلا النكاح.

**رابعاً:** يقوي هذا الوجه أيضاً من وجهة نظري تبويبات المحدثين لهذا الحديث في كتبهم، حيث إننا يمكن أن نتخذ من عنوان الباب باعتباره العلامة الأولى التي يستقبلها المتلقي مدخلاً سيميائياً لفهم المقصود من النص<sup>(١)</sup>، فمنهم من وضعه تحت (باب ما يحل من الحائض) ومنهم بؤب له قائلاً: (باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله) وآخر ذكره في (باب مؤكلة الحائض) ومنهم ذكره تحت (باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض) وآخر في (باب جواز مشاركة الحائض)، وكلها تؤكد أن المقصود هي الملامسة لا قراءة القرآن من قبلها.<sup>(٢)</sup>

**مسألة مجيء الحال من صاحبها النكرة في قوله: قوله: "وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ**

### قِيَامًا

يقول ابن فرحون: "وراءه" في محلّ حال من "قوم"، وجازت الحال من النكرة للصفة التي تقدّمت، ولا ينتفي التخصيص بتقدّمها حالاً. والأحسن: أن يكون العامل في الظرف "صَلَّى"، ويكون "قيامًا" حال من نكرة، على اختيار كثيرين، ومنه: "عليه مائة بيضا".<sup>(٣)</sup>

(١) للمزيد حول فكرة عنوان الباب ينظر: دينامية النص تنظير وإنجاز د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م، ص ٧٢، وانظر أيضاً: عتبات النص الأدبي مقارنة سيميائية للباحثة: بخولة بن الدين، مجلة سمات، مجلد ١، عدد ١، مايو ٢٠١٣م، ص: ١٠٤.

(٢) انظر على الترتيب: المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج١/٥٩٩، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٣/٢٣٨. وشرح سنن أبي داود لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، ج٢/٤٢٢، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ. ج١/١٠٦. والكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج٦/١١٩.

(٣) العدة في إعراب العمدة: ج١/٤٧٧.

يبدو من كلام ابن فرحون السابق أنه يوافق مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ، فإذا كان جمهور النحاة يقول بجواز مجيئها من النكرة بشرط تقدم النفي أو الاستفهام أو تكون النكرة موصوفة، فنلاحظ أن ابن فرحون خرَّج على هذا الأساس إعراب "وراءه" بأنها حال ومسوغها التقدم، لكنه رأى في الوقت نفسه رجحان أن يكون الظرف معمولاً للفعل "صلى" وإعراب "قياماً" حالاً من النكرة موافقاً في ذلك سيبويه في قوله "عليه مائة بيضا، وهذا وصف بأنه قليل إلا أن ابن فرحون استحسنته، وبهذا نجده ينحو نحو التيسير في إعراباته، ويحلل في ضوء القليل لا سيما إن كان موافقاً للمعنى وهو هنا كذلك<sup>(١)</sup> ونلاحظ هنا أنه ترك ما هو متفق عليه بين النحاة من مجيء صاحب الحال نكرة إذا تقدمت الحال عليه ويذهب إلى مجيئها نكرة دون مسوغ وكأنه لا يريد القول بالتقديم والتأخير لأنه خلاف الأصل مع أن مجيء صاحب الحال نكرة دون مسوغ مخالف للأصل أيضاً.

**مسألة مجيء الحال من أي الضميرين في قوله: (كَانَ يُسَبِّحُ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ، حَيْثُ كَانَ وَجْهَهُ، يَوْمَئِذٍ بِرَأْسِهِ)**

يقول ابن فرحون: "قوله: "يَوْمَئِذٍ بِرَأْسِهِ": جملة في محلّ الحال من الضمير في "يُسَبِّحُ"، أو من الضمير المضاف إليه في "وجهه". والأوّل أبين." (٢)

يبدو من ترجيح ابن فرحون لكون جملة "يَوْمَئِذٍ بِرَأْسِهِ" حالاً من الفاعل في يسبح أنه أولى؛ لأن من النحاة من منع مجيء الحال من المضاف إليه، ومنهم من جوزه بشروط منها أن يكون المضاف إليه جزءاً من المضاف وهو متحقق هنا، فالهاء في (وجهه) جزء من الوجه إلا أن المعنى أبين على التخرّيج الأول؛ لأنه ليس المقصود أن الوجه هو الذي يَوْمَئِذٍ بالرأس إلا على المجاز، وإنما المقصود أن النبي هو الذي يسبح مومئاً برأسه.

ويمكن القول بأن الأداء أو القرينة الصوتية يمكن الاعتماد عليها في حسم هذا الخلاف، ولعل الفاصلة التي وضعها محقق الكتاب بعد كلمة وجهه تؤكد ذلك، حيث إننا

(١) انظر: الكتاب لسبويه: تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ١١٢/٢، ١٨١. والمسائل السفرية في النحو لابن هشام، تحقيق، د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ص١٤، وانظر: أوضح المسالك: ج٢/٢٦٥، وشرح ابن عقيل: ج ٣٦٣/٢. وقال الشيخ خالد الأزهرى: "وذهب بعضهم إلى عدم الاستدلال بالحديث لاحتمال كونه مروياً بالمعنى": شرح التصريح على التوضيح: ج ٥٨٨/١. وقال السيوطي: وَاخْتَارَ أَبُو حَيَّانَ مَجِيءَ الْحَالِ مِنَ النَّكْرَةِ بِلَا مَسْوُغٍ كَثِيرًا قِيَاسًا وَنَقَلَهُ عَنْ سَبِيحِيَّةٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ الْإِتِّبَاعِ فِي الْقُوَّةِ: همع الهوامع: ج٢/٢٠٤. (٢) العدة في إعراب العمدة: ج١/٤٢٩.



يمكننا قراءة الحديث متصلاً دون وقف على كلمة (وجهه) ويمكن قراءته بالوقف عليها، وهذا الأخير يعد من الاستئناف البياني (شبه كمال الاتصال) كأن سائلاً سأل: كيف يسبح وهو على ظهر ناقته؟ فيجيب: يومئ برأسه.

ثم إننا لو اعتبرنا أن جملة يومئ حالاً من المضاف إليه مع جوازه نحوياً إلا أننا سنقع في إشكال في عود الضمير في قوله "رأسه" من وجهة نظري؛ حيث إنه وفقاً لقواعد عود الضمير فإنه يعود على أقرب مذكور<sup>(١)</sup> وهو (الوجه) ومن ثم يكون الوجه كأنه إنسان له رأس وهذا غير حقيقي.

إعراب كلمة "مثل" بين النعت والحال في قوله: (ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ

أَطْوَل)

يقول ابن فرحون: "قوله: "مثل سُجُودِهِ": نعت لمصدر محذوف، أي: "سجد سجوداً مثل سجوده". أو حال، أي: "سجد السجود في حال كونه مثل سجوده"، فهو حال من المصدر بعد إضماره. واختير هذا؛ لأنَّ في الأول حذف الموصوف في غير المواضع المستثناة، وقد تقدّم ذكر ما استثنى من ذلك..."<sup>(٢)</sup>

إن حذف الموصوف وبقاء الصفة لمّا كان فيه نقض للغرض وفيه إنقاص لحق المخاطب في المعرفة وجدت ابن فرحون يستبعد من ترجيحاته القول به إلا في المواضع التي يتضح فيها المعنى، يقول ابن فرحون: "وحذف الموصوف إذا علم جائز"<sup>(٣)</sup>، حتى إنه علل بالعلة نفسها التي ذكرها في النص السابق ما يزيد عن خمسة مواضع في كتابه وهي قوله "لأنَّ في الأول حذف الموصوف في غير المواضع المستثناة، ويقول فيها بقول سيبويه مختاراً النصب على الحال، والمواضع المستثناة هي: إذا كانت الصفة خاصة بخفض الموصوف نحو: "مررت بكاتب". أو وقعت خبراً، نحو: "زَيْد قائم". أو حالاً، نحو: "جاء زَيْد ركباً". ووصفاً لظرف، نحو: "جلست قريباً منك". أو مستعملة استعمال الأسماء،

(١) من القواعد المتفق عليها بين النحاة أن ضمير الغائب يحتاج إلى مفسر، والأصل في مفسره، أن يكون متقدماً عليه، فإذا تقدم اسمان مستويان في الإسناد كان الضمير عائداً على الأقرب إلا إن دل دليل على أنه لغير الأقرب. انظر: ارتشاف الضرب لأبي حيان: ج ٩٤١/٢.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ٦٠٢/١.

(٣) انظر من المواضع التي خرجها على حذف الموصوف السابق: ج ٤٣٤/١، ج ٦٣/٢، ١٤٦، ٣٥٥، ج ١٢/٣، ٣٦١. فمثلاً: قول النبي "بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم أت" أي رجل أت ج ٤٣٤/١.

ك "الأبطح" و"الأبرق"، وهو محفوظ، انتهى. (١)

يقول ابن يعيش: "اعلم أنّ الصفة والموصوف لما كانا كالشيء الواحد من حيث كان البيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما، كان القياس أن لا يُحذف واحدٌ منهما؛ لأنّ حذف أحدهما نقصٌ للغرض، وتراجع عما اعتزموه..." (٢)

إذن عندنا تقديران: سجد سجوداً مثل سجوده - سجد السجود في حال كونه مثل سجوده، والراجح عند ابن فرحون هو التقدير الثاني على الحال هرباً من القول بحذف الموصوف في غير المواضع المستثناة مع أنه أقل تعبيراً من تقدير الحال.

**مسألة وقوع حيث مفعولاً به في قوله: (تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ**

**النُّصُوءُ)**

يقول ابن فرحون: "و"حيث": ظرفٌ مكانٌ مُبْهَمٌ، لازمٌ للظرفية غالباً، وجرٌّ ب"من" كثيراً، ولا تكون إلا مضافة إلى جملة... والعامل في "حيث" هنا: "تبلغ الحلية". ويجوز أن تكون مفعولاً به. وقيل: قد تقع مفعولاً به في نظير هذا التركيب، وهو الأظهر فيها هنا، وقد حُرِّجَ عليه قوله تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ} [الأنعام: ١٢٤]... (٣)

إذا كان المتبادر إلى الذهن أن "حيث" ظرف مكان لأنه المعروف في استعمالها كما يقول ابن هشام، فإنه يبدو من النص السابق أن إعراب "حيث" على أنها ظرف أو مفعول به تتحكم فيه اعتبارات سياقية ومقامية؛ فقد نجد سياقاً تكون فيه ظرفاً بلا خلاف، كما هو أصل استعمالها، وآخر تحتل فيه الوجهين كهذا السياق ويمكن ترجيح أحدهما، وثالثاً تكون فيه مفعولاً بلا خلاف؛ لأن هناك موانع تداولية تتعلق بطبيعة الخطاب والمتحدث عنه كما بالآية الكريمة "الله أعلم حيث يجعل رسالته"، فالمفعولية في الآية رُجِّحت؛ لأن القديم سبحانه لا يكون أعلم في مكان ولا جهة دون جهة ولا مكان كما قال ابن الصائغ<sup>(٤)</sup> وغيره، فالمراد أن الله يعلم المكان المستحق للرسالة لا أن علمه في المكان

(١) العدة في إعراب العمدة : ج ٢٢٧/١، انظر بقية المواضع: ج ١١٠/١، ٢٦٦، ٥٠٤، ج ٣٥٠/٢، ج ١٢٩/٣. فمثلاً: قول النبي "بينما الناس يقبأ في صلاة الصبح إذ جاءهم أت" أي رجل أت ج ٤٣٤/١.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش: تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ٢٥٣/٢ وما بعدها.

(٣) العدة في إعراب العمدة : ج ١٣٢/١.

(٤) انظر: اللحة في شرح الملحّة، تأليف: محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، المعروف بابن الصائغ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ج ٩٠١/٢.

كما ذكر ابن هشام<sup>(١)</sup>

وقياسا على هذا الوجه رأى ابن فرحون أن الأظهر في "حيث" هنا أن تكون مفعولا به، ولعله استند أيضا إلى أن اعتبار الظرفية المكانية في بلوغ الحلية من المؤمن لا يتقيد بمكان دون مكان كما بالآية، فمعنى المكانية فيه تحديد للموضع الذي يبلغه الضوء فقط، وليس هذا المقصود من الحديث وإنما المقصود شمولية الحلية للعضو كله لا المكان الذي يبلغه الضوء فحسب، وهذا فيه من زيادة النور وشموليته، ويؤكد ذلك - في رأيي - الحديث المُدرَج "فمن أراد أن يزيد غُرَّتَه فَلْيُفْعَلْ".

### ج- ترجيحات ابن فرحون في عود الضمير<sup>(٢)</sup>

مسألة عود الضمير في قوله: (وجبت) من قوله: كَانَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ، وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةً وَالْمَغْرِبَ إِذَا وَجِبَتْ " يقول ابن فرحون: "وقوله: "إِذَا وَجِبَتْ": أي: "وقت وجوب الشمس"، وهو سُقُوطها. وفيه تجوز؛ لأنه وقت لا يُصَلَّى فيه. ويحتمل أن يعود الضمير في "وجبت" على "المغرب"؛ فينتفي المجاز، لكنه يبقى لا دليل فيه على وقتها، وهو بعيد. أو يُؤوَّل بأن وقتها عندهم معلوم؛ فلا فائدة في تعيينه، كما قال في العشاء: "كان يُصَلِّيها أحيانا وأحيانا"، ولم يبيِّن أول وقتها. والأول الظاهر. وقيل: يعود على غير مذكور يُبينه السياق، كقوله تعالى: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص: ٣٢] وهو بعيد؛ لأنَّ ذِكْرَ "الشمس" هنا تَقَدَّمَ.<sup>(٣)</sup>

وجَّه ابن فرحون قول النبي "إذا وجبت" على ثلاثة أوجه، وإن من يتأمل ما قاله يلحظ أنه يحل في ضوء التداول والاستعمال وعلاقة المتكلم والمتلقي بالتحليل النحوي، أو لنقل في ضوء علاقة اللغة بالواقع الاجتماعي والديني بطرفه، فالوجه الأول - على الرغم من ترجيحه له في النهاية - إلا أنه وصفه بأن فيه تجوزا؛ لأنه وقت لا يصلى فيه، وكأنه يحيل في هذا إلى نهي النبي عن الصلاة في هذا الوقت؛ لأن الشمس تكون فيه بين

(١) انظر: شرح المفصل: ج ١٤٢/٤، وشرح الرضي على الكافية: ج ١٧٦/٣. وتمهيد القواعد: ج ٢٠٢٣/٤، وشرح التصريح: ج ٥١٨/١، وهمع الهوامع: ج ٢١٢/٢.

(٢) رأيت أنه من الأنسب إدراج ترجيحات ابن فرحون في عود الضمير هنا لقلة شواهدا، ولأن الضمير في غالبها ورد مرتبطا بالفعل.

(٣) العدة في إعراب العمدة: ج ٣٢٧/١ - ٣٢٨.

قرني شيطان.

**والوجه الثاني** وهو عود الضمير على المغرب وإن انتفى فيه المجاز السابق لكنه يقع في إشكالية أخرى وهي مسألة التأقيت، حيث لا يبقى في عود الضمير على المغرب دليل على وقتها، بل إنني أرى أنه لو عاد الضمير على المغرب لما كان لسوق الحديث فائدة يجنيها المخاطب من الكلام لأنه بهذا يقدم معلومة بدهية يعرفها الجميع وهي أن صلاة المغرب إذا وجبت المغرب، لكن الجديد الذي ينتظره المتلقي هو متى يكون وقت المغرب؟ لأن الله يقول: {.. إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} ﴿١٠٣﴾ سورة النساء، ويقدم لهذا التوجيه تسويغاً آخر لم يره هو راجحاً وإن عوّل فيه على معيار تواصلية وهو الفائدة وعلم المخاطب بالوقت، حيث إن علم المخاطب يتحكم في عود الضمير أيضاً، وقياس المغرب على العشاء لم يقل به أحد، لأن قول النبي عن العشاء "يصليها أحياناً وأحياناً" معناه: كان أحياناً يقدمها وأحياناً يؤخرها حسب اجتماع الناس، وهذا خاص بالعشاء وحدها.

**وأما الوجه الثالث** فهو عود الضمير على غير مذكور مستندا لقوله تعالى {... حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} ﴿٣٢﴾ سورة ص، أي الشمس، يتناقض مع ذكر الشمس في الحديث، فكيف يكون على غير مذكور؟، وفي النهاية يبقى الوجه الأول هو الراجح وعليه العلماء، ويستند في ترجيحه على المعنى المعجمي لكلمة "وجبت" أي: سقطت، يقال وجبت الشمس وجبا ووجوبا أي: غابت، ويعني "وقت وجوب الشمس"، وهو سقوطها، فأصل الوجوب: السقوط، كما في قوله تعالى "فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها"، والمراد به في الحديث: قرص الشمس، ويؤيد هذا الوجه رواية أخرى: كما قال صاحب كوثر المعاني: "وفي رواية أبي داود، والمغرب إذا غربت الشمس، ولأبي عوانة: والمغرب حين تجب الشمس" وفيه دليل على أن سقوط قرص الشمس يدخل به وقت المغرب<sup>(١)</sup>

**مسألة عود الضمير في قوله: (فسمعتُه أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي)**  
**من قوله: (أذن لي أيها الأميرُ أحدثك قولاً قام به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم**  
**- الغد من يوم الفتح، فسمعتُه أذناي، ووعاه قلبي وأبصرته عيناي...)**

(١) كوثر المعاني الدزاري في كشف خبايا صحيح البخاري لمحمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٨/٨٥.

يقول ابن فرحون: "والضَّميرُ في "سَمعته" يُعودُ على القَوْل، وكذلك الضَّميرُ في "وعاه". و"قَلبي": فَاعِل. وأمَّا الضَّميرُ في "أَبصَرْتُهُ عَيْنَايَ": فيحتملُ أن يُعودُ على "النبي - صلى الله عليه وسلم -"؛ لأنَّه تَقَدَّمَ ذِكْرُه، ويكُونُ كَقَوْلِه تَعَالَى: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: ٩]، قيل: الضَّميرُ في "تُسَبِّحُوهُ" يُعودُ على الله - عز وجل - ويحتملُ أن يُعودُ على القَوْل، بِمَعْنَى "حَرَكَةُ شَفْتَيْهِ وَلِسَانِهِ - صلى الله عليه وسلم -"؛ لأنَّه سَبَبُ القَوْل، وكثيرًا ما يُطَلَقُ على السَّببِ اسمُ المسبب. والأوَّلُ أَظْهَرَ. (١)

يظهر في النص السابق أثر القيود المعجمية Lexical Rules وما لها من تحكم في توارد المفردات باعتبار أن كل مفردة منها رمز مركب من مجموعة من الخصائص التي تنسجم مع مجموعة من الأحداث والنسب، وهذا النوع من القواعد ذو علاقة بالمكونات الدلالية التي تشملها كل مفردة (٢)، فالضمير في "سمعته" وفي "وعاه" لا خلاف في عودته إلى المصدر "قولا" في التركيب: (أحدثك قولاً) وهذا العود متطابق في الرصف المعجمي، أو في التوارد، فالقول يتوارد معجمياً مع "سمعته" ومع "وعاه" لكن الخلاف في "أبصرته عيناى" فالإبصار لا يكون للقول إلا على سبيل التأويل كأن نقول مثلاً "حركة الشفاه بالقول"، ومن هنا يلجأ ابن فرحون في تخریجة إلى نموذج يشابه هذا التركيب من القرآن الكريم وهو قوله تعالى "وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة" حيث إن التسبيح لا يكون إلا لله، وعليه يكون الضمير في "أبصرته" عائداً إلى "النبي" وقد تقدم ذكره في السياق، فيكون أولى من اللجوء للتأويل الآخر، ومن هنا يمكن القول إن ابن فرحون في الكثير من تخریجاته يلجأ للقرآن الكريم لأن التراكيب متشابهة، وهذا يرد على من رفض الاحتجاج بالحديث بحجة أنه مروى بالمعنى، مع أن تراكيبه لا تختلف في شيء مع تراكيب القرآن الكريم.

مسألة عود الضمير في (عليه) من قوله: (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَامَ عَلَيْهِ فَكَثَّرَ وَكَثَّرَ النَّاسُ وَرَأَاهُ، وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ. ثُمَّ رَفَعَ فَزَلَّ الْقَهْقَرَى، حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمُنْبَرِ...)

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٢/٤٩٢ - ٤٩٣.

(٢) انظر: المجال الدلالي للفعل ومعنى حرف الجر المصاحب له: د. إبراهيم النسوقي، دار غريب للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٣.

يقول ابن فرحون: "والضمير في "عليه" يعود على "المنبر"، وعلى ما ذكره الشيخ يكون الضمير يعود على مذکور في ذهنه، ويكون اكتفى عنه بقوله: "وهو على المنبر" لأنها في محلّ حال من "النبي - صلى الله عليه وسلم -". ويحتمل أن يعود الضمير على المفهوم من السياق، كقوله تعالى: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص: ٣٢]، والأول أبين لمن علم أصل الحديث. (١)

تعد ظاهرة الإضمار واحدة من أهم الشرائط النحوية التركيبية لتتسق النصوص فالإضمار يحفظ وحدة سياق النص وهو الوسيلة الحاسمة في بنائه كما ذكر هارفيج (٢) وإن من يتأمل تركيب "رأيت النبي يقوم عليه" لا يجد ما يعود إليه الضمير في السياق السابق وفقا للقواعد المقررة لعود الضمير، ومن ثم يمكن تسمية إحالته بأنها لغير مذکور وهذا النوع يحتاج إلى إعمال الفكر وطول النظر ولا يهتدي إليه إلا من نال حظا من الثقافة اللغوية وطال تمرسه بالتركييب والمقامات التي قيلت فيها (٣) لكنه وفقا للجانب الإدراكي في ذهن المتلقي يستطيع أن يفهم أن المقصود "هو المنبر" ويكون عدم ذكره من باب الاكتفاء عنه بما ذكر من قوله "وهو علي المنبر" فالجملة في محل نصب حال للنبي وهي توضح عن أي شيء يكون الحديث، أو يفهمه من السياق العام للحديث، لذا رأى ابن فرحون أن من علم أصل الحديث ومناسبته يكون هذا التوجيه أبين له، وهو بهذا القول يحيل إلى المقام الذي قيل فيه الحديث.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ..."

يقول ابن فرحون: "قوله: "حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ": جملة في محلّ خبر "إن". وفاعل "حَرَّمَ": ضمير "الله" تعالى. ومثله قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ} [التوبة: ٦٢]، فأفرد الضمير؛ لأنّ الله ورسوله في حكم الواحد؛ لأنّ رِضَا اللَّهِ عنه مُرْتَبِطٌ بِرِضَا رَسُولِهِ. أو يكون التقدير: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ، وَإِنَّ رَسُولَهُ حَرَّمَ"، فهما جملتان. ويحتمل أن يكون

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٢، ١٠١.

(٢) انظر: مدخل إلى علم اللغة النصي فولفانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية، الكتاب ١١٥، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ، ص: ٢٧، وانظر: أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذج وعلاقاته وطرائقه ومباحثه: كلامير وآخرون، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٤٨.

(٣) انظر: مرجع الضمير في القرآن الكريم د. محمد حسنين صبره، دار غريب للطباعة، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٦.

التقدير: "إنَّ اللّٰهَ ورسولَه حَرَمًا بيع"، ثم حذف "الألف" التي هي ضمير الإثنين عندما وقف؛ لينفرد الفعل بضمير اللّٰه تعالى. وفي ذلك تعظيم للنبي -صلى اللّٰه عليه وسلم-؛ حيث جعل تحريمه وتحريم الرسول واحد، وهو نظيرُ قوله تعالى: لَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ { [النساء: ٨٠] وقد أجازوا في الوقف على المنصوب السكون، وهي لغة ربيعة، فقالوا: "رأيث رجل". فهذا هنا أسهل؛ لأنه هنا أبقى الحركة التي كانت قبل الحذف. وحسن هذا الحذف دلالة ما قبله عليه. والأول أحسن (٣)".<sup>(١)</sup>

وجه ابن فرحون عود الضمير بالمفرد على المثني بثلاثة أوجه مستعينا في أولها بالنص القرآني في قوله تعالى "والله ورسوله أحق أن يرضوه" فقد عاد الضمير في "يرضوه" بالمفرد مع أنه يدل على اثنين، معللا هذا العود في الحديث بما علل به في القرآن وهو "لأنَّ اللّٰهَ ورسوله في حُكم الواحد؛ لأنَّ رِضًا اللّٰهَ عنه مُرتبَطٌ بِرِضَا رسوله" ويبقى الكلام جملة واحدة، وفي الوجه الثاني يلجأ إلى تقدير بعض العناصر المحذوفة ويحدث عملية تفكيك للكلام وفقا لأصول القواعد التي يقرأها باب عطف الجمل، ويكون التقدير: "إنَّ اللّٰهَ حَرَمٌ، وإنَّ رسوله حَرَمٌ" وهذا التقدير لا يعطي المعنى الذي أعطاه الوجه الأول.

وفي الوجه الثالث يلجأ ابن فرحون إلى العامل الصوتي في الكلام، وهو الوقف؛ حيث ورد عن بعض العرب الوقف على المنون المنصوب بالسكون فقط فقالوا "رأيت رجلاً" والقياس: رجلاً، فكون الحديث جاء بالحركة التي كانت قبل الحذف وهي الفتحة في "حرما" أسهل من الوقف بالسكون الذي ورد عن قبيلة ربيعة في المنون المنصوب ولا دليل عليها قبلها.

لكن ابن فرحون في النهاية يرجح الوجه الأول؛ ويراه أحسن من غيره لأنه له شواهد تؤيده من القرآن، وفيه من الدلالة ما ليس في غيره من جعل منزلة الرسول في التحريم من منزلة الله سبحانه.

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٣/ ٤٤.

## المبحث الثالث

## ترجيحات ابن فرحون في تعلق حروف الجر

تعد ظاهرة التعلق أهم ما يميز مركب الجار والمجرور في النحو العربي، كما يعد هذا المركب في ارتباطه بالأفعال وأشباهاها من ناحية - في ضوء علاقته بالسياق اللغوي والمقامي - من أكثر عناصر تركيب الجملة امتلاكاً للحرية ولا تشتت موقعا معينا من العامل من ناحية أخرى، وقد أولاهما النحاة عناية كبيرة لاسيما ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب عندما تحدث عن ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها<sup>(١)</sup>، وهذه الأهمية راجعة إلي ما تؤديه هذه الهيئة التركيبية من وظيفة على مستوى اللفظ والمعنى، ولعل هذه الوظيفة تتضح من قول ابن السراج: "حروف الجر تصل ما قبلها بما بعدها، فتوصل الاسم بالاسم، والفعل بالاسم،... فأما إيصالها الاسم بالاسم فقولك: الدار لعمرو، وأما وصلها الفعل بالاسم فقولك: مررت بزيد، فالباء هي التي أوصلت المرور بزيد."<sup>(٢)</sup>

فوظيفة الربط أو الإيصال التي يقوم بها هذا المركب سواء وصل الاسم بالاسم، أو الفعل بالاسم كما يتضح من النص السابق تعد جزءاً أساسياً في بناء الخطاب وإتمام معانيه، حيث إنه يقيم شبكة من العلاقات بين المبنى والمعنى، ولهذا عرّف د. فخر الدين قباوة هذا التعلق بأنه "الارتباط المعنوي لشبه الجملة بالحدث وتمسكها به، كأنها جزء منه لا يظهر معناها إلا به، ولا يكتمل معناه إلا بها؛ ذلك لأن شبه الجملة ترد تكملة للحدث الذي تقيده، فيتم معناها بهذا التعلق المقيد."<sup>(٣)</sup>

ونظراً لأهمية هذا الدور البنائي التكميلي فإنه يخضع لمعايير نحوية وأخرى تداولية تواصلية ترجع للسياق المقامي، ومن ثم نجد هذا المبحث (تعلق حروف الجر) من أكثر المباحث وروداً في التحليل النحوي عند ابن فرحون من خلال أعاريه التي قدمها لنص الحديث النبوي الوارد في كتاب عمدة الأحكام، واللافت للنظر هو ظاهرة الاحتمال

(١) انظر: مغني اللبيب: ص. ٦٨٤.

(٢) الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ -

١٩٩٦م. ج ١/٤٠٨.

(٣) إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط ٥، ١٤٠٩هـ -

١٩٨٩م. ص: ٢٧٣.



التي تكتنف تعلق شبه الجملة وما يجوز منها وما لا يجوز، حيث لاحظت أنه يحل التراكيب النحوية وفقا لما تحتمله حروف الجر من تعلق وارتباط بما قبلها من الأفعال أو الأحداث وأشباهاها، وهذا الاحتمال جعله يعمل فكره ونظره في الترجيح بين هذه الاحتمالات في كثير من الشواهد التي تستدعي الترجيح لما قد يترتب على هذا التعدد من أفضلية في المعنى الذي يتطلبه السياق من ناحية، أو فساد في الدلالة الناتجة عن بعض الاحتمالات التي تبيحها القواعد من ناحية أخرى.

وقبل أن أبدأ في عرض ترجيحاته في هذا المبحث المهم أود أن أشير إلى أن ابن فرحون يؤمن بأنه كلما اختلف التعلق اختلف المعنى، ولقد عبر عن هذا في غير ما موضع، فمثلا في حديث " كان يُعجِبُهُ التَّيْمُنُ في تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ". يقول: "و"في تنعله" يتعلّق "ببعجبه". ويحتمل أن يتعلّق بالتيمن، ويدخله التنازع. ويحتمل أن يتعلّق بحال، أي: "يعجبه التيمن كائناً في تنعله". ويختلف المعنى باختلاف المتعلّق؛ فعلى الأول يكون الإعجاب مطلقاً في حال التنعل وغيره، وعلى الثاني يكون مقيداً بحال التنعل<sup>(١)</sup>. ولعل هذا ما عبر عنه العلامة الجرجاني حين قال "ومعلومٌ علمُ الضرورة أن لن يُتصوّرَ أن يكونَ لِلْفِظَةِ تَعَلُّقٌ بلفظةٍ أخرى من غير أن يعتبر حال معنى هذا مع معنى تلك، ويُراعى هناك أمرٌ يصلُ إحداهما بالأخرى..."<sup>(٢)</sup>

وبناء على هذه الاختلافات يكون للمحلل دور في الترجيح مستندا في ذلك إلى عوامل من داخل النص أو من خارجه بناء على ثقافة المحلل ومعتقداته، وخلفيته المعرفية والثقافية... إلخ تساعده على الترجيح. ولعل هذا يتضح من ترجيحاته التالية في تعلق حروف الجر.

مسألة متعلق الجار والمجرور ( إلى المسجد) في قوله ( إذا استأذنتُ أحدكم

امرأته إلى المسجد فلا يمنعهها)

يقول ابن فرحون: " قوله: إلى المسجد: يتعلّق حَرْفُ الجَرِّ بِمَقْدَرٍ، أي: "في الخروجِ إلى المسجد". وعليه المعنى؛ لأنَّ (استأذن) يتعدى بـ "في"، و"حَرَجٌ" يتعدى بـ

(١) العدة في إعراب العمدة، ج ١/١٢١-١٢٢، وانظر شاهداً آخر: ج ١/١٩٣.

(٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط ٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٤٠٦.

"إلى". وهذا أحسن من غيره. (١)

رجَّح ابن فرحون تعلق حرف الجر (إلى) بمحذوف هو (الخروج) مستندا في ذلك - من وجهة نظري - إلى الحصيلة أو الخلفية اللغوية التي يمتلكها من خلال فكرة التعدي واللزوم في التفكير النحوي؛ وذلك أنَّ الفعل (استأذن) لا يتعدى بحرف الجر "إلى" وإنما الذي يتعدى به هو الفعل (خرج) بمشتقاته، وهذا الخروج مفهوم ضمنا وهو المقصود من سياق الحديث، وهذا التقدير يحدث اتساقا على مستوى المبنى والمعنى، ومن ثم يكون هو الراجح.

وقول ابن فرحون "وهذا أحسن من غيره" يحيل إلى آراء أخرى ذكرت في التوجيه، ذكرها علماء الحديث وقد لخصها القسطلاني بعد ابن فرحون، بقوله: "... أو أن إلى بمعنى في، أي: استأذنت في المسجد، كقوله:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي به القار أجرب (٢)

وهذا لا يراه سيوييه، أو إلى بمعنى اللام التي للعة، أي: لأجل المسجد كقوله تعالى: {فاستأذنوك للخروج} [التوبة: ٨٣]. (٣)

وأرى أنَّ القول بتعاور حروف الجر يحكمه السياق والمعنى، وإذا كانت إلى بمعنى (في) في بيت الشعر السابق فهذا لأنه موافق لسياقه ومعناه وهو الظرفية، وهذا المعنى مخالف للواقع حين نسقطه على الحديث، فالاستذان لم يكن في المسجد، كذلك معنى العلة؛ لأن المسجد ليس هو علة الاستذان وإنما علته الخروج والسير في الطرقات للنساء مما قد يؤدي لتعرضهن للخطر، أو لفتنة الرجال بهن.

ولعل ابن فرحون في ترجيحه السابق يريد ألا يقول بتعاور حروف الجر إلا في أضيق الحدود، فهي لا تتضبط بضابط، ولذا قال ابن جني: "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكننا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا، لا مقيداً لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه، وأن

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٣٩٢.

(٢) البيت للنايعة الذبياني، انظر: ديوان النايعة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب (٥٢) دار المعارف، القاهرة، ط ٢، دبت، ص ٧٣.

(٣) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٣٩٢.

تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، وزيد في عمرو، وأنت تريد: عليه في العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزید، وأنت تريد: عنه، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش. ولكن سنضع في ذلك رسماً يعمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه. (١)

**مسألة متعلق الجار والمجرور (إلى أجل) في قوله: (مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلْيُاسِلْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزَنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)**

يقول ابن فرحون: "قوله: إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ": يتعلّق بـ "يُسلف"، وهو الظاهر. ولا يصح أن يتعلّق بـ "معلوم" الأول؛ لأنه يفيد العلم بالكيل إلى أجل، والعلم به بزمن الأجل. ولا يتعلّق بـ "كيل"؛ لأن الكيل لا يستمر إلى أجل معلوم. ولا يتعلّق بحالٍ من ضمير الأول؛ لأنه يُفيد الكيل والعلم به بزمن الأجل. ولا يتعلّق بـ "معلوم" الثاني؛ لأنّ الوزن لا يلزم أن يكون معلوماً إلى أجل. فَإِنْ جَعَلْتَ الْوِزْنَ الْمَذْكُورَ مِنْ جِهَةِ الْمَسْلَمِ لَهُ، أَيْ "فِي مَوْزُونٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ" صحّ أن يتعلّق "إلى أجل" بـ "معلوم" الثاني، أو بحال من ضميره. (٢)

فند ابن فرحون صور التعلق الممكنة لتعلق الجار والمجرور (إلى أجل) حيث تقدمه أربع كلمات يصح (وفقاً لقواعد اللغة) أن يتعلّق بها وهي: (فليسلف، معلوم الأول، كيل، معلوم الثاني) ورجح ابن فرحون تعلقه بالفعل (يسلف) ثم استند إلى أشياء أخرى من خارج النص منها الزمن الذي تتم فيه عملية الإسلاف في بيان عدم صحة تعلقه بالثلاثة الباقية، فتعلقه باسم المفعول "معلوم الأول" وهي كلمة نكرة، فيكون صفة لهذه النكرة، والصفة تلازم موصوفها ومن ثم يفيد العلم بالكيل إلى أجل، والعلم به بزمن الأجل، وتعلقه بكلمة "كيل" وهي نكرة أيضاً موصوفة فيكون حالاً لها، لكن عملية الكيل والوزن تدفع هذا التعلق حيث إنها لا تستمر إلى أجل الوفاء به وإنما تنقضي في لحظة، فالعرف يمنع من تعلق الجار والمجرور بكلمة كيل، أو وزن، فلو فرضنا أنني أسلفت شخصاً أردب قمح لمدة أسبوع، فهل تستمر عملية الكيل أو الوزن هذا الأسبوع كاملاً؟ وهل يستمر العلم بالكيل إلى أن تنقضي عملية الإسلاف أم أن العلم به يكون بزمن الأجل؟، وكل هذا مخالف لتداول الكلام والظروف المحيطة به، فتحديد الأجل لا يكون في الكيل ولا في

(١) الخصائص لابن جني، ج ٢/٣٠٨.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ٣/٥١.

الوزن وإنما في عملية الإسلاف نفسها.

فالراجح هنا هو تعلق الجار والمجرور بالفعل يسلف، ومن ثم جعل النبي قوله " إلى أجل معلوم" مؤخرا لنهاية الحديث لأنه لا يتصور عودتها للكلي ولا للوزن، وبهذا يتدخل عامل خارجي في الترجيح وهو التناقض مع الواقع الخارجي، وهذا في رأيي يشبه ما ذكره ابن هشام في توجيهه لقوله تعالى: **وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ** { فَإِنَّ الْمُتَبَادِرَ تَعْلُقُ إِلَىٰ بَكْتَبُوهُ وَهُوَ فَاسِدٌ لِأَقْتِضَائِهِ اسْتِمْرَارَ الْكِتَابَةِ إِلَىٰ أَجْلِ الدِّينِ وَإِنَّمَا هُوَ حَالٌ أَيْ مُسْتَقَرًّا فِي الدِّمَّةِ إِلَىٰ أَجَلِهِ. وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ} فَإِنَّ الْمُتَبَادِرَ انْتِصَابٌ مِئَةً بِأَمَاتِهِ وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ مَعَ بَقَائِهِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ الْوَضْعِيِّ لِأَنَّ الْإِمَاتَةَ سَلَبُ الْحَيَاةِ وَهِيَ لَا تَمْتَدُّ... (١)

**مسألة متعلق الجار والمجرور (به) و(على بريرة) في قوله: (ذَلِكَ لَحْمٌ تُصَدِّقُ بِهِ عَلَىٰ بَرِيرَةَ، فَكَّرِهْنَا أَنْ نُطْعِمَكَ مِنْهُ)**

يقول ابن فرحون: "والمفعول الذي لم يُسمَّ فاعله في المجرور الثاني؛ لأنَّ الفائدة فيه. ويتعلَّق "به" بالفعل، أو يكون "به" القائم مقامَ الفاعل. و"على بريرة" يتعلَّق بالفعل، وهو الظاهر". (٢)

يبدو من كلام ابن فرحون أن الفعل "تُصَدِّقُ" المبني للمفعول يحتاج لمركبي الجار والمجرور "به"، على بريرة" ليقوم أحدهما بدور نائب الفاعل، ويقوم الثاني بإتمام المعنى، والخلاف في أيهما أحق أن يقوم بدور نائب الفاعل؟ وأيها أحق بالقيام بدور المتمم للمعنى؟

لكن ابن فرحون يرجح أن يكون ( به ) هو القائم بدور نائب الفاعل، فهو أولى بالقيام بهذه الوظيفة لأنه قريب من فعله و( على بريرة) هو متعلق الفعل، ولعله استند إلى السياق اللغوي من ناحية، والمقام من ناحية أخرى، فتقديم الجار والمجرور ( به) على الجار الآخر ( على بريرة) فيه دلالة على أنَّ قَصْدَ منع تقديم لحم البرمة للنبي هو أنه لحم متصدق به والنبي لا يقبل الصدقة، ويؤكد هذا حديث " إنا آل محمد لا نأكل الصدقة"،

(١) مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق، د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م، ص: ٦٨٧.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ١٥٣/٣.

وليس لأنه تُصدق على بريرة أو غيرها، ولهذا قال ابن الملقن: "فيه أيضًا دلالة على وجوب نصح أهل الرجل له، وأن يجنبوه ما يكرهه، كما أخبرت عائشة بحال اللحم لعلمها بأنه لا يأكل الصدقة." (١)

**متعلق الجار والمجرور (بتور)، (من ماء) في قوله: فَدَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ، فَتَوَّضَأَ لَهُمْ وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ...**

يقول ابن فرحون: "وَمِنْ مَاءٍ": يتعلّق بصفة لـ "تور"، و"بِتَوْرٍ" يتعلّق بـ "دَعَا". ويحتمل أن يكون التقدير: "بتور مملوء من ماء؛ فيتعلّق حرفُ الجرِّ بـ "مملوء"، وجاز ذلك كما جاز في قوله تعالى: {النَّفْسُ بِالنَّفْسِ} [المائدة: ٤٥]، أي: "مأخوذة بالنفس"... قلت: ويظهر أن تكون "مِنْ" زائدة في الواجب على ما اختاره ابن مالك ومَنْ وافقه، والتقدير: "فَدَعَا بِتَوْرٍ مَاءً" أي: "بإناء ماء". ومن أدلّة زيادة "مِنْ" في الواجب قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [الأحقاف: ٣١]، و{يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} [الكهف: ٣١]. وعلى هذا لا يتعلّق "مِنْ" بعامل؛ لأنّ الزائد لا يتعلّق بشيء. (٢)

ذكر ابن فرحون أوجهًا عديدة في تعلق مركب الجار والمجرور "من ماء منها" أولاً: أنه يتعلق (بتور) على أنه صفة لأن كلمة (تور) نكرة، وثانياً: قدر محذوفاً هو اسم مفعول يصلح أن يتعلّق به شبه الجملة وهو كلمة "مملوء"، ويستشهد بالنص القرآني وقيس عليه، وختم التوجيه بما رجحه وهو من توجيهه وهو أن "من" زائدة في الإيجاب موافقاً رأي ابن مالك والأخفش الذين رأيا زيادتها فيه. (٣)

والذي جعل ابن فرحون يرجح ذلك - من وجهة نظري - أمران أولهما: أن تعلق الجار والمجرور بالجامد (تور) فيه خلاف بين النحاة، ومنهم من شرّط في جوازه أن يقبل التأوّل بالمشتق ولو في المعنى وهو هنا لا يؤوّل، وثانيهما: تقدير "مملوء" ليتعلّق به مركب

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج٨/١٠٠.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج١/١١٥-١١٦.

(٣) انظر: شواهد التوضيح والتصحیح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، تحقيق: د. طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٥ هـ، ج١/١٨٦، وانظر: شرح تسهيل الفوائد لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ج٣/١٨٣، والجنى الداني في حروف المعاني، ص: ٣١٨، وهمع الهوامع: ج٢/٤٦٣، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لمحمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج٢/٣١٥.

الجار والمجرور قد لا يكون ملائماً للمقصود من الحديث، فلا يشترط أن يكون التور مملوء بالماء حتى يصح الوضوء أو حتى يشرح لهم كيفيته، ثم إنه لجوء للتأويل والتقدير. ولذا لجأ ابن فرحون إلى القول بزيادة "من" لأن الزائد لا يتعلق بشيء من ناحية، والمعنى يقبل زيادتها.

والحقيقة أن زيادة "من" في الإيجاب من المسائل المختلف فيها بين النحاة، حيث رأى البصريون خلافاً للأخفش أنها لا تزداد إلا في سياق النفي وأن يكون مجرورها نكرة، بينما رأى الكوفيون زيادتها في الإيجاب بشرط تنكير المجرور، كما نقل عن الكسائي وهشام القول بزيادتها في الإيجاب مع تعريف المجرور، ولكن الشاطبي في المقاصد قال: "والصواب ما ذهب إليه ها هنا؛ لأن السماع المستمر قضى أنها تختص بالنفي، إذ لم تأت زيادتها في الإيجاب إلا في محل الاحتمال أو في النذور، فلا يصح أن يقضى بالقياس حتى يتبين من الاستقراء إليها بكثرة مجيئها في الكلام، فإذا لم يكن ذلك، فيجب الوقوف مع السماع؛ لئلا ندعي على العرب ما لا نعرف." (١)

ويبدو أن ابن فرحون ينحو نحو التيسير في جواز المسألة معتدا بما ذكره غيره من شواهد قيل عنها من قبل المانعين أنها تحتمل أكثر من وجه، ووجه الزيادة هنا هو أقلها تكلفاً وأقعد للمعنى، وبهذا يكون تحليل ابن فرحون إنما تم في ضوء ما وصف بأنه نادر ولكنه رآه هنا مناسباً حسب السياق والمعنى.

**متعلق الجار والمجرور (بأطول) في قوله: (فَقَامَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرَكَوعِ**

**وَسُجُودٍ)**

يقول ابن فرحون: "وحرف الجر في "بأطول": يتعلق بـ "صلى"، ويحتمل أن يتعلق بـ "قام"، والأول أقعد بالمعنى. و"الباء" للمصاحبة، أي: "صلى متلبساً بأطول قيام". (٢)

رجح ابن فرحون تعلق الجار والمجرور (بأطول) بالفعل (صلى) على تعلقه بالفعل (قام)، وهذا الترجيح وصفه بأنه أقعد بالمعنى وهو كذلك من وجهة نظري؛ وذلك لأن العطف بالركوع والسجود يشترك مع القيام في الطول من ناحية كما أنه يتوارد مع الفعل (صلى) من ناحية أخرى، فنقول في التقدير: (فصلى بأطول قيام، وصلى بأطول

(١) المقاصد الشافية: ج ٣/٥٩٩.

(٢) العدة في إعراب العدة: ج ٢/١٦٣.

ركوع، وصلى بأطول سجود، لكن لو تعلق الجار والمجرور بالفعل قام فإن هذا التعلق ينسحب على المعطوفين بعده تطبيقاً لقاعدة العطف على نية تكرار العامل، فيكون التقدير: (فقام بأطول قيام، وقام بأطول ركوع، وقام بأطول سجود)، وهذا فيه ما فيه من قلق في المعنى، حيث إن الفعل قام لا يتوارد مع السجود ولا الركوع والأفضل أن نقول: سجد بأطول سجود وركع بأطول ركوع.

**مسألة متعلق الجار والمجرور ( بالله ) في قوله: ( فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ )**

يقول ابن فرحون: "و"بالله" يتعلق بالفعل، ويحتمل أن يتعلق بـ "حالفًا"، وهو خلاف الظاهر، ويكون من باب الإعمال.<sup>(١)</sup>

إن الجار والمجرور في الحديث السابق له تعلق بمادة "حلف" عامة سواء أ جاءت بصيغة الفعل أم بصيغة اسم الفاعل لكن أقرب مذكور له هو الفعل فيتعلق به، وليس هنا ما يمنع قواعدياً من تعلقه باسم الفاعل المنون، فهو عامل عمل الفعل لكنه خلاف الظاهر. ومخالفة الظاهر التي ذكرها ابن فرحون - من وجهة نظري - إنما أنت من مناسبة الحديث وهو شيء خارج عن النص، وذكر في أحاديث أخرى تحت باب "لا تحلفوا بأبائكم"، فالواقع أن سيدنا عمر كان يسير في ركب فحلف بأبيه، فالنبي لما سمعه قال ذلك، ومن ثم لو قدرنا تعلق الجار والمجرور باسم الفاعل لكان المعنى من كان حالفاً بالله فليحلف به أو ليصمت، وهذا معناه التخيير بين الحلف بالله والصمت، وفي هذا مخالفة لقصد الحديث وللواقع الذي حدث بفعل عمر، والتي تؤكد وجود صور للمحطوف به عندهم بالإضافة للحلف بالله، "فمن كان حالفاً معناه: من كان مريدًا أن يحلف فليحلف بالله لا بغيره من الآباء وغيرهم، ومن ثم جاء النهي عن ذلك لأن الحلف بالمخلوقات فيه تعظيم لها والعظمة لله وحده، وهذا عكس تقدير من كان حالفاً بالله فليحلف.

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٤٦٧/٣.

## المبحث الرابع

## ترجيحات ابن فرحون في التوابع ومحل الجمل والأساليب

يعالج هذا المبحث ترجيحات متفرقة عند ابن فرحون منها ما يتعلق بالتوابع كالتوكيد والصفة، والعطف، ومنها ما يخص محل الجمل بين الاستئناف وغيره، وكونها لها محل من الإعراب أو ليس لها محل، كما يتعلق بعضها بالأساليب كأسلوب الشرط، وهي على النحو التالي:

## أ- ترجيحاته في التوابع:

توجيه جملة رأينها من قوله: (ذَكَرَ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً رَأَيْنَهَا فِي أَرْضِ الْحَبْشَةِ، يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ )

يقول ابن فرحون: "والجملة من "رأينها" في محل صفة لـ "كنيسة"، ويحتمل أن تكون حالاً من ضمير الفاعل في "ذكرن"، أي: "ذكرن كنيسة قد رأينها في أرض الحبشة"، وتكون حالاً محكية، والأول أظهر. (١)

من المعلوم أن الجمل بعد النكرات صفات، فجملة (رأينها) وقعت بعد نكرة "كنيسة"، ومن ثم فهي صفة هذا هو الراجح؛ لأن الوجه الثاني "وجه الحال" لا يتأتى إلا مع تقدير "قد" لأن الجملة مبدوءة بفعل ماض، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج لاسيما عند اتضاح المعنى.

توجيه كلمة (أجمعون) من قوله: (وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ)

يقول ابن فرحون: "وصيغة "جُلُوس" على صيغة المصَدَّر؛ لأنه من فِعْل لازم، كـ "قَعَدَ قُعُودًا"، و "تَحَلَّ دُخُولًا"، وإنما هو هنا جمع "جالس". ويمتنع هنا أن يكون مَصَدَّرًا؛ لأنه ليس من لفظ الفِعْل ولا من مَعْنَاه. وإذا ثبت ذلك: ففي "جُلُوسًا" ضميرٌ مرفوع يصح أن تكون "أجمعون" تأكيدًا له. ويصح أن تكون تأكيدًا للضمير في "صلوا". ويترجح الأول بعدم الفصل بين التأكيد والمؤكد بالحال. ويصح أن تكون "أجمعون" خبر مبتدأ محذوف، أي: "وأنتم أجمعون"، وتكون جملة حالية. (٢)

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٢/٢٢٨.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٤٧٦.



عندما نأتي لنحلل كلام ابن فرحون نجده أولاً ذكر أن كلمة "جلوساً" على الرغم من مجيئها على صيغة المصدر من أفعال المعالجة اللازمة إلا أننا هنا لا نستطيع إعرابها مصدراً ( مفعولاً مطلقاً) ذلك لأنها ليست من لفظ الفعل صلوا ولا من معناه، وأكد ابن فرحون أنها هنا جمع جالس، فأعرابها حال، وبناء على هذا المعنى صارت كاسم الفاعل في المعنى، ويترتب على هذا أن فيها ضميراً مستكناً كما هو معروف في اسم الفاعل. وبهذا تكون كلمة "أجمعون" محتملة لوجهين:

أولهما : أنها توكيد من الضمير المرفوع في "جلوساً" لأنها بمعنى اسم الفاعل، والآخر: أن تكون توكيداً للضمير في الفعل "صلوا". ورجح الأول معللاً ذلك بأن رفعها على التوكيد من الضمير في "صلوا" وقع فصل بين التوكيد والمؤكد بالحال ولا يفصل بينهما به. ولقد تتبعنا آراء النحاة وشرح الحديث ومعربيه في توجيه رواية "أجمعون" بالرفع، فلم أجد واحداً ذكر فيها الوجهين إلا "القسطلاني، والمباركفوري، وهما لاحقان لابن فرحون، وإنما نص الجميع على أنها توكيد من الضمير المرفوع في "صلوا" وبهذا ينفرد ابن فرحون بكونها توكيداً للضمير في جلوساً بمعنى جالسين.

يقول السيوطي في عقود الزبرجد: "قال الزركشي أجمعون هو تأكيد لضمير الفاعل في قوله (فصلوا).<sup>(١)</sup>، وقال القسطلاني: "بالرفع توكيد للضمير في فصلوا، أو للضمير المستكن في الحال".<sup>(٢)</sup> وقال صاحب كوثر المعاني: "وَالأَوَّلُ تَأْكِيدٌ لِضَمِيرِ الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى وَأَخْطَأَ مَنْ ضَعَّفَهُ فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>"

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفرد ابن فرحون في التخريج على ما لم يرد عند غيره بناء على ما يراه هو متكناً على المعنى، ومحققاً لشروط القواعد ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

### ب - ترجيحاته في محل الجمل:

محل جملة ( يروحها) من قوله: "وموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا

(١) عُقُودُ الزُّبْرَجِدِ عَلَى مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، تَأَلِيفُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ، تَحْقِيقُ: د. سَلْمَانَ الْقَضَاءِ دَارُ الْجَبَلِ، بَيْرُوت - لُبْنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. ج ١٤٨/١، وانظر: شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ١، ١٣٨٣هـ، ص ٢٩٤.

(٢) إرشاد الساري: ج ٧٢/٢.

(٣) كوثر المعاني: ج ٨/٤٩٥، كشف اللثام: ج ٢٨٦/٢.

وما عليها. والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة: خيرٌ من الدنيا وما فيها. وجملة "يروحها العبد" يحتمل أن تكون مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. ويحتمل أن يكون محلها صفة للروحة، وإن كان معرفة؛ لأن تعريفها تعريف جنس، لم يُرد رُوحة مُعينة، وهذا كما قيل في قوله تعالى: {وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} [يس: ٣٧]، وقوله تعالى: {كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥]... اختاره الرّمخشري وابن مالك، وضعفه أبو حيان، وتقدّم ذكر ذلك. ويحتمل أن تكون الجملة حالاً، أي: "وثواب الروحة في حال كونها مروحاً فيها". وكونها لا محل لها أحسن. (١)

في الحقيقة أنا لا أدري على أي أساس اعتبر ابن فرحون جملة (يروحها العبد) مستأنفة لا محل لها من الإعراب وحسن هذا الوجه على غيره، فمن المعلوم أن مصطلح الاستئناف يقصد به نوعان أولهما: الاستئناف البياني ويختص بمبحث الفصل والوصل عند أهل البيان، فالجمل إذا كان بينها شبه كمال الاتصال فإنه يستغنى عن حروف الوصل أو العطف لأنها على نية سؤال مفترض يطرحه المتلقي. (٢)

والآخر هو الاستئناف النحوي، وهو الكلام الذي ذكر ابتداء أو مواصلة إثر انقطاع، وهو نوعان: الجملة المفتوح بها النطق، والثاني الجملة المنقطعة عما قبلها (٣)، وبعبارة أخرى "عدم تعلق الجملة نحويًا بما قبلها تعلق إبتاع أو إخبار أو وصف أو حال أو صلة، أي يؤدي إلى انفصال الجملة المستأنفة عن الجملة السابقة عليها إعرابياً" (٤) وعند تطبيق هذين النوعين على ما ذكره نلاحظ أنه يعني الاستئناف النحوي؛ لأن البياني تكون الجملة المستأنفة متصلة بما قبلها بما يسمى عند البيانين شبه كمال الاتصال لأنها صفة أو تأكيد لما قبلها.

ونلاحظ أيضاً أن الجملة المستأنفة هنا لم تقع بعد كلام تام ولكنها وقعت بعد كلمة واحدة واقعة مبتدأ وهي (الروحة)، وعلى اعتبار أنها توسطت بين المبتدأ وخبره، فأصل

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٣/ ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٢) انظر: الاستئناف النحوي ودوره في التركيب د. مصطفى النحاس، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٦٥، ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - نوفمبر ١٩٨٩م، ص ١٣

(٣) معجم المصطلحات النحوية والصرفية د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٤٥.

(٤) الاستئناف النحوي ودوره في التركيب د. مصطفى النحاس، ص ١١٤، وانظر: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٥٨.

الجملة) والروحة خير من الدنيا وما فيها) ولو قال النبي ذلك لكان كل من راح أو غدا حتى ولو في غير سبيل الله ينطبق عليه الحكم بالخيرية، وهذا غير مقصود بالمرّة، ومن هنا فنحن نحتاج لبيان صفة الروحة وتخصيصها لأنها عامة تشمل الكل، ولذا فإنني أرى أن وجه الصفة أولى من وجه الاستئناف، وأولى من وجه الحال لأنه يحتاج لتقدير. وبهذا يكون ابن فرحون حلل في ضوء المعيار الشكلي البحث، وخالف ما انتهجه قبل ذلك من مراعاة المعنى ولو خالف ما أصّله النحويون جميعا من قواعد وآراء.

محل جملة ( وكانت وجوههم إلى الشام) من قوله: ( بَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنًا، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، فَاسْتَقْبَلُوهَا. وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكُعْبَةِ".

يقول ابن فرحون: "قوله: "وكانت وجوههم إلى الشام": تحتل الجملة أن تكون مُستأنفة لا محلّ لها من الإعراب. ويحتمل أن تكون في محلّ الحال من ضمير المفعول في "جاءهم"، وتُقدّر معه "قد". ويحتمل أن تكون مُعترضة لا محلّ لها، وهو أظهر؛ لقوله "فاستداروا" عطفاً على "استقبلوها".<sup>(١)</sup>

إن جملة "وكانت وجوههم إلى الشام" تدور في فلك احتمالين أحدهما كونها لا محلّ لها من الإعراب لأنها مستأنفة من الكلام السابق، وبهذا تكون الواو خرجت عن معناها الوظيفي ممثلاً في العطف إلى معنى جديد هو الاستئناف، أو معترضة، بين الجملتين المعطوفتين بالفاء على وجه التعقيب والسرعة دل على ذلك الفعلان المعطوفان فاستقبلوها فاستداروا، واعتضت الجملة بين المتلازمين لتفيد معنى سرعة الانقياد للالتزام الأمر أو تفيد التفسير من الراوي للتحويل المذكور وهذا هو الراجح، أما كونها حالية فيحتاج إلى تقدير "قد" ليصح وقوعها حالاً، ووضوح المعنى كائن مع الاعتراض أكثر، والسياق يؤكد من خلال العطف بالفاء. وابن فرحون في ترجيحه كونها معترضة خالف شراح الحديث الذين يرون فيها الحالية، قال العيني: "لَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْمُخْبِرِ فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْوَاوُ لِلْحَالِ فَتَكُونُ جَمَلَةً حَالِيَةً عَلَى رِوَايَةِ الْأَكْثَرِينَ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ صِيغَةَ الْجَمْعِ

(١) العدة في إعراب العمدة: ج/١/٤٣٥.

من الماضي وعلى رواية الأصيلي تكون الواو للعطف وجاء عطف الجملة الخبرية على الإنشائية . (١)

محل جملة ( ثم نقع سجودا بعده ) من حديث: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِّنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعَ سُجُودًا بَعْدَهُ.

يقول ابن فرحون: " قوله: " ثم نقع سُجُودًا": في العطف بـ "ثم" دلالة على أن سُجُودَهُم بعد كمال سُجُودِهِ، وأكد ذلك بالبعدية. والظاهر في إعراب "ثمَّ نَقَعَ" الرفع على الاستئناف. ولو كان معطوفاً على قوله: "حتى يقع ساجداً" لوجب نصب الفعل، وصار المعنى: "لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع ساجداً ثم نقع سُجُودًا بعده"، فيكون الانحناء واقعاً بعد وقوعه ووقوعهم، وهذا فاسد المعنى؛ فيتعين الاستئناف. ونظير ذلك: "إذا جاء زيد لم يتكلم منا أحد حتى يأكل الطعام، ثم نأكل". إلا أن يكون الضمير في "بعده" يعود على "الانحناء"؛ فيكون التقدير: "لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ساجداً ثم نقع نحن بعد الانحناء سُجُودًا". (٢)

إنَّ علاقة الإمام بالمأموم في الصلاة تحكّمها عدة أمور منها: أنه جعل إماماً ليؤتمَّ به، أي أن أفعال مَنْ بعده تالية لأفعاله. وفي هذا الحديث نجد الفعل (يقع) الخاص بالنبي منصوباً بـ "حتى" وعطف عليه فعل آخر بواسطة "ثم" والعطف بـ "ثم" يقتضي التبعية في العلامة والتبعية في الفعل، لكن التبعية هنا تُحْدِثُ تناقضاً في المعنى؛ حيث يترتب عليها أن الانحناء من المصلين واقع بعد وقوع النبي ساجداً ووقوعهم كذلك، وهذا لا يمكن في الواقع، فيتعين الاستئناف وحذف المبتدأ "نحن" حفاظاً على المعنى واتساقاً مع علاقة الإمام بالمأموم وهي شيء خارج التركيب. أما التوجيه بعود الضمير في (بعده) على الانحناء فهو مخالف لقواعد عود الضمير على أقرب مذكور وهو النبي.

### ج- ترجيحاته في الأساليب:

جواب إذا الشرطية من قوله: "كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا اغْتَسَلَ مِنْ جَنَابَةِ غَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءَ الصَّلَاةِ..."

(١) عمدة القاري: ج ٤/٤٨٠.

(٢) العدة في إعراب العمدة: ج ١/٤٨١.

يقول ابن فرحون: "قوله: "غسل يديه": جواب "إذا"، والعامل في "إذا" فعلها أو جوابها على ما تقدم... والمعنى: "إذا شرع في الاغتسال غسل يديه". أو يُقَدَّر: "أراد الاغتسال". والجملة من "إذا" في محل خبر "كان"... ويرجح هنا وقوع "غسل" جواباً لـ"إذا" على كونه في محل خبر "كان" بكونه وقع ماضياً، وخبر "كان" لا يقع ماضياً إلا قليلاً... ومتى قدر "غسل" في محل خبر "كان" كان جواباً لـ"إذا" محذوفاً تقديره: "كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غسل يديه إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه"، ثم حذف استغناء عنه بالمذكور. وفيه فتور. والأول أولى وأفصح.<sup>(١)</sup>

نلاحظ في النص السابق أنه أولاً: قوله "ويرجح هنا وقوع "غسل" جواباً لـ"إذا" على كونه في محل خبر "كان" يوحي بأن الجملة الفعلية "غسل يديه" تجوز في هذا السياق النصي المذكور أن تكون خبراً لكان لكنه غير راجح، وهذا في رأيي لا يصح؛ لأننا إذا حذفنا جملة الشرط وأكملنا الكلام فقلنا: كان النبي غسل يديه ثم توضعاً للصلاة، فإن الفائدة لا تحقق التواصل المقصود، لأنها لم تقدم جديداً وإن كانت موافقة للقواعد، ثم إنها اجتثت من سياقها الذي أعطاها قصداً معيناً فهي رهينة به، فإذا خرجت من هذا السياق أفادت معنى آخر غير مقيد بزمن معين أو موضوع معين كالإغتسال، ولكي يجعل الجملة دالة على هذا الموضوع وتقيدها به قدر في الوجه المرجوح قائلاً: كان رسول الله غسل يديه إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه. ولا أدر ما الداعي إلى ذكره مؤخراً والكلام إنما هو في الحديث عن الاغتسال من الجنابة.

ثانياً قوله: (بكونه وقع ماضياً، وخبر "كان" لا يقع ماضياً إلا قليلاً) أراه فيه متناقضاً مع نفسه، حيث إنه ذكر في الشاهد الذي حللته سابقاً أن خبر كان يقع ماضياً ودل على ذلك أكثر الأحاديث، وهنا يصفه بالقليل. وعلى أية حال فإن الجملة الفعلية "غسل يديه" في هذا السياق هي جواب الشرط: إذا اغتسل من الجنابة أو أراد الاغتسال منها، وهذا هو المعنى المقصود تواصلياً.

جواب لو الشرطية من قوله: "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَبِّنَا الشَّيْطَانَ..."

(١) العدة في إعراب العمدة: ج/١/٢٢٦.

يقول ابن فرحون: "وتقدّم الكلام على "لو" في الحديث الأوّل من "الصلاة". فالتقدير هنا: "لو قُدِّر أنّ أحدهم". فتكون "أنّ" في محلّ رفع، مفعول لم يُسمّ فاعله. و"إذا" وفعلها وجوابها في محلّ خبر "أنّ". وجواب "إذا": "قال"، وهو أولى من أن يكون خبراً لـ "أنّ"؛ لأنّه أقرب، ولما يلزم من الحذف والتقدير." (١)

حين نقارن بين ترجيح ابن فرحون لكون الجملة الفعلية خبراً لـ "أنّ" وبين ما ذكره في الشاهد السابق نجده زاد في العلة المرّجحة هنا على ما ذكره في حديث (كان إذا اغتسل من الجنابة)، حيث لم يذكر هناك بأن الجملة الفعلية أقرب للشرط، ووضح هنا أيضاً أنه يلزم الحذف والتقدير. وما قلته في الاعتراض عليه هناك يمكنني قوله هنا، حيث إنه لا داعي تواصلياً لذكر هذا الوجه المرجوح لأنه مبني على انتزاع الجملة من سياقها وموضوعها، وتصير دالة على عدم تقييد هذا القول بالجماع، فلو قلنا إن الجملة الفعلية خبر للناسخ لكان المعنى: لو أن أحدهم قال اللهم جنبنا الشيطان إذا أراد أن يأتي أهله قال، وهذا لا يمكن قبوله بتاتا، لذا فقد أحسن هنا حين رجح بناء على قاعدة القرب المكاني أو الموقعي.

### نتائج البحث

من خلال دراسة الترجيح النحوي عند ابن فرحون تبين ما يلي:

لم يتقيد ابن فرحون في ترجيحه بمذهب نحوي معين، وإنما وجه في ضوء المدارس النحوية وفقاً لما يراه صالحاً ومناسباً للمعنى والسياق، فقد وافق البصريين في العديد من المسائل، كما وافق الكوفيين في غيرها، واعتد برأي بعض النحاة مخالفاً لجمهورهم في بعض الترجيحات وتوسع في الجواز النحوي والقياس على ضوء القليل والنادر في اللغة لاسيما إن وافقه المعنى.

كثيراً ما علل ابن فرحون ترجيحاته، وهذه العلة لم تكن لغوية فحسب، وإنما وُجِدَتْ علة تداولية مقامية ترجع إلى السياق المقامي بما يحتويه من ثقافة المحلل، ومعتقداته، وخلفيته المعرفية، وإحاطته بالعالم الخارجي... إلخ.

لم يخرُج ابن فرحون عن رواية الحديث في الترجيح وإن احتمل التركيب غيرها إلا

(١) العدة في إعراب العمدة: ج ٣/ ١٩٠.

أنه في النهاية يقول والرواية بكذا. كما أنه اعتمد على تعدد الروايات في دعم رأيه في بعض السياقات.

لم يسلّم ابن فرحون في بعض الترجمات من التناقض مع نفسه، حيث وجدناه يصف بعض الوجوه بأنها قليلة ويختار غيرها، وفي سياق آخر للتركيب نفسه نجده يخرج في ضوء هذا القليل ولا يصفه بأنه قليل بل يدافع عنه، كما أنه رجح وجوهاً وجِدَّ ما هو أنسب منها للسياق والمعنى.

امتاز التحليل النحوي عند ابن فرحون بأنه تحليل وظيفي يربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها من ناحية وبالبعد الخارجي الذي يتحكم في فهمها وتحديد القصد منها بما يشمل هذا البعد من اعتبارات مختلفة من ناحية أخرى.

كان للفقهاء دور بارز في التحليل النحوي عند ابن فرحون، حيث إنه لم يغفل آراء الفقهاء والاستناد إليها في ترجيحاته، كما أنه خالف الفقهاء في ترجيحاتهم وفنّد آراءهم ودحضها في بعض المسائل.

ابتعد ابن فرحون في غالب ترجيحاته عن التكلف في التقدير النحوي، كما ابتعد عن التقديرات التي بها فتور في المعنى أو الصياغة النحوية.

كثرت ترجيحات ابن فرحون في الجملة الفعلية؛ وذلك لأن لها دوراً كبيراً في بناء الخطاب بما تكتنفه أفعالها من تعدد في الدلالات على المستوى النحوي والمعجمي والسياقي المقامي، مما أسهم في تعدد الاجتهادات والتأويلات، وظهر في هذا المبحث وغيره دور المتلقي والمتكلم في الترجيح النحوي.

قدّم ابن فرحون معالجة نصية للتراكيب النحوية للحديث الشريف على ضوء التراكيب النحوية للقرآن الكريم في غالب تحليلاته، وإن كان الاستشهاد بالقرآن على سبيل الاستثناس، إلا أنه أثبت بما لا يدع مجالاً للشك تعالق النصوص، وتشابه التراكيب، وكونها يفسر بعضها بعضاً، وهذا بلا شك يطعن ويرد على من أنكر الاستشهاد بالحديث على القواعد النحوية، كما يؤكد أن اللغة واحدة وإن اختلفت المستويات أو المدونات.

تعددت الألفاظ الدالة على الترجيح وتنوعت عند ابن فرحون فكان منها: الأصح، وأبين، وأحسن، والصحيح، فترجح، أشد معنى، وهو أحسن، والظاهر، وهو الظاهر، أولى بالجواز، والمعنى عليه هنا، والأحسن، والمعنى أبين، واختير، وهو الأظهر، وهو

الصواب، وهذا أحسن من غيره، والأول أظهر... إلخ.

### ثبت بالمصادر والمراجع والدوريات

أ. مصدر الدراسة الرئيس:

العدة في إعراب العمدة : بدر الدين أبو محمد عبد الله ابن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن فرحون المدني، تحقيق: مكتب الهدى لتحقيق التراث (أبو عبد الرحمن عادل بن سعد)، دار الإمام البخاري - الدوحة، قطر، ط ١، (د:ت).

ب. المصادر والمراجع :

ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣ هـ.

أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذج وعلاقاته وطرائقه ومباحثه: كلمات وآخرون، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط ١، ٢٠٠٨ م.

الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط ٥، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيخ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

أوضح المسالك إلى حل ألفية ابن مالك لابن هشام، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د:ت.

البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي: تحقيق: صدقي محمد جميل،



دار الفكر - بيروت، ط١٤٢٠ هـ.

التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق (الأجزاء من ١-٥)، ط١، ١٤١٩هـ: ١٩٩٨م، ودار كنوز إشبيلية (الأجزاء من ٦: ١٣)، ط١، ١٤٣٣هـ.

تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، دراسة وتحقيق: أ.د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمراي: تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١ ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨م.

الجنى الداني في حروف المعاني للمراي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م. حاشية الصبان على شرح الأشموني لمحمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د.ط، ١٩٥٢م.

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د:ت.

دينامية النص تنظير وإنجاز د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م.

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب (٥٢) دار المعارف، القاهرة، ط٢، د:ت.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان،

- ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- شرح الرضي على الكافية، تحقيق د. يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس - ليبيا. ط ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
- شرح المفصل لابن يعيش: تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف للإمام جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي الأندلسي المالكي، تأليف: أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، تحقيق د. عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- شرح تسهيل الفوائد لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- شرح سنن أبي داود لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوّجري، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.
- شرح صحيح مسلم المسمى (الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ١١، ١٣٨٣هـ.
- شواهد التوضيح والتّصحيح لمشكلات الجامع الصّحيح لابن مالك، تحقيق: د. طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- عتبات النص الأدبي مقارنة سيميائية للباحثة: بخولة بن الدين، مجلة سمات، مجلد ١، عدد ١، مايو ٢٠١٣م.
- العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، تأليف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان ابن العطار، تحقيق: نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- عُقُودُ الرَّبْرِجِدِ عَلَى مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. سلمان القضاة دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- علم اللغة النصي النظرية والتطبيق د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ: ٢٠٠٩م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د: ط، د:ت.
- الكتاب لسبويه: تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: شمس الدين السفاريني تحقيق وتخريج: نور الدين طالب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري لمحمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- اللمحة في شرح الملحّة، تأليف: محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، المعروف بابن الصائغ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- المجال الدلالي للفعل ومعنى حرف الجر المصاحب له: د. إبراهيم الدسوقي، دار

- غريب للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٦م.
- مدخل إلى علم اللغة النصي فولفانج هاينة من وديتر فيهفيجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية، الكتاب ١١٥، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ.
- مرجع الضمير في القرآن الكريم د. محمد حسنين صبره، دار غريب للطباعة، ط ١، ٢٠٠١م.
- المسائل السفرية في النحو لابن هشام، تحقيق، د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- معترك الأقران في إجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق، د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) للشاطبي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية - مصر. د: ت.

### ج. الدوريات العربية :

الاستئناف النحوي ودوره في التركيب د. مصطفى النحاس، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٦٥، ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - نوفمبر ١٩٨٩م.

المقارنة بين المعرفة والعلم د. بلبل عبد الكريم، مقال بشبكة الألوكة/ ثقافة ومعرفة وفكر، تاريخ الإضافة ٢٠٠٩/١١/١٢م، ٢٤ / ١١ / ١٤٣٠هـ.  
<https://www.alukah.net/culture//0/8227>

الانتقادات اللغوية لمحمود شاكر علي المرزوقي  
في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف"  
دراسة استقرائية تحليلية

الدكتور

طلال بن خلف بن محفوظ الحساني

أستاذ اللغة والنحو المساعد، قسم اللغة العربية

كلية العلوم والآداب بالمنطق، جامعة الباحة

المملكة العربية السعودية

[dr.talalalhassani@gmail.com](mailto:dr.talalalhassani@gmail.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2023.185758.1247

## الانتقادات اللغوية لمحمود شاكر علي المرزوقي في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف" دراسة استقرائية تحليلية

### مستخلص

هذه دراسة عنوانها الانتقادات اللغوية لمحمود شاكر علي المرزوقي في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف" دراسة استقرائية تحليلية، ذلك الكتاب الذي يعد في أصله عبارة عن سبع مقالات نشرها أبو فهر محمود محمد شاكر على صفحات مجلة (المجلة) في الفترة بين عامي ١٩٦٩-١٩٧٠م؛ وقد تجلت فيه أبعاداً متنوعة من الانتقادات اللغوية لدى محمود شاكر أديب العربية وحارس تراثها، وسوف يتتبع الباحث تلك الانتقادات التي وجهها محمود شاكر للمرزوقي -شارح الحماسة- تلك الانتقادات التي جاءت في قالب لغوي عميق من شأنه أن يكشف عن أبعاد النقد اللغوي عند أبي فهر، في الوقت ذاته سوف يتصدى البحث -استناداً إلى أسس موضوعية تطبيقية- لتلك المقولات الجائرة التي وصمت محمود شاكر بأنه لا يوجد له نصٌ يصور غزارة إحساسه بالشعر الجاهلي الذي فُتن به... بل إنه يواجه صعوبة تعترض طريقه وهو يحاول أن يصوغ انفعاله الروحي العنيف بهذا الشعر صياغة لغوية نقدية علمية دقيقة، والأكثر من هذا وذلك وصمه بأن تذوق الشعر لديه مر بمرحلتين: تذوق ساذج، وتذوق تأملي تحليلي، في الوقت الذي غاب عنه التذوق بالمعنى المنهجي المعهود.

**الكلمات المفتاحية:** الانتقادات اللغوية، محمود شاكر، نمط صعب، نمط

مخيف، المرزوقي.

## **The Linguistic Criticisms of Mahmoud Shaker on Al-Marzouki in his Book "A Difficult Pattern and a Scary Pattern": An Inductive Analytical Study**

### **Abstract**

This is a study entitled (The Linguistic Criticisms of Mahmoud Shaker on Al-Marzouqi in his Book “A Difficult Pattern and a Scary Pattern”: An Inductive and Analytical Study), that book, which is originally composed of seven articles published by Abu Fahr Mahmoud Shaker on the pages of (Al-Majalla) magazine in the period between 1969-1970 AD; Various dimensions of the linguistic criticisms of Mahmoud Shaker, the Arab writer and custodian of its heritage, have been manifested in it. The researcher will trace those criticisms that Mahmoud Shaker leveled at Al-Marzouqi those criticisms that came in a deep linguistic form; that would reveal the dimensions of linguistic criticism of Abu Fahr. At the same time, the research will address - based on applied objective bases - that unfair saying that stigmatized Mahmoud Shaker that there is no text for him that depicts the abundance of his sense of pre-Islamic poetry that fascinated him.... Rather, he faces a difficulty that stands in his way as he tries to formulate his violent spiritual emotion with this poetry in an accurate scientific critical linguistic formulation. What is more, he was stigmatized by the fact that his taste for poetry passed through two stages: a naive taste, and a contemplative and analytical taste, at a time when he was absent from taste. In the usual systematic sense!

**Keywords:** linguistic criticism, Mahmoud Shaker, difficult style, scary style, Marzouki.



## المقدمة

الحمد لله كما ينبغي أن يحمد ، والصلاة والسلام على نبيه أبي القاسم محمد ، وآله وصحبه ومن سار على نهجه الأوفد . وبعد:

فقد عكف محمود شاكر في محراب الشعر الجاهلي، واصطلى بنار الذود عن حقيقة وجوده التاريخية، كما تغلغلت تلك القضية في كيانه الروحي والعقلي إلى الحد الذي دفع يحيى حقي، الصديق الصدوق لشاكر، أن يوجهه إلى الكتابة حول هذا الشعر الذي أفنى سنوات طوال في قراءته ونقده؛ فكان كتاب "نمط صعب ونمط مخيف" هو ثمرة هذا الدفع من يحيى حقي لشاكر، فظهر هذا الكتاب عام ١٩٦٩م<sup>(١)</sup>، ونظرًا لكثرة الروايات حول القصيدة الواحدة؛ فقد حدث الاختلاف في ترتيب أبياتها، وتلقيها، وتفسيرها، الأمر الذي دفع الشراخ إلى تلك القصائد، يتناولونها بالشرح والتحليل والنقد، وقد استدرك بعضهم على علم بعض، وكان مما وقع في كتب الحماسة القصيدة المنسوبة إلى تأبط شرا (إن بالشعب الذي دون سلح)، وقد عالجها المرزوقي في شرحه على الحماسة، وتعاقب عليها العلماء تفسيرًا وتلقيًا؛ ومن ثم فقد تناول شاكر القصيدة تناولًا شاملاً، وكان مما أتى عليه انتقادات على شرح القصيدة، ومن ذلك انتقاداته المتنوعة على شرح المرزوقي.

## مشكلة الدراسة

أثناء مطالعة الباحث كتاب "نمط صعب ونمط مخيف" لمحمود شاكر ؛ لفتت نظر الباحث عباراتٌ عديدة لمحمود شاكر تصرح بنقده للشرح قبله في بعض ما تعلق بالقصيدة بشكل عام، والمرزوقي بشكل خاص؛ فمن ذلك قوله: "... ثم ما اقترحتة أنا من ترتيب وفق منهجي في تذوق الشعر ودلالته على حال قائله، ومخالفتي في ذلك عما قاله بعض شراح القصيدة من النقاد الأوائل، ثم عدولي عن شروهم اللغوية المجردة لبعض ألفاظها، ورأيت أننا إذا وقفنا عندها دفنا الشعر في تابوت اللغة"<sup>(٢)</sup>.

هذه المقولة من محمود شاكر تتضمن عدة إشارات هي: إشارة صريحة إلى أن

<sup>١</sup> ينظر: محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٢٨٢.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة- القاهرة، ط: ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ص ١: ٢.

تذوقه في الشعر الجاهلي قائم على أسس لغوية، كذلك إشارة أخرى إلى أنه له منهج خاص في تذوق الشعر، والوقوف على دلالاته، كما تضمنت المقولة أيضًا الكشف عن بعد منهجي نقدي لغوي دقيق؛ إذ جاء عدوله عن بعض الشروح في ضوء انتقادات لغوية للشرح؛ لما له من مآخذ عليهم حول وقفاتهم حول بعض الألفاظ؛ لأن الشعر لديه يحيى باللغة وليس العكس.

يثبت صحة تلك القراءة من الباحث لمقولة محمود شاعر سألغة الذكر، تعقبه بعض ألفاظ القصيدة على نحو ما ورد في شرح قديم يقول: "فلا يغررك كلامُ الفراء؛ فتحمل عليه هذا الشعر الذي نحن فيه؛ فإذا هو زاهق، قد أُدرج في كفن من اللغة"<sup>(١)</sup>. فهذان الموضعان وغيرهما من المواضع يشيران إلى نهج مختلف في تلقي القصيدة المنسوبة إلى "تأبط شرا" عند محمود شاعر، وهو اختلاف يبدأ من طريقة التذوق مرورًا بمواضع النقد والاستدراك في مستويات الدلالة المختلفة في القصيدة معجمًا ونحوًا ومعنى في الوقت الذي كان الباحث يطالع فيه كل ما يتعلق بكتاب (نمط صعب ونمط مخيف) مادة تلك الدراسة الحالية؛ ليتتبع انتقادات شاعر اللغوية على المرزوقي، كان من المنطقي أن يتعرض الباحث لكتاب (محمود محمد شاعر "سيرته الأدبية ومنهجه النقدي") لمؤلفه الدكتور إبراهيم الكوفحي؛ بوصفه كتابًا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بموضع الدراسة الحالية؛ إذ لفت نظر الباحث بعض العبارات التي أوردها المؤلف حول محمود شاعر التي تتناقض شكلاً وموضوعًا مع ما يطالعه الباحث في (نمط صعب ونمط مخيف)، ويخالف -إلى حد بعيد- ما هو ثابت بين أهل اللغة والأدب عن شاعر، بل إنها أقوال تكاد تجافي روح العلم والموضوعية والمنهجية العلمية؛ حيث وصم المؤلف أبا فهر بالآتي<sup>(٢)</sup>:

**أولاً:** قال الكوفحي "الشعر الجاهلي عند شاعر عرض لا يُفَرط فيه... غير أننا لا نجد نصًا لشاعر يصور غزارة إحساسه بهذا الشعر الذي فتن به، سوى ما كتبه في مقدمة "الظاهرة القرآنية" لمالك بن بني... ولعل ناصر الدين الأسد هو الباحث الوحيد الذي أمدنا بنص أصيل يصور طبيعة الانفعال المدهش الذي كان يستبد بشاعر حين يتذوق الشعر الجاهلي.

<sup>١</sup> المرجع السابق: ص ١٨٢.

<sup>٢</sup> المرجع السابق: ص ٢٨٤- ٢٨٥.

**ثانيًا:** قال الكوفحي، معلقًا على كلام الأسد عن محمود شاعر، إنه منطوق: "يكشف مفهومه عن آفاق الصعوبة التي كانت تعترض طريق شاعر وهو يحاول أن يصوغ هذا الانفعال الروحي العنيف في لغة علمية نقدية علمية دقيقة... في طريق هذا الشعر ومتذوقيه.

**ثالثًا:** قال الكوفحي "وقبل أن أدخل في ميدان التذوق المنهجي الدقيق الذي قرأ به شاعر الشعر الجاهلي، يحسن بي أن ألمح إلى واحدة من تجليات التذوق الساذج لهذا الشعر، الذي هو قسيم التذوق المنهجي... أما التذوق المنهجي عند شاعر، فهو منهج تأملي يطبقه على كل تجليات البيان الإنساني من خبر ورواية شعر ونثر، وأن وفور حظ الناقد من ملكة التذوق هو الذي يعينه على مواجهة البيان الإنساني واستكناه أسراره وخفائيه".

### أهداف الدراسة

تأسيسًا على ما تقدم؛ فقد نهضت هذه الدراسة من أجل رصد تلك الانتقادات اللغوية التي وجهها شاعر للمرزوقي، وتحليلها في ضوء معطيات النقد اللغوي وآلياته، وبحث مدى موضوعية شاعر في تلك الانتقادات من عدمه، وفي الوقت ذاته استكشاف إمكانية أن تكون تلك الانتقادات ردًا على ادعاءات الكوفحي التي وصم بها شاعر، أم تكون تلك الانتقادات داعمة لما ذكره الكوفحي ومؤكده صحته، خاصة أن ما ذكره الكوفحي يندرج أيضًا تحت مظلة النقد اللغوي، الذي يمثل صلب الدراسة الحالية وعمادها.

### تساؤلات الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات الجوهرية هي: هل كان لمحمود شاعر منهج خاص في النقد اللغوي، بوصفه ناقدًا لغويًا، كما كان له منهج خاص بوصفه أديبًا أريبًا؟ وما أبعاد ذلك المنهج النقدي؟ وما مقوماته؟ وما خصائصه؟ وهل قدّم شاعر للعربية -في جانبها النقدي اللغوي- ما قدمه لها في جوانبها الأدبية والتراثية؟ التساؤلات التي لا تقل أهمية عن سابقتها هي: إلى أي مدى وُفق شاعر في انتقاداته للمرزوقي؟ وما مستويات تلك الانتقادات اللغوية؟ وإذا كانت هذه الدراسة في

جوهرها مجموعة من الانتقادات لشارحي الحماسة عامة وللمرزوقي خاصة، فأين يكمن جوهر الاختلاف بين شاعر وسابقه؟ هل في تلقي الشعر أم فيما تحتمله اللغة في وجوهها المختلفة؟ أم هو الصواب في مقابل الخطأ؟ وهل اختلفت الغاية من شرح الشعر وتفسيره عند شاعر والمرزوقي أم اتفقت؟ وما خصائص تلك الانتقادات التي وجهها شاعر للمرزوقي؟ وهل صدق الكوفي في الادعاء بأننا نفتقر إلى نص صريح يصور لنا غزارة إحساس شاعر بالشعر الجاهلي بعد ما قرأناه في نمط وصعب ونمط مخيف؟ وهل أصاب الكوفي حينما أشار إلى وجود آفاق من الصعوبة تعترض طريق محمود شاعر أثناء محاولته تذوق الشعر؟ أم جانبه الصواب؟ وهل مرَّ هذا التذوق لدى شاعر بالفعل بمرحلة السذاجة -على حد تعبير الكوفي- أو أن نقد شاعر لم يصل إلى مرحلة النقد المنهجي بمعناه المعهود؟

### منهج الدراسة

تعتمد الدراسة بشكل رئيس على معطيات المنهج الاستقرائي، مع الاستعانة بآليات المنهج التحليلي وذلك نظراً لمناسبة هذين المنهجين لطبيعة الدراسة ومادتها اللغوية؛ حيث سيقوم الباحث باستقراء أقوال شاعر حول شرح المرزوقي، بعد حصر مواضع تلك الانتقادات التي وجهها شاعر للمرزوقي على أسس لغوية، ثم يصنفها الباحث تصنيفاً يتفق ومعطيات النقد اللغوي، ثم يحللها تحليلاً دقيقاً؛ بغية استكشاف مدى دقة الكوفي في ادعاءاته تجاه شاعر من عدمه من جانب، ومن جانب آخر؛ الوصول إلى أبعاد النقد اللغوي لدى شاعر.

في ضوء ما تقدم انقسمت الدراسة إلى مقدمة متلوة بتمهيد، ثم مباحث ثلاثة؛ أما المقدمة تناولت عنوان البحث، ومشكلته، وهدفه، ومنهجه، والدراسات السابقة المتعلقة بالمرزوقي أو بمحمود شاعر، وخطة الدراسة المتبعة، ثم جاء التمهيد ليشتمل ثلاثة محاور: اختص المحور الأول بإلقاء الضوء المصطلحات الرئيسية في هذه الدراسة، وتعلق المحور الثاني بمنهج المرزوقي في تلقي الشعر وتفسيره في القديم، وانصرف المحور الثالث إلى منهج شاعر في تلقي الشعر العربي وتذوقه وتفسيره.

ثم جاءت الدراسة بعد التمهيد في أربعة مباحث ، المبحث الأول: الانتقادات

اللفظية المعجمية، المبحث الثاني: الانتقادات النحوية التركيبية، المبحث الثالث: الانتقادات الدلالية، المبحث الرابع: الرد على ادعاءات الكوفحي، وقد خُتمت الدراسة بخاتمة تبرز أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج، ثم جاءت قائمة تتضمن مصادر الدراسة ومراجعتها، ثم فهرست مفصل لموضوعات البحث على النحو الوارد في متنته.

**الدراسات السابقة:**

يمكن للباحث أن يقسمَ هذا الدراسات السابقة إلى قسمين على النحو الآتي:

### أولاً: دراسات سابقة حول المرزوقي

- تناولت شرحَ المرزوقي على ديوان الحماسة دراسات متنوعة بين النحو والدلالة والأدب والنقد والبلاغة إلى غير ذلك من جوانب اللغة المتعددة، ومنها:
- ١- أثر الشاهد الشعري في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، رسالة ماجستير للباحث: محمد يوسف محمد عوض، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، ١٩٨٦م.
  - ٢- البيان العربي في شرح المرزوقي على ديوان الحماسة، رسالة دكتوراه للباحث: سامي عبد الكريم علي الشيخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، ١٩٨٧م.
  - ٣- شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها، د/ محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، الدوحة.
  - ٤- التطور الدلالي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، د/ محمود كمال سعد أبو العينين، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، مصر، العدد السادس والثلاثون، إصدار يونيو ٢٠٢١م.
  - ٥- شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها، د/ أحمد جمال العمري، دار المعارف، القاهرة، ط١: ١٩٨١م.

### ثانياً: دراسات حول أبي فهر محمود محمد شاكر

- هي كذلك دراسات متنوعة في مجالات اللغة المختلفة، ومنها:
- ١- محمود محمد شاكر ومنهجه في الدرس الأدبي والتحقيق، رسالة ماجستير للباحث: محمود إبراهيم محمد محمود، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩١م.

- ٢- المتبني بين طه حسين ومحمود شاكر، رسالة ماجستير للباحث: إسماعيل عبد الحكيم عبد المحسن الشراوي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر-مصر، ١٩٩١م.
- ٣- محمود محمد شاكر، الرجل والمنهج، د/ عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ٤- محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ٢٠٠٨م.
- ٥- مقالات حارس التراث أبي فهر، محمود محمد شاكر، دراسة، إبراهيم بن محمد أبانمي، الرياض، ط١: ١٤٢٧هـ.
- ومن الملاحظ حول تلك الدراسات، رغم ما لها من أهمية، أنها لم تقف عند انتقادات محمود محمد شاكر على المرزوقي في القصيدة محل الدراسة وقفة قوامها النقد اللغوي، هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تتصد أي دراسة منها للرد على ادعاءات الكوفحي تجاه شاكر؛ ومن ثم كانت هذه الدراسة الحالية.

## التمهيد

يضم هذا التمهيد ثلاثة محاور: اختص المحور الأول بإلقاء الضوء على أهم المصطلحات الرئيسية في هذه الدراسة ، وتعلق المحور الثاني بمنهج المرزوقي في تلقي الشعر وتفسيره في القديم، وانصرف المحور الثالث إلى منهج شاكر في تلقي الشعر العربي وتذوقه وتفسيره.

## المحور الأول : المصطلحات الرئيسية في الدراسة .

## • الانتقادات اللغوية

يتجاوز الباحث هنا حدود المعنى اللغوي لكلمة (نقد) التي اشتق منها لفظ (انتقادات)؛ نظراً لأن دلالة المصطلح لم تعد خافية على متخصص أو غير متخصص، وإنما سيركز الباحث الضوء هنا على خصوصية ذلك التركيب اللغوي (الانتقادات اللغوية)، الذي يشير في أبسط دلالاته - في تصور الباحث - إلى ممارسة الفعل النقدي على أسس لغوية، سواء كانت ألفاظاً أو تراكيب لغوية، أو معانٍ إجمالية. والنقد اللغوي وفقاً لهذا التصور ليس طوراً مستحدثاً من النقد ، وإنما هو أصل راسخ ، واتجاه أصيل من الاتجاهات النقدية ؛ والدليل أن في نهاية العصر الأموي ظهر نوع من النقد يراد به العلم، ويراد به خدمة الفن الشعري وخدمة تاريخ الأدب، وقد تزعمه اللغويون والنحويون... وهو نقد متشعب فسيح، يمس العربية كلها، ويحلل النصوص في جميع نواحيها، ضبطاً وبنية وتركيباً وفقاً<sup>(١)</sup>.

إن من الثوابت في أروقة الأدب واللغة معاً أن مهمة النقد هي البحث حول: كيف عبّر النص؟ وما الوسائل اللغوية المستعملة لمحاصرة المعنى؟ والإجابة عن هذا السؤال تعني: القيام بمجموعة من الخطوات العلمية انطلاقاً من نص محدد، ومحاولة لتطوير النص والقبض على المعنى، واستناداً إلى أن وسيلة النقد هي اللغة، وهدفه هو النص الأدبي، فإن أي مجال نشاطه اللغة، وليس الواقع الخارجي، وإن شئنا الدقة، الواقع المتشكل لغوياً... مع ملاحظة أن كل ممارسة نقدية ترى في النص مجرد تعبير لغوي وجمالي هي ممارسة قاصرة النظر؛ لأن جماليات النص الأدبي ترتكز على خلفيات ثقافية واجتماعية لا يمكن نكرانها<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد النقاد واللغويون معاً أن النقد قد أصبح وثيق الصلة بعلم اللغة منذ بواكير القرن الثاني الهجري فأصبح لزاماً على كل ناقد أن تكون له دراية واسعة بعلم اللغة

<sup>١</sup> ينظر أحمد طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب منالعصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٤م ، ص ٦٦/٦٥ .

<sup>٢</sup> ينظر : حسن خمري : سرديات النقد في تحليل الخطاب النقدي المعاصر ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ٢٠١١م ، ط ١ ، ص ٣٧ .

نحوها وصرفها وبلاغتها وعروض شعرها وقوافيه<sup>(١)</sup>؛ ومن ثم فالنقد اللغوي نقد يقوم على أصول لغوية واحدة ومحددة، وقد أسهم الاعتماد على الأسس اللغوية أن يكون المنهج اللغوي أكثر إسهامًا في صياغة أحكام النظرية النقدية عند العرب، حتى أضحت التداخل بين علم اللغة والنقد الأدبي من أظهر السمات التي يتميز بها النقد العربي<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان الأدب هو موضوع النقد -ففي تصور الباحث- فإن اللغة هي العامل المشترك بين هذين القطبين؛ لأن حادثة الكلمات، بما لها من دلالة وجرس، والجمل بما فيها من كلمات، وما تستلزمه من ترتيب خاص أو تدل عليه من معان مختلفة، وما ترسمه من صور تبعًا لهذا الترتيب، كل ذلك وغيره من المكونات اللغوية مثل الأصوات والتراكيب والأسلوب والنحو والتصريف... إلخ، كلها أدوات النقد والأدب في آن واحد<sup>(٣)</sup>.

### • نمط صعب ونمط مخيف

هو ذلك الكتاب الذي كتبه محمود محمد شاكر عام ١٩٦٩م؛ بدافع من صديقه الصدوق يحيى حقي حيث حرّكه للكتابة في هذا المجال إيمانًا منه بقدرات شاكر في إطار النقد عامة، وما يمكن أن يندرج تحت مسمى (النقد اللغوي) خاصة؛ إذ طرح عددًا من الأسئلة حول قصيدة (تأبط شرًا) "إن بالشعب الذي دون سلع" التي ترجمها (جوتة) إلى الألمانية، واقترح لأبياتها ترتيبًا مغايرًا لما هي عليه، وختمها بسؤال عن طبيعة المنهج العلمي الواجب اتباعه في دراسة الشعر الجاهلي. وقد باح شاكر نفسه في مقدمة الكتاب بأسرار ذلك الكتاب وطبيعته ومنهجه وغايته<sup>(٤)</sup>.

### • محمود شاكر

هو محمود بن محمد شاكر بن أحمد عبد القادر، من آل أبي علياء، من أشرف

<sup>١</sup> ينظر: مصطفى عبد الرحمن في النقد الأدبي القديم عند العرب، القاهرة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٨م، ص ٤  
<sup>٢</sup> ينظر: الانتقادات اللغوية والدلالية التي أخذها محمد ناصر السلاّموني (ت. ٥٥٠هـ) على أحمد محمد الهروي (ت. ٤٤٠هـ)، من خلال كتابه (التيه) تحليل وتقويم، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات - الزقازيق، ٢٠١٦م، ص ١٠٤٦

<sup>٣</sup> ينظر: محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م ص ١٥، وللمزيد حول تلك العلاقة ينظر: صلاح فضل منهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م، ط ١، ص ٩٢/٩١.

<sup>٤</sup> ينظر: نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة- القاهرة، ط: ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ص ١؛  
 وينظر: محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ١؛  
 ٢٠٠٨م = ١٤٢٩هـ، ص ٢٨٣/٢٨٢.



جرجا بمنطقة الصعيد بجنوب مصر، وينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، وقد ولد بمحافظة الإسكندرية الاثنتين أول فبراير عام ١٩٠٩م، وافق ليلة عاشوراء من عام ١٣٢٧هـ<sup>(٢)</sup>، والده أزهرى النشأة والعمل؛ فكان أميناً لدار الفتوى، ووكيلاً للجامع الأزهر، وكذلك جده لأمه الشيخ الجليل هارون عبد الرزاق، أحد علماء المذهب المالكي بمصر<sup>(٣)</sup>. وتعد قصة محمود شاكر مع أستاذه طه حسين بعد التحاقه بالجامعة المصرية من أشهر القصص في الأروقة الأدبية التي تكشف نبوغه المبكر ومنهجه الموضوعي في اللغة العربية عامة، وقضاياها الدقيقة خاصة، لا سيما الشعر الجاهلي الذي كان محوراً للخلاف بينه وبين أستاذه<sup>(٤)</sup>، وقد فارق دنيانا - رحمه الله - في السابع من أغسطس سنة ١٩٩٧م<sup>(٥)</sup>.

### المحور الثاني: منهج المرزوقي في تلقي الشعر وتفسيره

كان منطقياً أن يهتم العلماء العرب في التراث بالشعر الجاهلي؛ لأنه الصورة الأصدق في التعبير عن النفس العربية، وكان منطقياً -أيضاً- أن تكون حركة كبيرة من الجمع والشرح لمادة هذا الشعر الممتد قرناً ونصف القرن في عمر الجاهلية، واتسمت هذه الشروح بالتطور الدائم؛ حيث بدأت بسيطة، وربما ساذجة، لقرب العرب من لغتهم وفهمهم لها فهما جيداً من جهة، ولكون البدايات العلمية لا تكون كاملة من جهة أخرى، وأخذت تتطور بمرور الأيام.

وقد سلك الدكتور "أحمد جمال العمري" شرح المرزوقي على ديوان الحماسة في المنهج الثاني من المناهج الثلاثة التي أوضحها في كتابه القيم، حيث المنهج الإبداعي الفني، وهو المنهج الوسيط بين المنهج الالتزامي الذي يلتزم فيه الشارح بالنقل عن سبقه

<sup>١</sup> ينظر : محمود محمد شاكر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ، جمعها وقرأها وقدم لها : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٣ وما بعدها .

<sup>٢</sup> ينظر : محمد رشاد سالم وآخرون ، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر بمناسبة بلوغه السبعين ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٣ .

<sup>٣</sup> ينظر : الطاهر أحمد مكي ، معالم هادية على طريق سيرة عطرة ، مجلة الهلال ، فبراير ١٩٩٧م ، ص ٧٠ .

<sup>٤</sup> ينظر : محمود محمد شاكر : خطبة كتاب المتنبي ، مطبعة المدني ، مصر ، دار المدني ، جدة ، ١٩٨٧م ، ص ١٢ . وينظر : صلاح فضل : تكوينات نقدية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠٢ وما بعدها .

<sup>٥</sup> ينظر : يحيى حقي : محمود شاكر أديب العربية ومحققها ، مجلة الهلال ، آذار /مارس ١٩٨٥م ، ص ١٢ ، وينظر : محمود الربيعي : في الخمسين عرفت طريقي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٧٥ .

أو عاصره، والمنهج الانتخابي الذي يختار الشاعر فيه مما بين يديه من مادة ضخمة مضيفا إليها ما يراه، وقد حدَّ المنهج الذي ينتمي إليه المرزوقي؛ فقال بأنه منهج: "يتقن في استخراج مكامن علوم البلاغة؛ لإظهار ما يؤديه من جمال التصوير، وروعة التعبير في إطار من حسن العرض، وكمال التحليل، وجودة التعليل"<sup>(١)</sup>.

وقد انطبق هذا المنهج على شرح المرزوقي انطباقا شبه تام؛ حيث يُعد المرزوقي "أكثر الشراح تناولا لعلوم البلاغة في شرحه، ولكن تناوله لها لم يكن في درجة واحدة، فهو قد يحلل ويعلل ما يثيره من نواح بلاغية، غير أنه في جانب مقابل كثيرا ما نراه يعرض هذه النواحي في عبارات موجزة، لا تتصف بحسن العرض، وكمال التحليل، وجودة التعليل"<sup>(٢)</sup>.

غير أنّ محاولة التحديد المنهجي الصارم لمناهج الشراح في الحماسة وفي غير الحماسة أمر تحيطه كثير من الشكوك؛ لأنَّ طبيعة الشعر تأباه من جهة، ولتفاوت حظ الشراح من العلم من جهة أخرى، بل لتفاوت حظ الشارح نفسه في المواضيع المختلفة من التفسير كالمرزوقي، ونخرج من ذلك إلى ارتكاز منهج المرزوقي على البيان العربي أو الجانب البلاغي في الشرح، وإن أطنب في موضع، وأوجز في آخر، وأبهم وأخلّ في الأخير.

يضاف إلى ذلك الغاية التعليمية من هذه الشروح، خاصة وأن المرزوقي من وفيات أول العقد الثالث من القرن الخامس الهجري، وهو ما يجعل تصنيف المنهج بشكل حاسم ملبسًا في كثير من الأحيان، وقد كان جيل الشراح قبل المرزوقي منطلقا من المعاني الجزئية إلى المعاني الكلية، وقد خالفهم المرزوقي إذ كان "لا لأنه كان يبدأ من الكل إلى الجزء - كما ذهب الدكتور العمري - ولكنه كان أديبا ذاقا للفن الشعري، وهو مع كونه موصوفا بهذه الصفة التي غلبت عليه في شرحه، كان أيضا عالما ملما بشتى العلوم التي تتصل بشرح الشعر"<sup>(٣)</sup>.

ومن الأسس التي بنى عليها المرزوقي منهجه في تلقي الشعر وتفسيره المفاضلة

<sup>١</sup> شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها، د/ أحمد جمال العمري، دار المعارف القاهرة، ط: ١: ١٩٨١م، ٢/ ١٢٩.

<sup>٢</sup> شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها، د/ محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، الدوحة، دت، ص ١٠٤.

<sup>٣</sup> شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة، د/ محمد عثمان علي، ص ١٠٦.

بين الروايات؛ فهو "يعمد إلى ذكر رواية أخرى إلى جانب الرواية الأصل في الحماسة، ويحاول أن يفاضل بين الروايتين"<sup>(١)</sup>.

وهذا الأساس المقارن لا شك في أنه ينعكس انعكاسا مباشرا على تفسير الشعر في مستويات اللغة المختلفة، ومن أسس منهجه كذلك أنه يعتمد الحس اللغوي القائم على التذوق بوصفه أديبًا وعالمًا في الوقت نفسه؛ فـ "التفاعل بين الكلمة والفكرة، والعقل والقول يؤسس لنا الإحساس اللغوي السليم الذي يمنع الانحراف اللغوي والنحوي"<sup>(٢)</sup>.

ومنها كذلك تعدد المستويات اللغوية التي طالها التفسير في شرح المرزوقي؛ "لأنّ شروح الشعر في هذه الفترة لم تقف عند التفسير اللغوي والإعراب النحوي فحسب، بل تجاوزته إلى عرض الروايات المختلفة، وشرح المعنى بصور متعددة، وعناية الشراح بالنواحي الأدبية والنقدية والبلاغية في أثناء تحليلاتهم لمحتوى النص الشعري، والموازنات والمقارنات مع بعض الإشارات النقدية"<sup>(٣)</sup>.

وربما كان المرزوقي خاضعا لحسه الذاتي؛ فلم يسر على وتيرة واحدة في شرحه، حيث يتبع "الخطرة الأولى التي تشع في عقله ووجدانه، حال قراءته للنص، قد تتمثل هذه الخطرة في المعنى؛ فيعرضه أولا، وقد تتمثل في لفظة فيسبق إليها بالشرح الإيضاح، وقد تكون هذه الخطرة في صورة بلاغية؛ فيسجلها قبل المضي في الشرح، وقد تكون رواية؛ فيبدأ بعرضها ومناقشتها، بل ربما تتمثل الخطرة في غرض الشاعر ومراميه في الكلام؛ فيعتمد إليه أولا، أو في تركيب نحوي؛ فيعرضه قبل إيضاح المعنى وشرح الألفاظ، كل هذه العناصر كان المرزوقي يبدا بها شرحه للنص"<sup>(٤)</sup>.

ونخلص من ذلك كله إلى أنّ المرزوقي يتبع المنهج الإبداعي الفني الذي تدخله الغاية التعليمية، وأنه يتناول المستويات اللغوية المختلفة في التفسير الشعري بحسب ما يدفعه إليه التذوق الشعري الآني، وقد جاء شرحه في سياق مختلف من الشروح؛ حيث إن المرحلة السابقة له هي مرحلة النقل والالتزام؛ نقلها جيله إلى مرحلة الإبداع.

<sup>١</sup> منهج المرزوقي في رواية الشعر من خلال شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، د/ سالم سعدون وآخرون، بحث منشور في مجلة معارف، جامعة البويرة، الجزائر، المجلد ١٧، عدد: ١، ٢٠٢٢م، ص ٥٩١.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٥٩٩.

<sup>٣</sup> نشأة حركة الشروح وتطورها في الشعر العربي (شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام نموذجاً)، أ/ تركي طارق، بحث منشور في مجلة جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص ١١٨.

<sup>٤</sup> شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة، د/ محمد عثمان علي، ص ١٠٦: ١٠٧.

### المحور الثالث: منهج محمود محمد شاعر في تلقي الشعر وتفسيره

اختلف منطلق المنهج عند شاعر؛ فإذا كان شرح المرزوقي في ذروة الشرح وقرب العهد بالشعر فإنَّ شرح شاعر للشعر وتفسيره ينطلق من غربة في تلقي الشعر وتفسيره سواء بسواء، خاصة الشعر الجاهلي الذي ترك الجامعة لأجله، وهجرها إلى الحجاز، وقد سيطر إحساس الغربة على منهج شاعر في شتى مناحي العربية إبداعا وتلقيا، ولا ينفي هذا وجود السمات المشتركة بينه وبين شرح المرزوقي؛ فكلاهما أديب مبدع إلى كونه عالم في اللغة، وكلاهما عالِم تفسير الشعر على أساس التدقيق في مستويات اللغة المختلفة.

"لقد أطل شاعر على الحياة الأدبية والثقافية في عشرينات هذا القرن والنزاع بين القديم والجديد الذي أخذ يشتد منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى في ذروته، وهو ليس نزاعا محدودا؛ بل كان نزاعا حضاريا شاملا... وطبيعي أن ينحاز شاعر في هذا النزاع إلى جانب الثقافة العربية الإسلامية"<sup>(١)</sup>، لأسباب كثيرة، منها: نشأته وتلمذته على يد الكبار: الزافعي والمرصفي وغيرهما، ومحنة الشعر الجاهلي في صدر حياته، وخلافه مع عميد الأدب العربي طه حسين.

وقد أقام شاعر منهجه على أساس التدقيق لا في الشعر وحده، بل في شتى مناحي التراث الإسلامي المتصل بالعربية وآدابها، والمتأمل في نتاجه يظهر له سيطرة فكرة التدقيق على منهجه تأصيلا وتطبيقا؛ حيث إنه يرى في التدقيق أصل الحضارة؛ يقول: "فواجبنا اليوم أن نعيد بناء أنفسنا على ما بُنيت عليه حضارتنا من دقة التدقيق، وأن يكون التدقيق أساس عملنا الأدبي في آثار أسلافنا، وأن نلقي كلمات أخبارهم التي أثرت عنهم بالفحص النافذ"<sup>(٢)</sup>.

بل إنه يرى في التدقيق عادة للعرب في إدراك البيان القرآني وبيان البشر؛ فيقول عن أهل العربية حال نزول القرآن وبعده: "أهلها قادرون على إدراك هذا الحاجز الفاصل بين

<sup>١</sup> محمود محمد شاعر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ١: ١٤٢٩هـ/

٢٠٠٨م، ص ٢٠٤.

<sup>٢</sup> قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، محمود محمد شاعر، مطبعة المدني بجدّة- القاهرة، ط: ١: ١٤١٨هـ/

١٩٩٧م، ص ٥٩.

الكلامين، وهذا إدراك دالّ على أنهم قد أوتوا من لطف تذوق البيان، ومن العلم بأسراره ووجوهه قدرا وافرا يصح معه أن يتحداهم بهذا القرآن<sup>(١)</sup>.

على ما سبق "يشكل مفهوم التذوق عماد تجربة شاعر في قراءة التراث وتشيل المنهج، ويكاد هذا المفهوم أن يستبد بهذه التجربة إلى الحد الذي تتداخل فيه ملكتا التذوق والنقد، بحيث يتجاوز التذوق حدود كونه مرحلة من مراحل الإدراك النقدي"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان شاعر يرى أنّ التذوق أساس الحضارة العربية وتراثها اللغوي فإنه -لا شك- يراه ضرورة من ضرورات تلقي الشعر الجاهلي خاصة؛ لأنّ مسالك الشعر الجاهلي بدءا من روايته وانتهاء بتفسيره ذو مسالك وعرة. وقد انعكس التذوق في تفسير شاعر للقصيدة -محل الدراسة- في جميع مستوياتها؛ فالتذوق عنده أساس "لأي عمل فني؛ فهو عند تذوقه نجده يتلمس آثار المبدع في إبداعه؛ فيتوقف عند الحروف والكلمات، ثم التراكيب والجمل، ويحاول أن يستنتجها، ويكشف عن مكوناتها، وما تحدّث به عن حالة صاحبها"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا لم يكن تفسير الشعر مقصودًا في ذاته عند شاعر، على خلاف الحال عند الشراح السابقين؛ ففي السابقين احتفظت العربية بنقائها وبقائها ورهبتها، أما في عصر شاعر فقد انخذلت الهمم وضعفت؛ وعلى هذا كان يفسر الشعر في مستوياته المختلفة، ويستدرك على من فات وينقد؛ بغية الوصول إلى سيرة أو ترجمة للشعر والشاعر على حد سواء من النصوص ذاتها دون اللجوء إلى مناهج مختلفة تُطبق تطبيقًا آليا على العربية وشعرها.

ساعده في ذلك مراسه بالأساليب، وصدق حدسه فيها غالبا؛ يقول د. صلاح فضل: "امتلاكه الحقيقي لعبقرية اللغة، وروح الثقافة، ومعرفته المذهلة لأساليب الكتاب والمؤلفين؛ فهو يقابل النص المجهول فينسبه لتوه وعصره وقائله غالبا، قبل أن يبحث عنه

<sup>١</sup> مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاعر، مطبعة المدني بجدة- القاهرة، ط٢: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١٦٥.

<sup>٢</sup> محمود محمد شاعر، الرجل والمنهج، د/ عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٠٩.

<sup>٣</sup> شيخ العربية وحامل لوائها، أبو فهر محمود محمد شاعر بين الدرس الأدبي والتحقيق، محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م، ص٤٧.

في المصادر، ويتحقق من صواب ما انتهى إليه بحده، وقادته إليه فطنته وأمعنيته<sup>(١)</sup>. ونخلص من جميع ما سبق إلى أنّ الشارحين يشتركان في سمات كثيرة ويفترقان؛ فهما يشتركان في امتلاك الروايات المختلفة للقصيدة، وجمعهما بين صفة الأديب وصفة العالم في المعالجة، وفي تفسير القصيدة في مستوياتها اللغوية المختلفة... ثم يفترقان في الدافع والغاية، فإذا كان المرزوقي مبدعا فنيا في شرحه فإنّ شاكرا -لضرورات عصره- كان في شرحه وتفسيره باحثا عن تاريخ مضيع وماض مشرق. في ضوء ما تقدم يتأكد أن الرجلين لم يتقفا في منهجيهما النقدي، وتلك سنة الاختلاف والتمايز بين الأفراد؛ لذا يمكن الإيمان بفكرة الاختلاف بينهما في ضوء فكرة التمايز بين الأفراد وظيفيًا؛ فإنّ التفاوت هو السمة البارزة في الدور الذي يقوم به كل فرد؛ وعليه لا توجد قوانين ثابتة تحكم عملية الإبداع؛ فممارسة العمل الإبداعي تختلف من شخص لآخر<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> محمود شاکر بين حلاوة التنوq ومرارته، د/ صلاح فضل، مقال منشور في مجلة المصور، العدد: ٣٨٠٥، ٩ جمادى الأولى ١٤١٨هـ/ ١٢ سبتمبر ١٩٩٧م، ص٤٨.

<sup>٢</sup> مفهوم الشعر عند جميل صدقي الزهاوي، د.إبراهيم عبد العزيز زيد، مجلة كتابات، الجمعية المصرية للسرديات، إصدار خاص (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر)، ٢٠١٤م، ص ٣١.

## المبحث الأول

### الانتقادات اللفظية والمعجمية

لقد عالج كل من المرزوقي وشاكر القصيدة في مستوياتها اللغوية المختلفة؛ فكان منطقياً أن تكون الاستدراكات في هذه المستويات، وينبغي أن نشير بداية إلى أن هذه الاستدراكات قد تأتي متداخلة عند شاكر بمعنى أن الاستدراك الواحد قد يكون في اللفظ والمعنى والنحو في آن واحد، وقد يكون الاستدراك منفرداً خاصاً باللفظ، أو خاصاً بالنحو والتركيب أو خاصاً بالمعنى الإجمالي للبيت الذي وقع فيه النقد والاستدراك.

ويختص هذا المبحث بالاستدراكات المتعلقة بالألفاظ والمعجم بين المرزوقي في شرحه وشاكر في "نمط صعب ونمط مخيف"، وقد نصّ شاكر في هذا الصدد صراحة على الاستدراك أو النقد المعجمي؛ فقال: "وفي هذا القسم الثاني من القصيدة كلمات كثيرة ينبغي أن أقف عليها مبيناً، ولكنني قدمت عليها بيتاً، أحببت أن أبدأ به، حتى يتصل الكلام بعد ذلك اتصالاً واحداً، فإنّ الشراح أساءوا في هذا البيت غاية الإساءة، وطمسوا بهاء الشعر بإساءتهم"<sup>(١)</sup>.

❖ تفسير لفظ (مسبل - أحوى - رفل) في قول الشاعر:

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ      وَإِذَا يَغْدُو، فَسَمِعُ أَزْلٌ

يقول شاكر: "قالمرزوقي، وأبو العلاء المعري، والتبريزي، مجمعون على أن الحرف (مسبل) هو من إسبال الإزار، وهو إرخاؤه، يُسحب على الأرض خيلاء وكبرا وتبخترا؛ لأنّ من عادة العرب أن يصفوا أهل النعمة في حال الأمن والدعة بذلك. وأما (أحوى)، و(رفل) فقد فرّ منها المرزوقي فراراً، على غير عادته في اللجاجة والإكثار"<sup>(٢)</sup>.

وأول ما يلحظ أن نقد شاكر لا يعني تعقب اللفظ المراد في شرح المرزوقي فقط، وإنما يعني أيضاً ما فات المرزوقي في شرحه؛ حيث قوله الحادّ (فرّ منها المرزوقي فراراً). يقول المرزوقي: "وصفه بأنه في الحيّ -والحال سلامة- يسبل إزاره خيلاء وكبرا،

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، ص ١٥٧.

<sup>٢</sup> السابق نفسه، ص ١٥٧.

ويتختر ذاهبا في الترفة إلى أرفع درجة<sup>(١)</sup>. ويقول أبو العلاء المعري: "أي مرخ إزاره تجبرا"<sup>(٢)</sup>. وعليه التبريزي حيث يقول: "أي مسبل إزاره في الحي، وهم يمدحون ذا النعمة بذلك حال الدعة وعدم الحرب"<sup>(٣)</sup>.

لكنّ شاکر لا يرتضي هذا التفسير، ويأخذ اللفظ إلى مسلك آخر تحتمله اللغة، ويناسب سياق القصيدة، حيث إنه فسّر اللفظ (مسبل) بإسبال الفرس ذيله؛ فقال: "ومسبلٌ في هذا الشعر، إنما يعني به فرساً، قد أسبل ذيله، يرخيه أو يشيل به، ويضرب به يمناً ويسرة، واختال اختيالا، وتبخر في مشيته"<sup>(٤)</sup>.

وهكذا خالف شاکر المرزوقي ومن تلاه في تفسير اللفظ، بل إنه احتد على تفسير التبريزي لبعض ألفاظ هذا البيت الحادي عشر بترتيب شاکر؛ فقال: "وهذا المذهب الأخير هو الذي اقتصر عليه التبريزي، وهذا كله خلط معرق في الغثاة"<sup>(٥)</sup>. والذي يُلحظ في نقد شاکر أنّ تفسيره للفظ بصفة في ذيل الفرس يتناسب مع الصفات المتعلقة في الفرس في البيت ذاته، وإنّ خلت المعاجم من هذه الصفة المجازية لذيل الفرس؛ ولكنّ رابطاً آخر في غير السياق جمع بين المعنيين، معنى الإسبال الحقيقي عند المرزوقي، ومعنى إسبال الذيل المجازي عند شاکر، وهو دلالة الإسبال في كليهما على الخيلاء والتجبر والكبر؛ فكلا التفسيرين مما تحتمله اللغة، وإن كان تفسير شاکر أقرب إلى المعنى السياقي، حيث تفسير "مسبل" بالفرس ضافي الذنب الذيال أقرب إلى الصواب يعضده في ذلك ما تلا هذه الصفة من صفات تخص الخيل، وتزيد في بيان وتوضيح مراد الشاعر من تشبيه الممدوح بذلك الفرس التي اجتمعت فيه تلك الصفات (المسبل الأحوى الرفل) وهو أقوى وأظهر ويتوافق كذلك مع تشبيهه له في الشطر الثاني؛ ليكون التشبيهان مستقيمين على نمط واحد ووجه متحد. وإن كانت هذه الصفة من صفات الفرس قد خلت منها كتب اللغة؛ ويترتب على هذا الخلاف في تفسير اللفظ خلاف نحويّ في تفسير الموصوف وتحديدته، وعمل

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، نشره، أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٨٣٢/١.

<sup>٢</sup> شرح ديوان حماسة أبي تمام، المنسوب لأبي العلاء المعري، دراسة وتحقيق د/ محمد حسين نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٥٠٤/١.

<sup>٣</sup> شرح ديوان الحماسة، حماسة أبي تمام، للتبريزي، دار القلم، بيروت، ١/ ٣٤٤.

<sup>٤</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاکر، ص ١٥٨.

<sup>٥</sup> السابق نفسه، ص ١٥٨.



اسم الفاعل (مسبل) عمل الفعل، يلي في مبحث الاستدراك النحوي.  
 وجدير بالذكر أن شاكرا قد تعقب المرزوقي في أنه أغفل تفسير كلمتي (أحوى)،  
 و(رفل) وفسرهما موافقا أبا العلاء المعري في أن اللفظ (أحوى) حمرة في الشفتين تضرب  
 إلى السمرة، وهي صفة مدح، وبه سُميت حواء حواء.  
 ❖ تفسير لفظ (يابس الجنين) في قول الشاعر:

### يابس الجنين من غير بؤس وندي الكفين شهم مدل

فقد ذهب المرزوقي ومن سار على نهجه من تفسير التركيبين الإضافيين  
 بالسقاء؛ فقال: "يُراد بأنه يؤثر بالزاد غيره على نفسه، وعادتهم التمدح بالهزل... وقوله:  
 ندي الكفين: أراد أنه سخي"<sup>(١)</sup>.

وأما أبو العلاء فقد تردد تفسيره على وجهين؛ إذ يقول: "يؤثر بالزاد على نفسه  
 غيره؛ فيهزل، ويجوز أن يكون أنه أراد بياس الجنين أنه كثير الهموم والأسفار  
 والتعازي"<sup>(٢)</sup>.

فقد اعترض شاكرا هذه التفسيرات صراحة؛ حيث قال: "وعندي أن قدماء الشراح،  
 كالمرزوقي وغيره، قد أساءوا حين ظنوا أنه أراد بقوله هذا: أن خاله يؤثر بالزاد غيره على  
 نفسه... ولو أراد شاعرنا ذلك المعنى الذي ذهبوا إليه؛ لكان قوله (ندي الكفين) كأنه فضلة  
 وزيادة لا يحتاج إليها الشعر، لاسيما بعد قوله: من غير بؤس"<sup>(٣)</sup>.

فشاكرا يرى أن التفسير الذي ذهب إليه المرزوقي وغير من الشراح تفسيرٌ  
 مضطرب بدلالة سياق البيت؛ لأنه تفسير يجعل المعنى مكرر بين (يابس الجنين، ندي  
 الكفين)؛ لأنهما يكونان بمعنى واحد، ثم يذهب إلى توضيح رؤيته وتفسيره للبيت؛ فيقول:  
 "ويابس فوق ذلك كله، لا تكاد توجد مستعملة في الدلالة على ضمور البطن وخصم  
 الحشا، وإنما اليابس هو الذي تكون الندوة والرطوبة فيه خلقة، فإذا ذهب ماؤه فقد يبس،  
 وأما إذا كانت الندوة والرطوبة فيه عرضا، فذهبت عنه؛ فقد جف"<sup>(٤)</sup>.

بعد هذا التأصيل الدلالي المعجمي لأصول الكلمات ينطلق شاكرا إلى مراده من

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣١.

<sup>٢</sup> شرح ديوان حماسة أبي تمام، المنسوب للمعري، ١/ ٥٠٤.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكرا، ص ١٧٧.

<sup>٤</sup> المرجع السابق، ص ١٧٧: ١٧٨.

المعنى؛ فيقول: "ولمّا كان تأبط شرا فاتكا بئيسا، وكان عداء لا تلحقه الخيل، ويسبق في عدوه الريح والطيّر... وكان كثير الغزو يقطع المفاوز وحيدا طالبا ومطلوبا... كل ذلك من الجهد المضني خليق أن يذهب ماء لحمه؛ فييبس... ولما كان (يبس الجنبين) أدلّ شيء في بدون الإنسان على استحكام قوته؛ لأنهما مناط الحركة، ولا يكادان ييبسان إلا من طول الحركة في العدو والانتشاء والتلفت وسرعة الكر قال شاعرنا في صفة خاله (يابس الجنبين) للدلالة على صلابته، وعلى ذلك الذي ذكرناه من معهود صفاته"<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإنّ شاكرا يرى أنّ المعنى منقول من باب الحقيقة إلى باب المجاز؛ فمعنى (يابس الجنبين) دلالة على صلابه المرثي له، وهو تأبط شرا، خال الشاعر، وقد استغل شاعر مهارته في استخراج الترجمة من الشعر للشاعر؛ فهو يعرف من سلوك الشاعر وحياته ما يجعله يرجح صحة المذهب الدلالي الذي سلك إليه، وذلك قوله: "ولما كان (يبس الجنبين) أدلّ شيء في بدن الإنسان على استحكام قوته؛ لأنهما مناط الحركة، لأنهما مناط الحركة، ولا يكادان ييبسان، إلا من طول الحركة في العدو، والتلفت، وسرعة الكر؛ قال شاعرنا في صفة خاله (يابس الجنبين) للدلالة على صلابتهما..."<sup>(٢)</sup>.

#### ❖ تفسير لفظي (شهم مدل) في قول الشاعر:

يابس الجنبين من غير بؤس      ونديّ الكفين شهم مدل

في هذا الشاهد نوع آخر من الاستدراك من قبل شاعر، حيث يلجأ شاعر إلى تفصيل ما يجمله المرزوقي وغيره من شراح الحماسة؛ فيري شاعر أنّ هؤلاء الشراح قد قصرُوا دون المعنى المراد؛ فالمرزوقي يكاد يذكر مرادف كل لفظ منهما دون تفسير؛ فقال: "الشهم: الذكيّ الحديد، ومنه قيل للقنفذ: الشيهم، والمدل: الواثق بنفسه وبآلاته وعدته"<sup>(٣)</sup>. وهو تفسير مقتضب اقتصر فيه المرزوقي على بعض معاني اللفظ، على عادته في الإيجاز والاختصار، وإغفال كثير من المعاني التي تبين مراد الشاعر، في بيان صفات خاله المتعددة، والتي يستوجبها السياق والمعنى.

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٧٨.

<sup>٢</sup> السابق نفسه، ص ١٧٨.

<sup>٣</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣١، وعليه التبريزي في شرحه ١/ ٣٤٣.

في حين نجد شاكرا ينطلق إلى شرح اللفظين بما يخدم طريقته ونهجه في صفات المرثي له، خال الشاعر؛ فيقرر بداية أن اللفظين طليقان؛ فقال: "... ثم انبعث يرمي على أنغام بحر المديد بلفظين طليقين، موجزين، فاهتزت الصورة كلها حيّة، بما دبّ فيها من حياة جديدة؛ فقال (شهم مدلّ)"<sup>(١)</sup>.

ثمّ يبين معنيهما بما يزيل الغموض، ويوضح المراد في تناسق جلي واضح مع السياق وربط معنى البيت بما سبقه من الألفاظ على عادته في تناول الشعر وتفسيره؛ فيذكر أن الشهم من الرجال وسائر الحيوان هو الجلد القوي، الذكي الفؤاد الحديد القلب، المتوقد النفس، المستيقظ من نشاطه المنتبه الذي يتلفت كأنه مروّع مفرّع، فإذا همّ مضى في الأمر نافذا من حدته وذكائه وهذه المعاني مجتمعة تقدم لنا صورة وافية مفصحة عن مراد الشاعر في وصف "خاله" الذي تعددت مزيائه، وقل نظيره بين الرجال.

مستشهدا على ورود اللفظ بهذا المعنى في أصل كلامهم بقول المخبل السعدي حين وصف ناقته وذكر حدة قلبها ويقظتها ومضاءها عند رؤيتها السوط مرفوعا قبل أن يمسخها، كأن فؤادها فزع مروّع. إذ يقول:

وإذا رفعت السوط أفزعها      تحت الضلوع مروّع شهم<sup>(٢)</sup>

يعني: قلبًا ذكيًا.

ومنه قول الحارث بن حلزة اليشكري في وصف ملك من ملوكهم يصرف إليه وجه

ناقته:

أفلا تعديها إلى ملك      شهم المقادة، ماجد النفس<sup>(٣)</sup>

قال الأصمعي "الشهم": معناه في كلامهم: الذكي الحاد النفس الذي كأنه مُرَوَّعٌ من جدّة نفسه. قال وكذلك هو من الإبل<sup>(٤)</sup>، وأنشد بيت المُحَبَّل السعدي الأتف الذكر.

ومنه قولهم: "قَرِسٌ شَهْمٌ": أي سريع نشيط لا يكاد يستقر من يقظته وحدة نفسه<sup>(٥)</sup>.

وما نقلوه عن الفراء من قوله: " الشهم، في كلام العرب، الحمول الجيد القيام بما

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، ص ١٨٠.

<sup>٢</sup> ديوانه ٦٥، تهذيب اللغة والتاج (شهم)، منتهى الطلب ٣٢/١.

<sup>٣</sup> ديوانه ٢٥، المفضليات ١٣٣، منتهى الطلب ٥١/١.

<sup>٤</sup> الزاهر في معاني كلمات الناس ١٠٥/١.

<sup>٥</sup> المحيط في اللغة ٣٩٧/٣، وتهذيب اللغة (شهم)

يحمل، الذي لا تلقاه إلا حمولاً طيب النفس بما حُمِل، وكذلك هو من غير الناس" (١). وصفه محمود شاعر بالقصور، وعدم أصالته في مادة اللغة. قال: "واستعمالها بهذا المعنى في بعض كلامهم، ضرب من تعرية اللفظ من بعض معانيه، والاقتصار على جزء منه" (٢).

وفيما اتصل باللفظ الثاني (مدلٌ) يشتد شاعر -وهي بعض عاداته- على المرزوقي وغيره؛ حيث يقول: "وأما ثاني اللفظين الطليقين، وهو (مدلٌ)؛ فقد أساء الناس فهمه، وتبعوا في ذلك المرزوقي، حين فسره بأنه "هو الواثق بنفسه وآلاته وعدته وسلاحه"، فهذا تفسير يذبح الشعر بغير سكين" (٣).

لينطلق شاعر إلى تعليل حكمه على تفسير المرزوقي؛ فيقول: "وإنما (المدل) هنا من قولهم (أدلّ البازي على صيده)، إذا انقض عليه هاويا من جَو السماء، وأخذوا منه في صفة المحارب، إذا انقض على قرنه انقضاضاً؛ فأطبق عليه من فوق وصرعه... وقد استوفى جرير في بائيته المشهورة صفة البازي المدلّ...

أنا البازي المدلُّ على نمير      أتحت من السماء لها انصبابا

إذا علقت مخالبه بقرن      أجاب القلب أو هتك الحجابا

ترى الطير العتاق تظل منه      جوانح للكلاكل أن تصابا

فاستغنى شاعرنا عن الموصوف، وهو البازي بصفته... فأوجز، واقتصر على الصفة الغالبة للبازي، وطوى فيها كلّ حركة البازي في انقضاضه على صيده" (٤).

هكذا نجد أنفسنا أمام استدراك من نوع جديد، فقد التقى شاعر بالمرزوقي في بعض التفسير اللفظي في القصيدة؛ ولكنه يعد المرزوقي مقصراً عن الوفاء بحق المعنى الذي يمليه السياق؛ فأتي شاعر على ما يتم ذلك السياق والمعنى.

❖ تفسير لفظتي (يجدي، أبلٌ) في قول الشاعر:

عَيْتُ مُزْنٍ، غامرٌ حيث يُجدي      وإذا يسطو، فليث أبلٌ

يذهب المرزوقي إلى أنّ يجدي من الجدوى، وهي العطية؛ حيث يقول: "وصفه

<sup>١</sup> تهذيب اللغة واللسان (شهم).

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٨٢، ١٨١.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ١٨٢.

<sup>٤</sup> نمط صعب ونمط مخيف، ص ١٨٢: ١٨٣.

بأن منافعها عامة للخلق"<sup>(١)</sup>.

تعقّب شاعر ذلك التفسير؛ فقال: "وأما (يجدي) فقد ذهب المرزوقي وسائر الشراح إلى أنه من الجدوى، وهو العطية، وهذا لغوٌ وفساد، وإنما حملهم عليه اقتصار أصحاب اللغة، وأصحاب المعاجم على هذا المعنى؛ فقالوا: أجدى فلان: إذا أعطى عطية... وإذا كان ذلك معناه، كان أشبه بأن يكون تكراراً للمعنى الذي سلف منذ قليل في البيت الثامن، في قوله (ندي الكفين)... وهذا خطأ شديد، لم يرتكب الشاعر مثله فيما مضى، ولا فيما يستقبل، ولا فيما يقع مثله إلا من لا يحتز من خسيس الكلام"<sup>(٢)</sup>.

ثم أبان شاعر عن تفسيره ومراده؛ فقال: "والصواب أن يقال في تفسير (أجدى): أجدى الغيث أو السحاب، إذا أمطر وجاء بقطره؛ فأصل هذه المادة من اللغة عندهم جميعاً، هي من الجدا... وهو المطر العام... فينبغي أن يقال ههنا أيضاً: إنه من الجدا، وهو المطر... وهو اشتقاق صحيح، لا قاذح فيه، وهذا البناء -بهذا المعنى- لم تذكره كتب اللغة، ولكنه ينبغي أن يقيد، ويزاد عليها، وشاهده من كلام العرب، هذا البيت"<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نجد التفسيرين متقاربين إلى حد بعيد؛ حيث المعنى المجازي في العطاء، ولكنهما مختلفان جداً من جهة الاشتقاق، بين الجدوى عند المرزوقي، والجدا عند شاعر. وأما اللفظ الثاني (أبلٌ) فقد فسره المرزوقي بأنه "الفاجر المصمم الماضي على وجهه، لا يبالي ما لقي"<sup>(٤)</sup>.

وقد تعقّب شاعر المرزوقي في تفسيره هذا، راداً إياه إلى أصله في شعر المسيب بن علس، خال الأعشى الكبير؛ فقال: "... وقد حاول المرزوقي أن يتخلص من التورط في فساد المعنى؛ فأخذ تفسيره بالفاجر، ثم أضاف إليه ما يحسه؛ فلم يأت بشيء؛ فقال: "هو الفاجر المصمم... وهو انتزاع خفي؛ لأنه إنما انتزعه من شعر المسيب بن علس، خال الأعشى الكبير؛ إذ يقول:

ألا تتقون الله يا آل عامرٍ وهل يتقي الله الأبلُ المصمم

وبالمكر الخفي أخذ (المصمم) من هذا البيت... والأبل هنا، وفي بيت ابن أخت

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٢.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٩١.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٩١.

<sup>٤</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٢.

تأبطّ شرا كما استظهرته في نص اللغة واشتقاقها، إنما هو من قولهم (بللت بالشيء) إذا استمسكت به ولزمته بقبضتك فلم تفلته... فمعنى الأبلُّ في هذا الشر: الباطش الذي إذا عقلت مخالبه بشيء لم تفلته، لشراسته وقوته، وهو معنى لم تذكره كتب اللغة، ولكن ينبغي أن يقيّد ويزاد عليها، وهذه شواهد من حُرّ شعر العرب<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أن شاعر في نقده يزيد المعاني المختلفة التي لم ترد عليه كتب اللغة، مستشهدا عليها بمصدر أساس في اللغة، حيث الشعر خاصة الجاهلي منه، ونلمح في تفسيره الأخير تلك المقابلة بين المعاني؛ لأنه يظهر ما في البيت من المقابلة بين السماح والبشاشة واللين والمساهلة التي يبثها في الناس حين نزل فيعمهم ببشره ولطفه، وبين الشراسة والبطش والعبوس والتجهم التي يلقي بها من يعرض نفسه لعداوته .

فهو: إذا لقي عدوا أتاه من علٍ فأطبق عليه؛ فبطش به حتى إذا أخذه لم يفلته، كما يفعل الليث إذا تجهم؛ فاكفهر ثم تمطى فأسرع بيديه، ثم وثب فأعوى فبطش؛ فأنشب أظفاره؛ فلم يفلت فريسته... والاستدراك في اللفظين الأخيرين لشاعر على المرزوقي مما تحتمله اللغة على الوجهين؛ فالمرزوقي قد أتى بالدلالة المعجمية الصريحة في لغة العرب؛ في حين اعتد شاعر بمصدر المعجم من الشعر العربي، ورأى ضرورة إثباته فيه.

#### ❖ الخلاف في رواية لفظ في القصيدة

نوع آخر من الاستدراكات لشاعر على شرح المرزوقي، وهو استدراك متعلق باللفظ المعجمي، ولكن هذه المرة متعلق بروايات بعض ألفاظ القصيدة، وقد سبق القول بأن المرزوقي وشاكرًا يتميزان بتمحيص الرواية، فكلاهما عالم قبل أن يكون أديبا. ومن ذلك الخلاف في رواية لفظي (ثملوا- هوموا)، في قول ابن تأبط شرا:

فاحتسوا أنفاس نوم فلما هوموا رُعتهم فاشمعلوا

فقد رواه المرزوقي بلفظ (ثملوا)، حيث قول الشاعر:

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، ص ١٩٣: ١٩٤.

ومن هذه الشواهد التي أوردها شاكر على تفسيره قول ثعلبة بن عمرو:

بللت بها يوم الصراخ وبعضهم يخبُّ به في الحي أورك شارف

وقول الأخطل:

فلو بني بنيان بليت رماحنا لقرت بهم عيني وباء بهم وتري

### فاحتسوا أنفاس نوم فلما ثملوا رُعتهم، فاشمعلوا

ويبدو أنّ المرزوقي قد اختار هذه الرواية على أساس من العلاقات المعجمية السياقية؛ فالاحتساء متعلق بالشراب والثمالة والسكر؛ يقول: "فلما صاروا منها كالسكارى أنبتهم وبعثهم للارتحال"<sup>(١)</sup>.

تعقبه شاعر؛ فقال: "وقد روى المرزوقي مكان (هوموا): "فلما ثملوا"، وقد يُقال ذلك في النوم، ولكنني أظنّ المرزوقي نفسه هو الذي وضعها استنباعاً لقوله "فاحتسوا"، كأنهم شربوا خمرا من النوم؛ فثملوا، ولكنّ هوموا أحق بلسان هذا المغني المصور، وهي أوفق لما في الغناء كله من الحركة "رُعتهم" أفزعتهم، وهجتهم، وخوفتهم كزة القوم عليهم؛ فهبوا فزعين أيقاظا من شدة مضائهم "فاشمعلوا"<sup>(٢)</sup>.

وكلا التفسيرين مما يحتمله اللغة، وإن اختلفت جهة النظر في المعنى؛ فالمرزوقي نظر إلى العلاقات المعجمية الجامعة بين صدر البيت (احتسى) ورأى المناسب لها (ثملوا) من باب الاستدعاء المعجمي؛ في حين نظر شاعر إلى المعنى الإجمالي في القصيدة، أو انطلق من الصورة الفنية الكلية في اختيار الرواية المناسبة، ومما هو بسبيل من ذلك ما جاء في لسان العرب: "هوم، الهوم، والتهوم والتهويم، النوم الخفيف، قال الفرزدق يصف صائدا:

### عادي الأشجاع مشفوة أخو قنص ما تطعم العين نوما غير تهويم

وهوم الرجل إذا هز رأسه من النعاس، وهوم القوم وتهوموا كذلك، وقد هومنا، أبو عبيد: إذا كان النوم قليلا؛ فهو التهويم، وفي حديث رقيقة: فبينما أنا نائمة أو مهومة، التهويم أول النوم، وهو دون النوم الشديد"<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول بأنّ شاكرا قد اتبع نهج المرزوقي في اختيار رواية اللفظ بتتبع العلاقات المعجمية بين لفظي (احتسى وهوم)، كما تتبعها المرزوقي بين لفظي (احتسى وثلما)، وحينئذ يكون الخلاف بينهما حول المراد من الفعل الماضي (احتسى)، فقد نظر إليه المرزوقي على أنه من احتساء الشراب أو الخمر، في حين نظر إليه شاعر على أنه

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٥.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢٢٨.

<sup>٣</sup> لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، مادة (ه و م).

من الأخذ السريع من الشيء؛ فيقول: "والاحتساء: الشرب السريع المتقطع، لأنه من حسو الطائر؛ ولذلك يقال: نمت نومة كحسو الطائر، أي: نمت نوما متقطعا، أخطف النومة خطفا مرة بعد مرة"<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يمكننا القول بأن تفسير شاعر واختياره للفظ أنسب لسياق القصيدة، وإن احتمل سياق معجمها ومعناها التأويلين، وذلك لأن شاكرا قد بنى وجهته على أمرين: الموقف الشعري العام في القصيدة من حيث إنهم ناموا نوما خفيفا؛ فلما أيقظ الشاعر رفاقه (اشمعلوا)، أي تسارعوا يقظين، وهذا لا يكون إلا مع أول النوم، وخفته، وكذلك على العلاقات المعجمية لتناسب معنى أول النوم مع حسو الطائر للماء في سرعته وخفته. وكل ذلك يؤديه شاعر بسمته الفريد في العبارة، وقد "استماز شاعر في مقالاته من أرباب المقالات الأوائل؛ لكونه لا يتكلف فيها البديع أو التصوير أو حسن التقسيم بين الفقر أو غير ذلك من ضروب التكلف؛ فجاءت وحيا من فطرتة، مصطبغة بشخصيته، وهذه سمة الأدب الحي الذي هو قطعة من صاحبه"<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢٢٨، ومثل ذلك أيضا في اختلاف الرواية، ما اختاره شاعر مخالفا المرزوقي، في قول الشاعر: سَقْنِيهَا يا سواد بن عمرو // إِنَّ جِسْمِي بعد خالي لخل، وكانت رواية المرزوقي للبيت (فاسقنيها) ونقده شاعر؛ فقال ص ٢٦٦: "ثم إنني اخترت رواية "سقنيها" بفتح السين وتشديد القاف على ما كثرت روايته (فاسقنيها) لأني وجدت هذه الفاء مفسدة؛ لأنها تنقل حديث النفس هذا؛ فتجعله سردا واحدا كأنه قال (حلت الخمر فمن أجل ذلك اسقنيها)، وهذا ليس بشعر صالح هنا، ثم لأن سقنيها بلا فاء فيها من تصوير حركة العجلة والشوق حتى كأنك تراه".

<sup>٢</sup> مقالات حارس التراث أبي فهر، محمود محمد شاعر، دراسة، إبراهيم بن محمد أبا نمى، الرياض، ط١: ١٤٢٧ = ٢٠٠٦م، ص ٥.



## المبحث الثاني الانتقادات النحوية

نوع آخر من النظر في تعقبات شاعر واستدراكاته لشرح المرزوقي في كتاب نمط صعب ونمط مخيف، هذه المرة تتعلق الاستدراكات بمستوى آخر من مستويات الشرح أو التحليل الشعري عندهما، حيث المستوى النحوي أو التركيبي للقصيدة، وهذا هو المستوى التالي للمستوى اللفظي أو المستوى المعجمي؛ وغالبا ما يكون هذا المستوى مترتبا على المعجم؛ فمنطقي أن يكون هناك تداخل شديد في مستويات التحليل الدلالي للقصيدة، خاصة القصيدة الجاهلية؛ بوصفها مصدرا من مصادر القواعد العربية.

ويمكن إجمال الاستدراكات والتعقبات المتعلقة بالمسائل النحوية عند شاعر على شرح ديوان الحماسة للمرزوقي على نحو ما يأتي:

❖ نقده في تحديد موصوف (مسبل) في قول الشاعر:

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ      وَإِذَا يَغْدُو، فَسَمِعَ أَرْلٌ

وقد سبق القول في هذا البيت بوقوع الخلاف في تفسير لفظ (مسبل) معجميا؛ فالمرزوقي قد عدّه من إسبال الإزار على المعنى الحقيقي، وشاعر قد عدّه من إسبال الفرس ذيله، والضرب به يمينا وشمالا، على المعنى المجازي، والجامع بينهما الخيلاء في الإنسان والفرس.

وعلى هذا فقد وقع الخلاف بينهما في تعيين موصوف "مسبل" حيث عدّه المرزوقي صفة لخال الشاعر، وجعله محمود شاعر صفة للفرس العتيق، ويعضد ما ذهب إليه شاعر في أن المراد بـ"مسبل" الفرس ما ورد في البيت من صفات أخرى تعد من صفات الخيل وكمال جمالها، وذلك قوله: "أحوى" و"رفل".

وهذا يدل على التداخل الشديد بين مستويات التحليل الدلالي للقصيدة؛ لأن منشأ الخلاف التركيبي في الصفة وموصوفها متعلق بالخلاف التفسيري للفظ المعجمي في القصيدة؛ فهو مرتب عليه ومتعلق به.

❖ نقده في تفسير (لما) في قول الشاعر:

فأدر كنا الثأر منهم، ولما ينح ملحيين إلا الأقل

سجل شاكر رأي المرزوقي في (لما) في شرحه على المفضلّيات؛ فقال: "... ثم حاول المرزوقي، وتابعه التبريزي في شرحهما على المفضلّيات؛ فقالا: وأتى بلما؛ لأنّ فيه تقريبا لمحصول الفعل، وإن لم يقع، وسمى سلاحه سلبا، ولم يُسلب إطلاقا، لما كان يؤول إليه، لو ظفروا به"<sup>(١)</sup>.

ثم يورد شاكر تعقبه رأييهما ويوضح أصله؛ فيقول: "وظاهر جميعا أنهم قد عدّوا الواو هنا للحال، ثم احتالوا على تفسير تكاذب الأزمنة؛ فلم يفعلوا شيئا، وزادوا الأمر إبهاما، وإنما أخذ المرزوقي في قوله في (لما) أنّ فيها تقريبا لحصول الفعل وإن لم يقع من تفسير ابن الأنباري للبيت"<sup>(٢)</sup>.

وقد أوضح شاكر أنّ مصدر اللبس هنا نابع من أمرين، أولهما: ظنّ المرزوقي أنّ الواو للحال، والحال تفيد الملابس، وعلى هذا يكون معنى (لما) تقريب حدث الفعل من الوقوع افتراضا وإن لم يقع حدثه حقيقة، وثانيهما: ذلك التداخل الزمني المتشعب في القصيدة العربية، وقد برع شاكر في تقسيمه لزمن القصيدة؛ ففصل الأزمان التي للتغني وللنحو وغيرها عن بعضها فأبان عن مقدرة فائقة بالتحليل الزمني، يشهد عليها كتابه نمط صعب.

يستدرك شاكر على المرزوقي رأيه؛ فيرى أنّ محصول (لما) النحوي وما يترتب عليه من جهة الدلالة على طرفٍ نقيض لرأي المرزوقي؛ فالمرزوقي يرى قرب وقوع الفعل أو الحدث داخل الفعل بعبارة أدق، وشاكر يتابع جمهور النحويين القائلين بأن منفي لما هو المتوقع الحدوث؛ يقول شاكر: "والنحاة لا يقولون هذا، وإنما يقولون: إنّ منفي لما متوقع حدوثه، وبين هذين فرق بعيد، وقول تأبط شرا "ولما ينزعوا سلمي" حديث نفس ونددنة وهينمة خفية، والواو واو الاستئناف"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا ينبغي أن يكون واضحا أنّ شاكر إنما يحتكم في رأيه إلى دلالة (الواو) النحوية في هذا البيت؛ وعلى هذا يكون أصل الخلاف بينه وبين المرزوقي؛ فالمرزوقي يعدها واو حال، وشاكر يعدها واو استئناف تبدأ معنى جديدا في القصيدة؛ وعلى هذا فإنّ

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، ص ٢٢٥.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، ص ٢٢٥: ٢٢٦.

<sup>٣</sup> السابق نفسه، ص ٢٢٦.

منفيّ (لَمَّا) هو الذي يكون متوقع الحدوث.

فالخلاف في (لما) إنما هو خلاف في الزمن على نحو ما سبق، وهو خلاف قديم تشهد به كتب حروف المعاني؛ يقول المرادي في الوجه الأول لها: "ولما التي تجزم الفعل المضارع، وهي حرف نفي تدخل على المضارع؛ فتجزمه، وتصرف معناه إلى الماضي خلافاً لمن زعم أنها تصرف لفظ الماضي إلى المبهم"<sup>(١)</sup>.

وقد حمل شاعر ذلك على خيال الشاعر من أنه من شدة تعلقه بالحدث الفعلي صار كأنه ماضٍ، وهو ما يتوافق مع قول المرادي السابق؛ يقول شاعر: "والواو واو استئناف، وينبغي أن يُحمل تفسيره على ما غلب عليه من علو الإحساس بالماضي الذي يتغنى به؛ حتى صار كأنه واقع في ساعته هذه وهو يتغنى، وكأنه تمثل له دنو العدائين من بجلية، وقد كادوا يأخذونه؛ فنظر في أعطافه وإلى سلاحه؛ فدنن (لما ينزعوا سلبياً)"<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق القول بأن هذا الخلاف مرتب على معنى الواو؛ فمن ذهب إلى القول بأنها للحال؛ فصاحب الحال عندهم هو الضمير في جملة "فأدر كنا الثأر منهم" وفيه يقول شاعر: "وهذا فساد كبير، لا يستقيم مع تخالف أزمان الأفعال، ولا يستقيم معه سياق الشعر"<sup>(٣)</sup>.

### ❖ استدراكه في معنى صلة -زيادة- (ما) في قول الشاعر:

حَلَّتْ الخمر وكانت حراماً      وبِأَيِّ ما أَلَمْتُ تحلُّ

وهذا الموضوع من أكثر المواضع التي اشتد فيها شاعر في استدراكاته على الشراح قبله من الأقدمين، خاصة على المرزوقي، والتبريزي، وقد ذهب المرزوقي في شرحه ديوان الحماسة إلى جواز زيادتها؛ فقال: "قوله: ما أَلَمْتُ، يجوز أن يكون صلة، ويجوز أن يكون مع الفعل بعده في تقدير المصدر، يريد: وبِأَيِّ أَلَمْتُ حلالاً، والإمام أصله في الزيارة الخفية، وتوسّع فيه فأجري مجرى حصلت عندي"<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق د/ فخر الدين قبارة، محمد فاضل نديم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م، ص ٥٩٢.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢٢٦.

<sup>٣</sup> السابق نفسه، ص ٢٢٤.

<sup>٤</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٩.

ينطلق شاعر في استدراكه من المعنى المعجمي للفظ (الأي)، وهو يفسر التداخل الشديد بين مستويات التحليل الدلالي في القصيدة؛ يقول: "الأي عند أصحاب اللغة الإبطاء، والاحتباس، واللبث، والجهد، والمشقة، الشدة، ويفسرون قولهم: فعلت ذلك بعد لأي، أي: بعد جهد ومشقة وإبطاء. وكل هذا قريب من قريب، بيد أن قراءة البيت أضرت به إضرارا شديدا"<sup>(١)</sup>.

وقد عنى شاعر بعبارته الأخيرة المرزوقي وأبا العلاء والتبريزي، وقد احتد على التبريزي - وإن كان متابعا المرزوقي أصالة- فقال: "وهذا كلام بارد غث سقيم، فاختلفه التبريزي في شرحه، فلم يحس بشيء من برده، لأنه نشأ بتبريز من إقليم أذربيجان، وهو إقليم بارد جدا!!"<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذه السخرية الشديدة من شرح التبريزي، يُبين شاعر عن رأيه في معنى الزيادة على أساس وجود سكتة لطيفة بين ما وألمت؛ فيقول: "والصحيح في قراءة البيت... (وبلأي ما، ألمت) بينهما سكتة لطيفة... وهي حشو يأتي ليدل على الإعراض عن وصف الشيء بما ينبغي له من الصفات؛ لأنك مهما بالغت في الصفة فلن تبلغ كنهه، وهذا الحشو يُلزمك بعده سكتة لطيفة عند إنشاده والترنم به، ومجيء هذا الحشو أسلوب في اختصار اللفظ، يُفضي إلى اتساع المعنى، ويقع من بعض الكلام موضعا لا يُداني، ويجعل ترك الصفة أشد بلاغا من ترادف الصفات، ومن قال إن ما زائدة في مثل هذا الموضع، ثم سكت؛ فقد أساء، وإنما هو مُعرب فقط، وإن فالمعنى في قوله (وبلأي ما) أي بجهد شديد مستهلك للقوى، وبأي مشقة لا تكاد توصف"<sup>(٣)</sup>.

أول ما يلحظ في هذا الاستدراك سيطرة فكرة التذوق على شاعر في تلقي الشعر وتفسيره على نحو ما سبق بيانه في تمهيد البحث؛ وذلك في قوله بالسكتة اللطيفة بعد ما، وقبل الفعل، فهو يتخيل الشاعر يتغنى ببيته وقصيده في خلوة نفس، ويتأمله وهو يسكت ويدرج بالكلام.

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢٥٩.

<sup>٢</sup> السابق نفسه، ص ٢٥٩.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢٥٩: ٢٦٠.

## ❖ نقده معنى زيادة (ما) في قول الشاعر:

خبرَ ما، نابنا مصمئلاً!      جلّ حتى دقّ فيه الأجلّ

بنى شاعر استدراكه في هذا البيت -أيضا- على سياق التذوق على نحو ما فسر معنى الزيادة في البيت السابق، وإن لم يصرح في هذا الموضوع باستدراكه على المرزوقي، ولكن المرزوقي هو المعنى في هذا السياق؛ يقول شاعر: "ومن قال إن (ما) زائدة في هذا الموضوع ثم سكت؛ فقد أساء، وإنما هو مُعَرَّب لا غير"<sup>(١)</sup>.

والمرزوقي سكت على الموضوع الزائد مطلقا، وهو يمثل نوعا جديدا من الاستدراك النحوي من شاعر على المرزوقي، حيث إن شاكرا يتعرض للمواضع التي أهملها المرزوقي؛ فقد اكتفى الأخير بالشرح المجمل للبيت دون تعليق على نحوه؛ فقال: "يعني بالخبر نعي المتوفي، وقد استعظمه جعله داهية منكرة، حتى علا شأنه وجلّ أن يُضبط بوصف، أو يُحدّ بنعت"<sup>(٢)</sup>.

ويمكن القول بأن المرزوقي قد سكت عنها -زيادة ما- لتكلمه عنها الموضوع السابق، وعلى الرغم من حديث شاعر عن زيادة (ما) في البيت السابق فإنه أفاض في شرح الزيادة والحشو في سياق هذا البيت بما يناسبه من نحو البيت وسياقه التركيبي بعد أن سجل اعتراضه على الشراح قبله في إهمال (ما) أو زيادتها دون بيان أثرها في الدلالة الإجمالية للبيت، وقد ارتكز شاعر في معنى الزيادة على أساس سبق حديثه عنه في غير موضع من القصيدة محل الدراسة (سكتة الشعر اللطيفة)؛ يقول شاعر: "أدخل على الخبر (ما) التي تجيء حشوا؛ لتدلّ على الإعراض عن وصف الشيء بما ينبغي له من الصفات، لأنك مهما وصفته؛ فبالغت في الصفة؛ فلن تبلغ كنهه"<sup>(٣)</sup>.

وقد بنى شاعر استدراكه هنا على أساس السكتة اللطيفة في تلقي الشعر، والتي عبر عنها صراحة في شرحه القصيدة، ونقده الشراح قبله، وعبر عنها بعلامة الترقيم المفيدة للسكتة اللطيفة (،) حيث أثبتتها هكذا (خبر ما، نابنا) فأشعرت الفاصلة بالسكتة اللطيفة بين خبر ما، والجملة الفعلية الواصفة (نابنا)، وهو يصرح بذلك؛ فيقول: "وهذا

<sup>١</sup> المرجع السابق، ص ١٤٤.

<sup>٢</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٢٩.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٤٣.

الحشو يُلزمك سكتة لطيفة بعده عند إنشاده والترنم به؛ لأنه يزيدك لهذا الخبر المهول استهوالاً؛ حتى تكفّ من ذاتِ نفسك، ويجعل هذا الذي حرى على لسانك؛ كأنه قائم بنفسه، منقطعٌ عمّا بعده<sup>(١)</sup>.

ثم يُفصح شاعر عن رأيه في زيادة (ما) الدالة على التكرير أو العموم في السياق التركيبي لهذا البيت من القصيدة؛ فيرى أنه (أسلوب اختصار في اللفظ)، وهي عبارته في الموضوع السابق أيضاً؛ يقول: "ومجيء هذا الحشو (ما) أسلوبٌ في اختصار اللفظ، يُفضي إلى اتساع المعنى، ويقع من بعض الكلام موقعا لا يُداني، ويجعل ترك الصفة أشدُّ بلاغا من ترادف الصفات"<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا يمكن القول بأنّ شاكرا يرى في زيادة (ما) معاني أخرى مرتبة على الإعراب؛ فهو لا يكتفي بذلك المستوى الإعرابي الذي قد يكتفي به غير واحد من الشراح، فهو يرى في زيادة ما سكتة لطيفة بعدها تتيح للمتلقي أن ينطلق في توقع المعاني التي يختزلها الشاعر في زمن التغمي، والتي تنعكس ضرورة على المتلقي. ويذهب شاعر إلى القول بأنّ هذا النوع من الزيادة شائع في الاستعمال الشعري عند العرب؛ فيقول:

"والشواهد على (ما) هذه كثيرة مُعجبة، لا يكاد حسنها يدرك"<sup>(٣)</sup>، ولا يكتفي شاعر بهذا المعنى الفريد في زيادة (ما)، بل يرتب عليها المعنى في الجملة الفعلية الواصفة بعدها، حيث قول الشاعر (نابنا)، إذ جعل بعدها سكتة أخرى مثل التي في (ما)؛ فقال: "ثم قال شاعرنا "نابنا" فالزيمك بعده سكتة أخرى؛ لأنّ الكلام قد تمّ، لا يتطلب زيادة؛ فهو منقطع عمّا بعده، كانقطاعه عما قبله"<sup>(٤)</sup>.

١ نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٤٣: ١٤٤.  
٢ السابق نفسه، ص ١٤٤. وقد استشهد شاعر على ذلك من شعر العرب على عاداته في استدرأاته المختلفة بقول امرئ القيس:

وحديثُ الركب يومَ هُنا وحديثُ ماءٍ على قصره  
وعلق عليه قائلاً في الصفحة ذاتها: "حديث ما: يذكر حديثاً كان بينه وبين صاحبة له، على قصره: يتحسر على ما فاتته من تطاول استمتاعه به، فبلغ بترك صفة الحديث ما لا يبلغه إثبات الصفات".

٣ نمط صعب ونمط مخيف، ص ١٤٤.

٤ السابق نفسه، ص ١٤٤.

## ❖ تفسيره معنى (في) في قول الشاعر:

خبرٌ ما، نابنا مصمئلاً!      جلّ حتى دقّ فيه الأجلّ

لم يعلق المرزوقي -وهو بعض شأنه في شرحه- على دلالة حرف الجر (في) داخل الشطر الثاني من البيت، وتعرض له شاعر بالشرح والتحليل؛ وبهذا يكون نقد شاعر لهذا الموضوع من القصيدة داخلاً في إطار ما سكت عنه المرزوقي وأهمله الشراح القدماء، ونبه إليه شاعر لموضعه من المعنى في دلالة البيت؛ يقول شاعر: "و(في) هنا هي التي في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ<sup>١</sup> أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرَةِ<sup>٢</sup> فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ آية: ٣٨، أي: إذا قيس هذا بهذا"<sup>(١)</sup>.

ويلحظ أنّ شاكراً في هذا السياق قد أتى بما أخذه على المرزوقي من الاختصار -على غير عادة- اعتماداً على علم المتلقي أو المستمع؛ فإنه اكتفى بالقياس في شأن حرف الجر على سياق آية التوبة من القرآن الكريم، دون أن يوضح دلالة هذا القياس، أو حتى دلالة الأصل المقيس عليه من القرآن الكريم؛ فهي إشارة مبهمة جداً.

يقول القرطبي "عائبهم الله على إيتارهم الراحة في الدنيا على الراحة في الآخرة؛ إذ لا تتال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا"<sup>(٢)</sup>. فمن كلام القرطبي نجد أن في تحمل معنى من معاني المقارنة بين حالين، حال الراحة في الدنيا، وحال الراحة في الآخرة، وفي البيت هذا المعنى أيضاً؛ لأنه يقارن بين مصاب الشاعر في خاله، والمصاب الجلل؛ فالمصاب الجلل الخطير مقارنة بمصاب الشاعر دقيق؛ لا يكاد يذكر مقارنة به، وقياساً عليه.

وهذا الذي عناه شاعر بتلك الإشارة المبهمة الخفية نصّ عليه ابن هشام في المغني، حيث ذكر من وجوه حرف الجر (في) معنى المقارنة، وبعبارة في المغني (المقايسة)، يقول في سياق معاني (في): "الثامن: المقايسة: -وهي الداخلة بين مفضل سابق، وفاضل لاحق، نحو قوله تعالى "فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل"<sup>(٣)</sup>.

فهذا المعنى الفريد من معاني (في) لم يذكره شاعر إلا في إشارة مبهمة، وعادته

<sup>١</sup> السابق نفسه، ص ١٤٦.

<sup>٢</sup> تفسير القرطبي، دار الريان للتراث، القاهرة، ٥/ ٢٩٨٠.

<sup>٣</sup> مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ١/ ١٨٨.

أنه يقتنص الشوارد ويوردها ويصنفها مستشهدا عليها بما تيسر له من كلام العرب، خاصة شعرهم، وفي هذه المرة خالف شاعر عادته في الشرح والاستقصاء، واكتفى بمجرد الإشارة العابرة في سياق الإحالة إلى الآية القرآنية الكريمة من سورة التوبة.

### ❖ دلالة (له) في حشو البيت القائل:

قذف العباء عليّ وولّي أنا بالعبء له مستقلّ

أول ما يلحظ في هذا البيت هو اختلاف رواية صدر البيت بين المرزوقي وشاعر؛ فقد اختار المرزوقي (خلف) بديلا عن قذف؛ فروى البيت -كما في الحماسة- هكذا:

خلف العباء عليّ وولّي أنا بالعبء له مستقلّ<sup>(١)</sup>.

وقد اكتفى المرزوقي في دلالة شبه الجملة (له) بمرادف لها (لأجله) أي المرثي له؛ فقال: "قوله (أنا بالعبء له مستقل) تحقيق للوعد بإدراك الثأر، وإظهار اقتدار علي النكاية في الأعداء، وقوله (له) أي من أجل المرثي"<sup>(٢)</sup>.

وقد انتقد شاعر ضمينا هذا الشرح المختصر اختصارا لمواضع في القصيدة، بل أدار الحديث حوله دلالة شبه الجملة (له) في سياق البيت الشعري بما يضيء المعنى الإجمالي المراد من قبل الشاعر؛ فرأى أنها حشو، وقال بما قال به المرزوقي (من أجل المرثي)، لكنّ شاكرا عمد إلى بيان أثر شبه الجملة إثباتا وإسقاطا من الكلام؛ فقال: "وقوله (له) أي من أجله، وهو حشو زاد الكلام قوةً وحسنا، ومنحه معنى جديدا، فيه تعظيم لشأن هذا القتيل، الذي لا يذهب دمه هدرا بإحجام جميعهم عن الإدراك بثأره، ولو قال: (وأنا بالعبء مستقلّ)، وحذف (له) لسقط الكلام سقوطا ظاهرا؛ فهذه مهارة الشعر، وسلطان بحر المديد، الذي يحمل الشاعر على أن ينبذ إليه بالكلمات حيّة موجزةً مقتصدّةً خاطفةً الدلالة، في أناة وثوّدة، ويوقعها في حاق موضعها لا يتجاوزها"<sup>(٣)</sup>.

ويلحظ في هذا النوع من النقد عند شاعر، أنه لا يزيد على أن يفصل الكلام المجمل عند شرح الحماسة في موضع من مواضع النقد والاستدراك، خاصة المرزوقي في

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٢٨.

<sup>٢</sup> السابق نفسه، ١/ ٨٢٨.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ١٤٨: ١٤٩.



شرحه على قصيدة ابن أخت تأبط شرا.

وقريب منه قوله في شبه الجملة (مَنِي) في البيت التالي، حيث قول الشاعر:

ووراء الثأر مَنِي ابنُ أختٍ مَصِغٌ، عقدته ما تُحلُّ

فلم يعلق المرزوقي على شبه الجملة (مَنِي) على نحو ما فعل في شبه الجملة (له) في البيت السابق عليه؛ ولكنَّ شاكرا تعقب ذلك؛ فقال: "وقوله (مَنِي) حشو ثالث، كالذي وصفت قبل قليل، لو قال (ووراء الثأر ابن أخت) نزل الكلام وانحطَّ، وإنما رفع منه هذا الحرفُ الموجز المقتصد، ومعناه عندهم: من نفسي، وهم يسمونه التجريد... ومن أجود ما جاء منه في غير هذا الشعر، وغير هذا البحر، قول أبي كنانة السلمي:

كذاك قضيتُ للإخوان إني أدين عليهم وأدين مني

أي: أدين من نفسي، أعطيتهم من نفسي مثل الذي أطلبهم أن يعطوني من أنفسهم"<sup>(١)</sup>. وبهذا يمكن القول بأنَّ معنى الحشو في التركيب أو زيادة الحروف النحوية والأدوات في سياق بيت من أبيات القصيدة يمثل أهم أنواع النقد عند شاكرا على شرح المرزوقي، وكثيرا ما يقارن شاكرا المعنى في البيت بإثبات الحشو، وبإسقاطه، وبهذا يُبين أثر زيادة حرف أو كلمة في سياق البيت النحوي أو التركيبي، وأثر ذلك كله على الدلالة الإجمالية في البيت أو ربما في القصيدة كلها.

<sup>١</sup> نمط صعب ونمط مخيف، ص ١٤٩.

## المبحث الثالث

### الانتقادات الدلالية

هو الجانب الأخير الذي نقد فيه شاعر المرزوقي في شرحه لقصيدة ابن أخت تأبط شرا (إنّ بالشعب الذي...) حيث نقد المعنى الإجمالي لبيت ما في القصيدة، أو لنقد إجمالي في دلالة القصيدة كلها، وينبغي أن نشير في هذا السياق إلى أنّ النقد الإجمالي للدلالة أو المعنى قد يكون متاخلاً أو مبنياً مع المستويين المعجمي والنحوي؛ لأنهما الأساس الذي تتبنى عليه دلالة القصيدة، وفي ضوء ذلك يمكن أن نعرض للآتي:

#### ❖ نقد المعنى الإجمالي في قول الشاعر:

وَفُتُوْ هَجَرُوا ثَمَ أُسْرُوا لَيْلَهُمْ  
حَتَّى إِذَا انْجَابَ، حَلُّوا

يقول المرزوقي في معنى البيت: "يريد أنهم وصلوا السير بالسرى، فلما انكشف الظلام نزلوا"<sup>(١)</sup>.

ولكنّ شاكراً تعقب المرزوقي في هذا المعنى الإجمالي؛ فقال: "وهذا فساد كبير في تناول معاني الشعر، ولا يعد بياناً عنه، بل هو طرحُ غشاوةٍ صفيقةٍ من الإبهام، ينبغي أن تُزال، وإلا فقد الشعرُ بهاءه بانتقاص دلالات ألفاظه وإهمالها"<sup>(٢)</sup>.

وعبارة شاعر الأخيرة تدلنا على أسس نقده المرزوقي في شرحه الإجمالي لمعنى البيت، وهو متعلق بالألفاظ الدائرة في البيت، أو بمعجمها؛ فهو يرى أنّ المرزوقي واقع بين أحد أمرين، إمّا أن ينتقص دلالات الألفاظ؛ فلا يبين على مواطن الدلالة فيها، وإمّا أن يهملها كلية؛ وذلك كله ينعكس على الدلالة الإجمالية في البيت.

وقد رأى شاعر أنّ هذا المعنى الإجمالي في البيت ينبغي أن يبدأ من لفظ (انجاب)؛ لأنه مرتكز المعنى في هذا البيت؛ فيقول: "فهذا اللفظ (انجاب) مشتق من (الجوبة) بفتح الجيم، وسكون الواو، وهو كل فرجة مستديرة، أو شبه مستديرة، يحيط بها شجر أو بناء أو جبال أو صخور..."<sup>(٣)</sup>.

وإذن فاللفظ يحمل دلالة أن الظلام لم ينقش كلية، وإنما هو الظلام المشرب

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٤.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢١٣.

<sup>٣</sup> السابق نفسه، ص ٢١٣.

بالنهار، والنهار المخلوط بالليل، لوجود فرجة ينفذ منها الضوء إلى هذا الظلام، وهو معنى حرص شاعر على إثباته؛ لأنه سوف ينتقل منه إلى المعنى الكلي للبيت؛ قال في القاموس المحيط: "الجوب: الخرق، كالأجتياب، والقطع... والجوبة: الحفرة، والمكان الوطئ في جلد، وفجوة ما بين البيوت، أو فضاء أملس ما بين أرضين"<sup>(١)</sup>.

وهذا الأساس المعجمي هو المرتكز الذي حرص شاعر على النفاذ منه إلى المعنى الكلي لمراد الشاعر؛ يقول: "فإذا قيل: انجاب السحاب: فليس معناه أن تتكشف السماء، ويذهب السحاب حتى لا يُرى منه شيء، بل معناه: أن يتصدع السحاب، وتفتق في ركامه جوبةً مستديرة، تكشف عن جزء من سماء صافية لمساء، والسحاب محيط بها من آفاقها ونواحيها... فإذا علمت هذا كان معنى انجياب الظلام: هو ظهور صدع مفتوح في ركام الظلام قبل المشرق، وهو الضوء الخابي المكفوف من وراء الليل، والظلام محيط به من نواحيه، وذلك عند أول مطلع الفجر، حيث لا تستبين شيئاً، ولا تراه إلا تلمساً"<sup>(٢)</sup>.

وهو معنى مخالفٌ كلية لما ذهب إليه المرزوقي؛ فالمرزوقي -على نحو ما سبق القول- يرى أنهم نزلوا حين انكشف الظلام، أي: كان ضوء النهار صافياً واضحاً، لا أثر لظلام فيه، أو لليل معه، في حين رأى شاعر وجهاً آخر من المعنى؛ فقد رأى أن الظلام كان هو السائد على المشهد المصور، والضوء نافذ من فرجة فيه؛ فهو ضوء مخلوط بالظلام، وليس نهارة صافية على ما ذهب إليه المرزوقي، ويتضح أن تفسير شاعر هو الأنسب للسياق، وأن الدلالة المعجمية تدعمه دعماً كلياً.

أمّا اللفظ الآخر الذي أدار عليه شاعر المعنى الكلي في البيت فهو (حلّوا) وهو قافية البيت على تعريف الخليل بن أحمد، يقول شاعر: وأمّا (حلّوا) فمن الألفاظ القريبة المتداولة، وإفها يسرع بنا إلى أظهر معانيها وأقربها، كالذي فعل المرزوقي فيما نقلت عنه من قبل؛ إذ قال: فلما انكشف الظلام نزلوا، والاطمئنان إلى هذا المعنى القريب هو الذي صرف الأبيات الأربعة عن معناها، وأوقع في الخطأ، وقاد إلى العبث بها وبترتيبها"<sup>(٣)</sup>.

ولم يقف المرزوقي على معنى هذه الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي منفردة

<sup>١</sup> القاموس المحيط، الفيروز آبادي، طبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٨م، مادة (ج و ب).

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢١٣: ٢١٤.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢١٥.

(حلوا) إلا بمعنى (نزلوا) وإنما أتى بها في سياق تفسيره التركيبي للبيت؛ فقال: "... لأنّ قوله: حلوا، وهو جواب: إذا انجاب، صار جوابا لرب أيضا"<sup>(١)</sup>.

ولكنّ شاكرا وإنّ اتفق مع المرزوقي في دلالة النزول - فإنه تعقبه بأنّ النزول قول مطلق لا يستقيم به معنى البيت، وإنما أراد نزولا موافقا لسياق القصيدة والمعنى العام فيها من الحرب وطلب الثأر؛ فيكون نزول عقاب وعذاب، لا مجرد نزول على إطلاق في اللفظ، واتساع في المعنى؛ فقال شاعر بعد التأميل المعجمي لما بين يديه من المعاني المرادة؛ يقول: "... فأنت ترى أنّ (الحلول) مقرون بإنزال المكروه والأذى والبلاء، وبال حرب والقتل والدماء، فإذا كان السياق يقتضي هذه المعاني، لحق لفظ (حلّ) من الإسباغ ما يجعل معناه شبيها بمعنى الانتقاض على العدو، والنكاية فيه، وبهذا المعنى استعملها بشر والنابغة، واستعملها شاعرنا؛ لأنّ المقام مقام طلب ثأر من قوم يكبسهم بياتا؛ حتى يدرك منهم ثأره؛ فمعنى: (حتى إذا انجاب الظلام حلوا)، حتى إذا انجاب الليل حلوا بهزيل فأطبّقوا عليهم؛ فأثخنوا القتل فيهم. فاختصر القول اختصارا لدلالة قوله فيما بعد (فأدركنا الثأر منهم) على هذا المحذوف"<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالمعنى الكلي مختلف جدا بين المرزوقي وشاعر، فالمرزوقي يكتفي بقوله (فلما انكشف الظلام نزلوا)، في حين ذهب شاعر إلى أنّ المعنى مختلف جدا، وذلك اعتمادا على الأساس المعجمي؛ فهو يرى أنّه لما اختلط الظلام بشيء من ضوء النهار نزل بالقوم من هزيل نزول عقوبة وإيذاء؛ وهو كما نرى المعنى الإجمالي الأنسب لسياق القصيدة ومسار المعنى فيها.

#### ❖ نقد المعنى الإجمالي في قول الشاعر:

صليث مني هزيل بخرقٍ لا يملُّ الشرُّ حتى يملُّوا

توقف المعنى الإجمالي لهذا البيت عند الشارحين على تفسير كلمتي (صليث، خرق)؛ يقول المرزوقي في (صليث): "بتلثيت هزيل من جهتي برجل كريم، يتخرق في

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٤.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاعر، ص ٢١٦. وقد استشهد شاعر في معنى (حلّ) على العقوبة والأذى بقول بشر بن أبي حازم:

وما حيّ نحلّ بعقوتهم من الحرب العوان بمستراح

وقول النابغة في الأصغر الحساني:

إذا حلّ بالارض البرية أصبحت كنيبة وجه، غبها غير طائل

العرف مع الأولياء، وبالنكر مع الأعداء، لا يفتر عن النكاية فيهم، وعن الإغارة عليهم، مادام لهم ثبات، وكان للجزء عليهم محمل<sup>(١)</sup>.

هذا هو المعنى الإجمالي للبيت كما أسسه المرزوقي على كلمة (صليت)، وقد تعقبه شاكر فقال بعد أن ذكر معنى البيت كما أورده المرزوقي آنفاً: "والمرزوقي إمام جليل من العلماء بالعربية، ولكنه ليس من العلماء بالشعر في شيء، وقد جزر البيت جزراً بسكين علم اللغة، واستصفى دمه بتفسيره الذي أساء فيه من جهتين: فإنّ قوله "صليت مني هذيل" ينبغي أن يظل محتفظاً بأصل معناه، لا بتأويل لفظه؛ فهو قولهم: صلي النار، وصلي بالنار، إذا قاسى حرها أو احترق منها؛ لأنه إنما يشير بهذا الحرف إلى نار الحرب التي أوقدها على هذيل حتى احترقت بها، وقد حذف (بالنار)، وأقام مقامه (بخرق) ليضيف إلى معنى خرق... معنى (مسعر حرب)، وهو الذي يؤرث نارها؛ حتى تصير سعيراً، تحتدم شعاليه وتنتشر"<sup>(٢)</sup>.

ثم تعقب معنى الخرق بالتكرم في تفسر المرزوقي؛ فقال: "قلو فسرت شيئاً من ذلك بالتحرق في الكرم؛ فقد دفنت الشعر في تابوت اللغة... وكذلك ترى أنّ هذه الكلمات الثلاث (صليت- بخرق- لا يمل الشر)، قد التهبت كلها حتى تطاير لهبها، وسطع على الأنغام المتحدرة في هذا البيت الخالي من الزحاف. وكلّ عبث بحقيقة معناها، وجعلها مجازاً، وتفسيرها بما يؤول إليه المعنى، كما فعل المرزوقي، يجني على القارئ الذي يُحسن الظنّ بالشرح، ويقع في أحابيل علمهم بالعربية، دون علمهم بحقيقة الشعر"<sup>(٣)</sup>.

والخلاف بينهما -على هذا- خلاف يمثل أساساً من أسس النقد عند شاكر؛ فقد أدار المرزوقي حديثه حول مجاز في معنى البيت، في حين ذهب شاكر إلى أن المعنى الحقيقي أول بالبيت، وأنسب بسياقه، ومناسبته؛ فالاصطلاء بالنار والاكْتِواء بها -على حقيقة اللفظ- أنسب بالحرب وطلب الثأر، وبهذا يمكن القول بأنّ المعنى المجازي في البيت إنما هو معنى حقيقي لا أثر للمجاز فيه، وهو أشد مناسبة لمعنى الحرب الحسيّ وطلب الثأر.

<sup>١</sup> شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ١/ ٨٣٦.

<sup>٢</sup> نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، ص ٢٥٦.

<sup>٣</sup> نمط صعب ونمط مخيف، ص ٢٥٧: ٢٥٨.

## ❖ نقده المرزوقي في عدد أبيات القصيدة

انتقد شاعر المرزوقي في إسقاطه بيتين من القصيدة، ولا شك في أنّ ذلك يؤثر على الدلالة الإجمالية للقصيدة كلها، لوحدة موضوعها، وإسقاط جزء مُضر بمعنى الكل، وقد أثبت المرزوقي القصيدة في أربعة وعشرين بيتاً، في حين أثبتتها شاعر على الرواية التي جمعتها في ستة وعشرين بيتاً، يقول شاعر: "أما رواية أبي تمام في ديوان الحماسة فقد اختلف عليه فيها، فالمرزوقي والتبريزي، وهما شارحا الحماسة قد اختلفا في عدد الأبيات، وفي تقديم بيتين أو تأخيرهما. فالتبريزي رواها وعدة أبياتها ستة وعشرون بيتاً، أما المرزوقي، وهو أقدم الرجلين، فعدة الأبيات عنده أربعة وعشرون بيتاً؛ لأنه أسقط بيتين، هما (١٦، ٢٠)<sup>(١)</sup>. والبيان هما:

فأدركنا الثأر منهم ولما ينج ملحين إلا الأقل

وقوله:

وبما صبّحها في ذراها منه بعد القتل، نهبٌ وشلٌّ

تعقبه شاعر، فقال: "أما المرزوقي، وهو شارح حماسة أبي تمام: الذي روى هذه القصيدة، فإنه لم يفعل شيئاً من ذلك، سوى أنه حذف البيت السادس عشر (فأدركنا الثأر منهم)... وصرف الكلام في الأبيات كلها عن أن تكون من حديث الشاعر عن فتية من أصحابه أغاروا معه على هذيل حتى أدرك بثأر خاله، إلى أن تكون استمراراً لحديث الشاعر عن خاله في الأبيات التي قبلها... وبحذف البيت السادس عشر، وهو قوام هذا القسم كله، وتأويل الأبيات إلى خال الشاعر، خلت القصيدة من كل ما يدل على أنّ شاعرنا هذا قد جدّ في الطلب بثأر خاله... وبذلك أباد المرزوقي معنى القصيدة إبادة من لا يرحم"<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> السابق نفسه، ص ١٢٦.

<sup>٢</sup> السابق نفسه، ص ٢٣٠.

## المبحث الرابع

### الرد على ادعاءات إبراهيم الكوفحي

يتصدى الباحث في هذا المحور لتلك الادعاءات التي ذكرها إبراهيم الكوفحي تجاه محمود شاكر والتي سبق ذكرها في مقدمة الدراسة، وذلك في ضوء إبراز التناقضات والمفارقات التي وقع فيها الكوفحي في الكتاب ذاته الذي نسب فيه لشاكر ما نسبه؛ وهي تناقضات ومفارقات من أقواله هو، وليس غيره.

وقد تتبع الباحث مقولات إبراهيم الكوفحي حول محمود شاكر فوجدها تحمل -بما لا يدع مجالاً للشك- تناقضات في غاية الغرابة؛ ففي الوقت الذي ذكر فيه الكوفحي تلك الادعاءات الثلاثة سالفة الذكر نجد له أقوالاً أخرى تناقض تلك الادعاءات، يكتفي الباحث منها بعشر مقولات، وذلك على النحو الآتي:

**أولاً:** قال الكوفحي: "انتبه شاكر بشدة إلى فتنة اللغة وعبقرية الشاعر في تشكيلها، وبذل جهداً عظيماً من طاقته التدقيقية والتحليلية في سبيل الكشف عن عظمة الفن الشعري كما تبلور على يدي شعراء الجاهلية، وهو جهد ينطوي على نظرة فلسفية عميقة للغة..."<sup>(١)</sup>.

لقد أثبت الكوفحي في هذا الموضع لشاكر حقه في امتلاك نظرة فلسفية عميقة للغة، تلك النظرة قد أهّلته أن يبذل جهداً عظيماً في سبيل الكشف عن عظمة الشعر الجاهلي، تلك الرؤية من الكوفحي تتسق مع رؤى كثير من النقاد الذين استشهد الكوفحي نفسه بأقوالهم حول شاكر، إلا أن أحداً منهم لم ينسب إلى شاكر ما نسبه! ومنهم مصطفى صادق الرافعي الذي كشف عن عمق تلك النظرة الفلسفية للغة لدى العرب الجاهليين وذلك بوصفهم "قومًا أسنتهم تقود أرواحهم"<sup>(٢)</sup>.

إن القول بـ (فتنة اللغة وعبقرية الشاعر في تشكيلها) قول يحمل دلالات عديدة يجب إبرازها، منها:

- أن الكوفحي يثبت منذ البداية أن انتقادات أو استدراقات شاكر على من قبله

<sup>١</sup> ينظر : محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١:

١٤٢٩م=٢٠٠٨م، ص ٢٨٩.

<sup>٢</sup> مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م، ج ٨٣/٢.

عامة، والمرزوقي خاصة، هي استدراقات وانتقادات قوامها وصلبها اللغة في المقام الأول.

- أن هذا القول يتسق مع معطيات النقد اللغوي الذي ينظر إلى اللغة بوصفها "ليست رصاً للألفاظ ولا جمعاً لمفردات دون وعي وانتباه؛ اللغة قضايا مفيدة دالة، والقضية "حكم"، ومتى قلنا "بالحكم" فقد قلنا بالربط الفكري؛ لأن أهم شيء في الحكم هو التعبير عن "قرار" جواني، حر، عضوي، والحرية والعضوية سمة من سمات اللغة إذا كانت مطابقة للفكر لا مجرد مجموعة محنطة محفوظة في زجاجات الدراسة والكليشيات"<sup>(١)</sup>.

- أن وقفات شاكر عند المفردات تحديداً، ما هي إلا وقفات تتسق مع معطيات النقد اللغوي الذي يتجاوز حدود الوقوف عند المفردة بوصفها مجموعة من الأصوات؛ بل إن نقاد اللغة قد عدوا أن الأصوات لا تعد لغة إلا إذا عبرت عن أفكار؛ حيث رأوا أن اللغة نظام من العلامات ولا تعد الأصوات لغة إلا عندما تعبر عن أفكار وتنقلها، وإلا فهي مجرد أصوات. ولكي تعبر الأصوات عن الأفكار أو تنقلها ينبغي لها أن تكون جزءاً من نظام من الأعراف يربط بين الأصوات والأفكار<sup>(٢)</sup>.

- إن قول الكوفحي بأن جهد شاكر هو جهد ينطوي على نظرة فلسفية عميقة للغة فإن تلك النظرة الفلسفية تستدعي في ذهن الباحث تصور دي سوسير للغة؛ إذ عبر دي سوسير عنها -وفقاً لهذا البعد الفلسفي- بقوله: "اللغة نظام من العلامات الذي يعبر عن الأفكار، ولذلك فهي مشابهة لنظام لأبجدية الصم والطقوس والمذاهب الرمزية وصيغ المجاملة والإشارات العسكرية، ولكنها أهم من كل هذه الأنظمة"<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً:** قال الكوفحي: "قبل أن يبدأ شاكر بعملية التحليل اللغوي للنص، كان يعمد

<sup>١</sup> عثمان أمين: في الفكر واللغة، مجموعة محاضرات ألقاها على طلاب الدراسات الأدبية واللغوية عام ١٩٦٦م، ط دار المعرفة الجامعية، مصر، ص ٢١/٢٠.

<sup>٢</sup> ينظر: جوناثان كلر: فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٧٢.

<sup>٣</sup> دي سوسير: فصول في علم اللغة العام، ترجمة د. نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٤١/٤٠.



من خلال تذوق الألفاظ، مفردة ومركبة، إلى بلورة كيان شعري متكامل للنص؛ وذلك بتقنيته من جميع الألفاظ التي لا تملك طاقة إيحائية على درجة عالية من التوتر والإرهاف، وهو شديد التيقظ إلى المسافة الدلالية بين اللغة المعجمية واللغة الشعرية...<sup>(١)</sup>.

- ما ذكره الكوفي في هذا الموضوع يثبت لشاكر أيضاً امتلاكه منهجاً نقدياً للشعر الجاهلي، وهو منهج قائم على البعد اللغوي، بل إن الكوفي كشف عن بعض جوانب ذلك النقد؛ حيث الالتفات إلى المفردات تارة، والتراكيب تارة أخرى، ناهيك أن الكوفي في الوقت ذاته قد أشار صراحة إلى إدراك محمود شاكر الشديد للمسافة الدلالية بين اللغتين المعجمية واللغة الشعرية، تلك المقولة أيضاً تتسق وآراء معاصريه فيه؛ حيث كان أبو فهر واحداً من الذين أجادوا قراءة الشعر، بل وساهموا في حل مشكلاته، وفي مقدمتها لغته؛ إذ إن "دراسة لغة الشعر الجاهلي بغية حل مشكلاتها ينبغي أن يكون مطلباً أساسياً في أية محاولة تبذل لقراءته قراءة جديدة. ولعل أخطر هذه المشكلات اللغوية وأولها بالنظر هو تحديد مدلولات الألفاظ اللغوية بعامه، والشعرية بخاصة، تحديداً تاريخياً دقيقاً"<sup>(٢)</sup>. وهذا عينه هو ما قدمه أبو فهر للشعر الجاهلي ولغته.

- إن ما ذكره الكوفي هنا وإشارته إلى شاكر بأنه شديد التيقظ إلى المسافة الدلالية ما بين اللغة المعجمية واللغة الشعرية؛ يؤكد بشدة توافر معطيات النقد اللغوي في تناول شاكر للشعر الجاهلي؛ فهذه المسافة التي أشار إليها الكوفي هي ذاتها المسافة التي توقف عندها النقاد اللغويون، استناداً إلى المسافة بين الفكر من جانب، ومفردات اللغة من جانب آخر؛ والدليل أن (يسبرسن) قد رفض أن تكون اللغة عوناً ألياً على التفكير، معللاً رفضه بأن جماعة من المفكرين طالما شكوا من أن اللغة التقليدية كانت -في حالات- عائقاً لهم عن التفكير في شيء إلى أعماق أعماقه؛ لأن مفردات اللغة

<sup>١</sup> محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ١٩٤٢م = ٢٠٠٨م، ص ٢٩٠.

<sup>٢</sup> إبراهيم عبد الرحمن: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، فصول، المجلد ١، العدد ٣، ١٩٨١م، ص ١٢٧.

متناهية، والأفكار المجردة غير متناهية<sup>(١)</sup>.  
 - أن هذا القول من الكوفي يثبت أن شاكر لديه القناعة بفكرة حيوية اللغة ، تلك الفكرة التي تعد أساساً من أسس النقد اللغوي إذ يرى النقاد اللغويون أنه من السخافة أن يدعي مدع أن معاجمنا اللغوية قد حوت كل ما تكلم به الغرب، وأنها لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من كلامهم إلا ذكرتها. ومن ثم إذا رأيت أمة لا يرغب أبناؤها في اقتناء معجم لغوي مر على وضعه وطبعه بضع سنين فاعلم أن لتلك الأمة لغة حية...، ترانا نرجع في معرفة اللغة إلى معاجم مرت على وضعها وطبعها القرون، كأن اللغة عندنا شيء لا يتغير، وكأنها ليست من صفات الحي الناطق، تابعة له في تطوره بتأثير الزمان والمكان، ومرتقية معه بعوامل العلم والعرفان<sup>(٢)</sup>.

- تشير المسافة التي أدركها شاكر بين اللغة المعجمية واللغة الشعرية إلى خاصية من خصائص اللغة، وهي أن للغة العربية من القابلية للتجدد والانتساع ما ليس في غيرها من لغات البشر، وإنما هو عجز أهلها، وجمود الناطقين بها<sup>(٣)</sup>؛ ومن ثم يمكن تفسير التناقض الذي قد يتضح في اللغة أحياناً في ضوء ما فسره "أيجن" بقوله: "إن التناقض الواضح في اللغة ينحصر في العالم المحيط بنا، وليس في اللغة التي نتكلمها"<sup>(٤)</sup>؛ وتأسيساً على ما تقدّم فإن رؤية شاكر للغة وقضاياها رؤية عميقة تتسق ومعطيات النقد اللغوي.

**ثالثاً:** قال الكوفي: "يلحظ الناظر في عمل شاكر أن عملية تنخيل النص،

وإرهاف لغته؛ بحيث يتوافر لمفرداته وتراكيبه شبكة متينة من العلاقات الشعرية من خلال عملية تذوق شاقة، يمكن الدلالة عليها بقدره شاكر البارعة على الخروج من دائرة الشراح القدماء واستدراكه عليهم غير قليل من الألفاظ التي هي أقعد بمعنى الشعر، وأوفى بالدلالة

<sup>١</sup> ينظر : أتو سبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ، ترجمة د. عبد الرحيم أيوب ، مطبعة الأنجلو ١٩٥٤م ، ص ٩٠،١٠ .

<sup>٢</sup> ينظر : عبد القادر المغربي : الكلمات غير القاموسية ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مج ٨ / ع ٢ / ١٩٢٨م ، ص ٣٣ / ٣٢ .

<sup>٣</sup> ينظر : معروف الرصافي : الآلة والأداة ، تحقيق عبد الحميد الرشودي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ص ١٢٥ .

<sup>٤</sup> أحمد فارس : الفلسفة وعلاقتها بعلم اللغة ، مجلة الفيصل ، العدد ١٤٨ ، شوال ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٩م ، ص ١٠٢ .

على حقائقه، والأمثلة على ذلك كثيرة معجبة<sup>(١)</sup>.

نلاحظ هنا أن قوله: (عملية تذوق شاقة) قول يناقض أن يكون التذوق ساذجاً، على حد تعبيره من قبل، ويناقض أيضاً أن يكون التذوق مجرد ملكة تعينه على مجرد مواجهة تجليات البيان الإنساني إن استدرأته وانتقاداته للمرزوقي، وهو موضوع هذه الدراسة الحالية؛ جاءت برهاناً دامغاً على تفرد محمود شاعر في انتقاداته على كبار الشراح، الأمر الذي يؤكد عدم صحة الكوفي في ادعاءاته.

كما أن الكوفي في هذا الموضوع أثبت -رغم التناقض الجلي- لشاكر قدرته البارعة على الخروج من دائرة تقليدية سلكها من كانوا من قبله؛ الأعبى فعلاً أن الكوفي قد استخدم تعبيرات دقيقة للتعبير عن هذا التفرد والسبق الذي حققه شاعر، ومنها في هذا الموضوع قوله "أعد بمعنى الشعر"، و"أوفى بالدلالة"، و"الأمثلة كثيرة ومعجبة".

**رابعاً:** قال الكوفي: "إذا اطمأن شاعر إلى نقاء لغة النص، وخلصه لمعنى الشعر، انخرط في عملية تفسير استقصائي تكاد تفصح عن أسرار التركيب الداخلي للشعر، ولطائف الصنعة فيه على مستوى الحروف والكلمات والتراكيب والمبنى الشعري، مصحوباً ذلك كله بسطوة باهرة على أنغام القصيد جملة ورنين الكلمات والحروف".

لا يخفى هنا أن الكوفي الذي قال بوجود آفاق الصعوبة التي كانت تعترض طريق شاعر وهو يحاول أن يصوغ هذا الانفعال الروحي العنيف في لغة علمية نقدية علمية دقيقة... في طريق هذا الشعر ومتذوقيه، نجده الآن يعرب بأبلغ المفردات والتراكيب عن تمكن أبي فهر من ناصية اللغة، وامتلاكه أدوات النقد اللغوي ومنها في هذا الموضوع: قوله: "انخرط في عملية تفسير استقصائي"، وقوله: "تفصح عن أسرار التركيب الداخلي للشعر"، وقوله: "مصحوباً ذلك كله بسطوة باهرة على أنغام القصيد جملة ورنين الكلمات والحروف". أفبعد كل تلك الأقول يمكن الإيمان بصحة وجود آفاق من الصعوبة تعترض أبا فهر؟

**خامساً:** "قد كان شاعر شديد الإحساس بالطبيعة الغنائية للشعر الجاهلي، مرهف الشفرة في اجترار نصوصه، واستخراج ما فيها من لذيذ الأنغام عسراً ويسراً، وسهولة

<sup>١</sup> محمود محمد شاعر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفي، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

وحزونة، وذنوا وشماساً<sup>(١)</sup>.

إن ما أثبتته الكوفي هنا لشاكر، يتسق مع آليات البحث النقدي المعاصر في قراءته للشعر عامة وللشعر الجاهلي على وجه الخصوص؛ إذ أكد كثير من النقاد أن قراءة الشعر الجاهلي لا تكون قراءة صامتة، بل على من يقرأه أن يتلفظ أصواته مسموعة منغمة وفقاً لإيقاعاتها، ويغنيها بصدده وحجرتها ملاء شذقيه... لأن هذا الوجود الصوتي النغمي للشعر الجاهلي هو طريق التعاطف معه، وسبيل الفهم والتذوق، واكتشاف كنوزه الغنية<sup>(٢)</sup>.

**سادساً:** قال الكوفي: "وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين مستويات القراءة، وتذوق النص لدى شاكر؛ بسبب تكامل الرؤية وقيام القراءة على استيعاب شامل للتجربة، إلا أننا يمكننا أن نتتبع تنامي القراءة وكيف كان شديد الانتباه لموقع كل كلمة ودلالاتها، وطبيعة علاقتها مع غيرها على مستوى التجربة كاملة"<sup>(٣)</sup>.

يثبت الكوفي لشاكر في هذا الموضوع أهم ما يمتلكه الناقد البارع، بل الأعجب والأغرب أنه في هذا الموضوع قد بلغ قمة التناقض؛ إذ أشار إلى أمر جد خطير، وهو أن الصعوبة الحقيقية يجدها من يحاول أن يفسر قراءات وتحليلات شاكر للشعر الجاهلي أو يحللها؛ مبرراً ذلك بتكامل رؤية شاكر لذلك الشعر، من جانب، وقيام قراءته على استيعاب شامل للتجربة من جانب آخر.

**سابعاً:** قال الكوفي: "أما تذوق شاكر للتراكيب الشعرية فقد أجاد فيه إجاداً من يهتز للشعر، ويستبطن دوائل اللغة، وبدا واضحاً الأثر العميق لنظرية النظم، كما تبلورت على يد عبد القاهر الجرجاني".

في هذا الموضوع يتجاوز الكوفي حدود الشهادة لشاكر إلى حد البحث في التكوين العلمي له؛ فهنا يصرح أن التكوين العلمي للرجل كان صدى لتلمذته على يد عبد القاهر الجرجاني عبر كتبه الموجودة بيننا الآن، وخاصة نظرية النظم التي كان لها - على حد تعبيره - الأثر العميق في تكوين شاكر الأكاديمي والعلمي إلى الحد الذي جعله ذا قدرة على تذوق التراكيب الشعرية، فأجاد إجاداً - يهتز لها الشعر - وهو قول يحمل

<sup>١</sup> محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفي، ص ٢٩٣.

<sup>٢</sup> ينظر: مطاع صفدي: قراءة ثانية للشعر الجاهلي، الأصالة والممكن، دار الفكر العربي المعاصر، العدد ١٠، ١٩٨١م، ص ٨.

<sup>٣</sup> محمود محمد شاكر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفي، مرجع سابق، ص ٢٩٤.

أبعادًا مجازية، تكمن الغاية منه إثبات عمق تذوق شاعر للشعر الجاهلي. فكيف تتجلى آفاق الصعوبة بعد ذلك القول، وتلك الشهادة القوية؟

**ثامناً:** قال الكوفحي: "وأما الألفاظ المفردة فقد أبدع شاعر في تذوقها، والكشف عن طاقتها الإيحائية، ودلالاتها الجمالية، وإنه بحصافة إلى ما لا يكاد ينتبه إليه النقاد"<sup>(١)</sup>. في النقطة السابقة كان التفات الكوفحي إلى براعة شاعر في الجانب التركيبي، وها هو في هذا الموضع يقف بالقارئ على مستوى المفردات، وأثبت له فيها إبداعاً وتذوقاً، بل أثبت له ما هو أبعد من هذا وذلك، وهو بُعد التقرد؛ حيث انتبه إلى ما لا يكاد ينتبه له النقاد. والكوفحي في هذا الموضع قد بلغ قمة التناقض مع ما ادعاه؛ لأن إثبات التقرد والريادة يتناقض مع المقولات الثلاثة التي صدرت بها هذا المحور.

إن وقفات شاعر عند حدود المفردات يؤكد إيمانه العميق بما آمن به نقاد اللغة؛ حينما أشاروا إلى فكرة (حياة الألفاظ) تلك الفكرة التي ترى أن "الكلمة حياة خاصة، وقد شبهها علماء اللغة المحدثون بالكائن الحي؛ فأروا أن الكلمة يعترتها ما يعترى الكائن الحي؛ إذ إنها تولد في بادئ أمرها، ثم إنها قد تشتهر بين أهلها، أو قد تكون خاملة الذكر، وقد يعترتها الهزال؛ فيقل استخدامها على ألسنة الناطقين، وقد ينقل استعمالها من مجال لآخر، وقد تهجر هذه الكلمة فلا تستعمل البتة، فتكون من الغريب الذي لا مكان له على ألسنة أهله، وقد تبقى مدفونة في بطون المعجمات إلى أن تهيأ لها أسباب البعث والنشور"<sup>(٢)</sup>.

**تاسعاً:** قال الكوفحي: "لقد نهض شاعر لدراسة الشعر الجاهلي ليدراً عنه تهمة التفكك وافتقار قصيده للوحدة الفنية، واستطاع أن يثبت -بتذوقه الشامل النافذ- أن هذه القصيدة بناء فني متكامل، وأن تهمة الافتقار إلى الوحدة هي لغو ناشئ عن التغلغل في أسرار البناء الداخلي للنص".

تكشف الفقرة السابقة أن تناول شاعر للشعر الجاهلي لم يكن تناولاً عارضاً غير هادف؛ وإنما هو تعرض هادف وممنهج؛ وهذا ما ذكر الكوفحي هنا؛ فأثبت لشاعر أن تناوله للشعر الجاهلي كان ذا غاية كبرى وهي أن يدراً عنه ما لصقه به الآخرون بأنه

<sup>١</sup> محمود محمد شاعر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، ص ٢٩٦.  
<sup>٢</sup> محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط ٢، دار الفكر، دمشق ١٩٦٤م، ص ١٨٤.

شعر يعاني التفكك، وأن قصائده تقتقر إلى الوحدة الفنية؛ والسؤال هل حقق شاعر تلك الغاية ونجح في الذب عن القصيدة الجاهلية والشعر الجاهلي؟ والإجابة أقرّ بها الكوفحي في الموضوع السابق؛ حيث أقر لشاعر أنه استطاع بتذوقه -الذي وسمه هذه المرة بأنه تذوق شامل نافذ- أن يثبت للقصيدة الجاهلية بناء فني متكامل، وأي قول غير ذلك لغو مرجعه التغلغل في أسرار البناء الداخلي للنص.

**عاشراً:** قال الكوفحي: "يلحظ الناظر في إنجاز شاعر أنه قد سلك في إثبات وحدة القصيدة مسلكاً جديداً، كان النقاد عنه بمعزل، هو ما سماه (الأزمنة الثلاثة)؛ حيث ذهب إلى تقسيم أزمنة القصيدة أقساماً ثلاثة: زمن الحدث، وزمن التغني، وزمن النفس..."<sup>(١)</sup>.

ما ذكره الكوفحي هنا حول منهج شاعر في تناول الشعر الجاهلي، قول يستحق - في تصور الباحث- أن تفرد لها دراسة مستقلة؛ لأن هذا المسلك الذي سلكه شاعر بالفعل هو مسلك تفرد به؛ ولأن فكرة تقسيم القصيدة إلى أزمنة ثلاثة على النحو سالف الذكر فكرة أصيلة في وقتها، وقد اقتفى النقاد من بعد شاعر ذلك النهج في تحليلاتهم، بل عمموا ذلك المنهج في دراسة الشعر فيما بعد.

قبل الانتقال إلى المحور التالي في هذه الدراسة تجدر الإشارة إلى أن ما ذكره الكوفحي حول شاعر من حيث كونه لم يكتف بالاستدراك على الشراح القدماء ونكيره عليهم إخلالهم بالمعنى الشعري...، وهذا من أدل شيء على اتساع دائرته في العلم بشعر الجاهلية<sup>(٢)</sup>؛ هو ذاته ما أكدته العشرات من النقاد والأدباء من قبله، بل وكان له هو نفسه استشهادات بأقوالهم، ومنهم عمر حسن القيام، حين أكد أن شاعر قد "نزع منزعاً بارعاً في حسن التأنى للغة الشعر، والتغلغل في أسرارها، حين جعل يستدرك على نص اللغة، ويزيد عليها ألفاظاً أخلت بها المعاجم، اجتهد في زيادتها، حين لم يجد في المعجم ما يفي بالمعنى الشعري"<sup>(٣)</sup>، فهذا جاء الاعتراف صريحاً باتساع دائرة شاعر بهذا الشعر لا يحتاج إلى استقراء أو تأويل.

وأخيراً فإننا لا نعدم بعض التعبيرات المتفرقة التي تثبت لشاعر حقه على لسان

<sup>١</sup> محمود محمد شاعر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفحي، ص ٣٠٤ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٢٩٣ .

<sup>٣</sup> عمر حسن القيام : محمود محمد شاعر الرجل والمنهج، دار البشير ، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ١٩٤ .

- الكوفحي، لكنها في الوقت ذاته تناقض ما ادعاه من قبل؛ ومن تلك التعبيرات:
- قوله: "من أبرع الأمثلة التي تكشف عن نفوذ بصيرة شاعر في تذوق الكلام المركب..."<sup>(١)</sup>.
  - قوله: "ويمعن شاعر في تذوق الألفاظ المفردة والكشف عن طاقتها الشعرية، ودلالاتها على المعاني المتراحة الفسيحة..."<sup>(٢)</sup>.
  - قوله: "وأنبئ من هذا الحرف -يقصد الوجه- في الدلالة على التذوق النافذ للشعر، اختياره ل..."<sup>(٣)</sup>.
  - قوله: "أما تذوق شاعر لموسيقى النص فهو من أدق تذوق وأبرعه، تجلى فيه إحساسه الخارق بأخفى الدندنات وألطف الرنين"<sup>(٤)</sup>.
- تأسيساً على ما تقدم، ومن خلال ما استعرضه الباحث من أقوال للكوفحي تناقض ادعاءات سابقه له غير صحيحة بالمرّة حول أبي فهر؛ فإن الباحث يؤكد أن كل ما ذكره الكوفحي نفسه حول شاعر، يُعدُّ في حد ذاته نصوصاً -لا نصّاً واحداً- تصور طبيعة الانفعال المدهش الذي كان يستبد بشاعر حين يتذوق الشعر الجاهلي على حد تعبير الكوفحي.

<sup>١</sup> محمود محمد شاعر، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفحي، ص ٢٩٨ .

<sup>٢</sup> السابق، ص ٢٩٦ .

<sup>٣</sup> السابق، ص ٢٩٥ .

<sup>٤</sup> السابق، ص ٣٠٢ .

## الخاتمة

انتهت بفضل الله ونعمته- هذه الدراسة الموسومة بـ (الانتقادات اللغوية لمحمود شاكر علي المرزوقي في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف" دراسة استقرائية تحليلية)، وقد خلصت إلى عدد من النتائج هي:

**أولاً:** أثبتت الدراسة أن ما قدمه محمود شاكر للغة العربية في ميدان النقد اللغوي لا يقل أهمية عما قدمه لها في ميدان النقد الأدبي، وكان هذا النقد اللغوي لديه ذا ثلاثة أبعاد هي:

- النقد اللغوي على مستوى المفردة الواحدة.
- النقد اللغوي على مستوى التراكيب اللغوية.
- النقد اللغوي على مستوى الجانب الدلالي للمعنى الكلي.

**ثانياً:** كشفت الدراسة عن مقومات النقد اللغوي لدى محمود شاكر ، تلك المقومات التي شكلت نظرية نقدية لغوية متكاملة ، حملت بصمة أبي فهر في النقد اللغوي ؛ تتمثل تلك المقومات في ثلاثة أبعاد هي :

- استيعاب شاكر العميق لنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني؛ حيث ظهرت أصدائها بشدة في نتائجه النقدية اللغوية ، على مستوى الأبعاد الثلاثة سألفة الذكر.

- امتلاك شاكر ناصية اللغة؛ الأمر الذي أتاح له الوقوف عند عدة مستويات قوامها اللغة وهي: وقوفه على مستوى المفردات، ووقوفه على مستوى التراكيب، تجاوزه حدود المفردات والتراكيب إلى مستوى الدلالة العامة للمعنى.

- الحس الفطري النافذ لمعطيات العمل النقدي؛ الأمر الذي أتاح له التفرد تارة، والريادة تارة أخرى، وهو مما جعل انتقاداته واستدراكاته على الشراح من قبله، قائمة على حس لغوي فطري بليغ، وذوق نقدي عميق.

**ثالثاً:** أثبتت الدراسة أن جوهر الاختلاف بين شاكر وسابقيه عامة، والمرزوقي خاصة، يكمن في كيفية التلقي، وليس في الصواب مقابل الخطأ؛ حيث جاء تلقي محمود شاكر للشعر عامة، وللجاهلي منه خاصة، تلقياً ذا سمات خاصة تميزت



بعمق الرؤية ونفاذ الرأي ودقة التحليل، وبراعة العرض، كيف لا والشعر الجاهلي لديه عرض لا يفرط فيه! في الوقت الذي كان تلقي المرزوقي للشعر خاضعا لحسه الذاتي؛ فلم يسر على وتيرة واحدة في شرحه، حيث يتبع الخطرة الأولى التي تشع في عقله ووجدانه، حال قراءته للنص، قد تتمثل هذه الخطرة في المعنى؛ فيعرضه أولا، وقد تتمثل في لفظة فيسبق إليها بالشرح الإيضاح، وقد تكون هذه الخطرة في صورة بلاغية؛ فيسجلها قبل المضي في الشرح، وقد تكون رواية؛ فيبدأ بعرضها ومناقشتها، بل ربما تتمثل الخطرة في غرض الشاعر ومراميه في الكلام؛ فيعمد إليه أولا، أو في تركيب نحوي؛ فيعرضه قبل إيضاح المعنى وشرح الألفاظ.

**رابعاً:** كشفت الدراسة أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين المرزوقي وشاكر في تناولهما للشعر؛ حيث تبين أن المرزوقي يتبع المنهج الإبداعي الفني الذي تدخله الغاية التعليمية، وأنه يتناول المستويات اللغوية المختلفة في التفسير الشعري بحسب ما يدفعه إليه التدوق الشعري الآني، وقد جاء شرحه في سياق مختلف من الشروح؛ حيث إن المرحلة السابقة له هي مرحلة النقل والالتزام؛ نقلها جيله إلى مرحلة الإبداع، كما أن الشارحين يشتركان في سمات كثيرة ويفترقان؛ فهما يشتركان في امتلاك الروايات المختلفة للقصيدة، وجمعهما بين صفة الأديب وصفة العالم في المعالجة، وفي تفسير القصيدة في مستوياتها اللغوية المختلفة... ثم يفترقان في الدافع والغاية، فإذا كان المرزوقي مبدعا فنيا في شرحه فإن شاكرًا -ضرورات عصره- كان في شرحه وتفسيره باحثًا عن تاريخ مضيق وماض مشرق.

**خامسًا:** أبرزت الدراسة أن تنوع أسس الاختلاف بين المرزوقي وشاكر في التلقي مرجعه هو جدلية الحقيقة والمجاز؛ فالمرزوقي قد يتأول الموضع على الحقيقة، في حين يتناوله شاكر على المجاز، والعكس صحيح، وكشف المنهج الاستقرائي في الدراسة الحالية أن سياق القصيدة مناسبًا لتأويل شاكر في غالب المستويات الثلاثة، وفي قليل منها احتمل البيت التأويلين.

**سادسًا:** كشفت الدراسة عن خصائص منهج شاكر في انتقاداته اللغوية للمرزوقي، وتوضح ملامح ذلك المنهج على النحو الآتي:

- ذكر شاكر المرزوقي -متعقبا إياه- صراحة في خمسة وعشرين موضعا، وفي

- بضعة مواضع عن طريق التضمين، دلّ عليها كلام المرزوقي في شرحه على ديوان الحماسة، خلت منها خمسة مواضع من النقد في مستوياته الثلاث، تعلق بعضها برواية القصيدة، وبعضها بعدد الأبيات وترتيبها، وبعضها بأثر المرزوقي فيمن تلاه من متلقي الشعر وشرّاحه.
- اختلفت مستويات نقد شاعر للمرزوقي؛ فقد يعارض شاعر المرزوقي معارضة النقيض؛ فيخطأ المرزوقي صراحة، بل ويشدّد في عبارته عليه، وقد يرى تقصير المرزوقي في الإبانة عن الدلالة المرادة؛ ومن ثمّ ينطلق هو مفصلاً المعنى المراد، وفي بعض الأحيان ينتقد شاعر المرزوقي لإهماله الموضوع الكلية، خاصة في الجانب النحوي وما تعلق به.
- كان التدوق حاكماً لمنهج شاعر في نقده على المرزوقي وغيره من الشراح في القصيدة -محل الدراسة- وهو منهجه وديده الذي أبان عنه في كتاباته المتنوعة الثرية.
- حين يصل شاعر إلى بعض التفسير الفريد، والذي يضيء معنى القصيدة؛ فإنه يكون حريصاً على استيفاء شواهد ذلك المعنى من القرآن الكريم، كلام الله سبحانه، ثم من شعر العرب الجاهلي، وغير الجاهلي، وغير ذلك من مصادر اللغة المتحج بها.
- سابعاً:** تصدّت الدراسة -وفق براهين وأدلة وشواهد قاطعة- لأقوال إبراهيم الكوفحي، وأثبتت الدراسة عدم صحة تلك الادعاءات شكلاً وموضوعاً، وبرهنت أن الكوفحي نفسه قد وقع في تناقضات علمية بارزة، أثبتت لشاعر حقه ومكانته، ومن تلك التناقضات:
- أنه في الوقت الذي ادعى فيه أننا لا نجد نصّاً لشاعر يصور غزارة إحساسه بهذا الشعر الذي فتن به، نجده هو نفسه يقدم لنا في كتابه أكثر من عشرة نصوص مختلفة تؤكد نقيض ما ذكره، وذكر ما يثبت لشاعر غزارة إحساسه بالشعر الجاهلي؛ فإن ما ذكره هو نفسه تعد نصوصاً -لا نصّاً واحداً- تؤكد غزارة إحساس شاعر بهذا الشعر.
- أنه في الوقت الذي ادعى فيه أن هناك آفاقاً من الصعوبة كانت تعترض

طريق شاکر وهو يحاول أن يصوغ هذا الانفعال الروحي العنيف في لغة نقدية علمية دقيقة، تحاول أن تضع الصور والمعالم في طريق قرأء الشعر ومنتدقيه، نجده على امتداد كتابه يثبت نقيض ذلك، إما من خلال الأمثلة التي تثبت لشاکر تفرده وريادته، أو من خلال التعبيرات التي تثبت سبقه وتميزه.

- أنه في الوقت الذي ادعى فيه أن لشاکر في نقده تجليات تتم عن التدوق الساذج لهذا الشعر، الذي هو قسيم التدوق المنهجي؛ نجد الكوفحي يؤكد أن شاکر كان صاحب مدرسة نقدية خاصة، كان له فيها قصب السبق بين معاصريه، حتى الشاهد الذي ساقه الكوفحي ليثبت سذاجة النقد لديه، هو في حقيقته شاهد يثبت تفرد شاکر في منهجه النقدي وسبقه.

## المصادر والمراجع

١. إبراهيم بن محمد أبا ندى، مقالات حارس التراث أبي فهر، محمود محمد شاعر، دراسة، الرياض، ط١: ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
٢. إبراهيم عبد الرحمن : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي ، فصول ،المجلد ١ ،العدد ٣ ، ١٩٨١م .
٣. إبراهيم عبد العزيز زيد مفهوم الشعر عند جميل صدقي الزهاوي، مجلة كتابات ،الجمعية المصرية للسرديات ،إصدار خاص ( أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ) ، ٢٠١٤م .
٤. ابن منظور : لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ = ٢٠٠٣م.
٥. ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٥م .
٦. أتو يسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ، ترجمة د. عبد الرحيم أيوب ، مطبعة الأنجلو ١٩٥٤م .
٧. أحمد أمين، عبد السلام هارون : شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤١١ = ١٩٩١م.
٨. أحمد جمال العمري : شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها، د/ ، دار المعارف القاهرة، ط١: ١٩٨١م.
٩. أحمد طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب منالعصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٤م .
١٠. أحمد فارس : الفلسفة وعلاقتها بعلم اللغة ، مجلة الفيصل ، العدد ١٤٨ ، شوال ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٩م .
- ١١.التبريزي : شرح ديوان الحماسة، حماسة أبي تمام، للتبريزي، دار القلم، بيروت، د.ت .
- ١٢.تركي طارق : نشأة حركة الشروح وتطورها في الشعر العربي (شرح المرزوقي

- لحماسة أبي تمام نموذجاً)، بحث منشور في مجلة جامعة سيدي بلعباس، الجزائر. ٢٠١٠م .
١٣. جوناثان كلر: فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة و علم العلامات، ترجمة د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية القاهرة ٢٠٠٠م .
١٤. حسن خمري : سرديات النقد في تحليل الخطاب النقدي المعاصر ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط١ ، ٢٠١١م .
١٥. دي سوسير : فصول في علم اللغة العام ، ترجمة د. نعيم الكراعين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م .
١٦. سالم سعدون وآخرون منهج المرزوقي في رواية الشعر من خلال شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، د/ ، بحث منشور في مجلة معارف، جامعة البويرة، الجزائر، المجلد ١٧، عدد: ١، ٢٠٢٢م.
١٧. صلاح فضل : تكوينات نقدية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط١ ، ٢٠٠٠م .
١٨. صلاح فضل منهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
١٩. الطاهر أحمد مكي ، معالم هادية على طريق سيرة عطرة ، مجلة الهلال ، فبراير ١٩٩٧م .
٢٠. عبد القادر المغربي : الكلمات غير القاموسية ، مجلة المجمع العلمي بدمشق، ١٩٢٨م .
٢١. عثمان أمين : في الفكر واللغة ، مجموعة محاضرات ألقاها على طلاب الدراسات الأدبية واللغوية عام ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، مصر. ١٩٦٦م .
٢٢. عمر حسن القيام : محمود محمد شاعر الرجل والمنهج ، دار البشير ، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٢٣. فاطمة أحمد شتيوي : الانتقادات اللغوية والدلالية التي أخذها محمد ناصر السلاموني (ت ٥٥٠هـ) على أحمد محمد الهروي (ت ٤٤٠هـ) ، من خلال كتابه ( التيه ) تحليل وتقويم ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات .

- الزقازيق ، ٢٠١٦ م .
٢٤. الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، طبعة دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨ م .
٢٥. محمد المبارك : فقه اللغة و خصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية ، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد و التوليد ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٤ م .
٢٦. محمد حسين نقشة : شرح ديوان حماسة أبي تمام ، المنسوب لأبي العلاء المعري ، دراسة وتحقيق د/ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ : ١٤١١هـ = ١٩٩١ م .
٢٧. محمد رشاد سالم وآخرون ، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر بمناسبة بلوغه السبعين ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٨٢ م .
٢٨. محمد عثمان علي : شروح حماسة أبي تمام ، دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها ، دار الأوزاعي ، الدوحة ، د.ت .
٢٩. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣ م .
٣٠. محمود إبراهيم الرضواني : شيخ العربية وحامل لوائها ، أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ : ١٤١٥هـ = ١٩٩٥ م .
٣١. محمود شاكر بين حلاوة التذوق ومرارته ، د/ صلاح فضل ، مقال منشور في مجلة المصور ، العدد : ٣٨٠٥ ، ٩ جمادى الأولى ١٤١٨هـ = ١٢ سبتمبر ١٩٩٧ م .
٣٢. محمود محمد شاكر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ، جمعها وقراها وقدم لها : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
٣٣. محمود محمد شاكر : خطبة كتاب المتنبي ، مطبعة المدني ، مصر ، دار المدني ، جدة ، ١٩٨٧ م ، ص ١٢ .
٣٤. محمود محمد شاكر : نمط صعب ونمط مخيف ، دار المدني بجدة - القاهرة ، ط ١ : ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦ م .

٣٥. محمود محمد شاکر :مداخل إعجاز القرآن، ، مطبعة المدني بجدة- القاهرة، ط٢: ١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م .
٣٦. محمود محمد شاکر: سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، د/ إبراهيم الكوفحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م .
٣٧. محمود محمد شاکر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني بجدة- القاهرة، ط١: ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
٣٨. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٤م .
٣٩. مصطفى عبد الرحمن في النقد الأدبي القديم عند العرب ، القاهرة للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٨م.
٤٠. مطاع صفدي : قراءة ثانية للشعر الجاهلي ، الأصالة والممكن ، دار الفكر العربي المعاصر ، العدد ١٠ ، ١٩٨١م .
٤١. معروف الرصافي : الآلة والأداة ، تحقيق عبد الحميد الرشودي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م .
٤٢. يحيى حقي : محمود شاکر أديب العربية ومحققها ، مجلة الهلال ، آذار /مارس ١٩٨٥م . محمود الربيعي : في الخمسين عرفت طريقي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

## اللغة المضادة - دراسة تطبيقية على أدب السجون

أ.م.د. مروة مصطفى السيد أمين

أستاذ الدراسات اللغوية المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الألسن، جامعة عين شمس

[marwamoustafa29@yahoo.com](mailto:marwamoustafa29@yahoo.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2021.94050.1130



## اللغة المضادة - دراسة تطبيقية على أدب السجون

### مستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى بيان أهمية اللغة المضادة "anti-language" في إظهار علاقة اللغة بالبنية الاجتماعية، وتتناول هذه الظاهرة تطبيقياً على أدب السجون. وتقسم الدراسة إلى مقدمة نظرية تعرض التأسيس النظري لظاهرة اللغة المضادة عند اللغويين، ثم تتطرق إلى الجزء التطبيقي الذي يحلل هذه الظاهرة في بعض الأعمال الأدبية التي تنتمي إلى أدب السجون. وترمي الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها؛ تعريف اللغة المضادة وأسباب ظهورها، وإظهار علاقتها بالمجتمع المضاد، كما ترمي إلى بيان أنواعها وسماتها. وتتبع الدراسة المنهج الوصفي؛ فتصف لغة السجناء وتحللها دلاليًا وتركيبياً؛ لتبين مدى خصوصيتها، وارتباطها بالبيئة الجديدة التي خلقتها الظروف المحيطة. وقد وقع اختيار الدراسة على مجموعة من الأعمال التي تنتمي إلى أدب السجون (المصرية) خاصة؛ لأن دراسة اللغات المضادة تهتم بالعلاقة بين اللغة والبنية الاجتماعية، كما تهتم بالطريقة التي يعمل بها النص في إدراك السياقات الاجتماعية، وبالتالي فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيئة المحيطة بها. وقصدت الدراسة التنوع؛ فشملت هذه الأعمال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والسيرة.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة المضادة، علم اللغة الاجتماعي، اللهجات الخاصة،

أدب السجون، التغيير الدلالي.

## "Anti-language"- An Applied Study on Prison Literature

Dr. Marwa Moustafa Elsayed Amin  
Assistant Professor at the Department of Arabic Language  
Faculty of Al Alsun, Ain Shams University

### **Abstract**

This study seeks to demonstrate the importance of anti-language in showing the relationship of language with social structure, and deals with this phenomenon applied to prison literature. The study is divided into a theoretical introduction, then proceeds to the applied part that analyzes this phenomenon in some literary works that belong to prison literature. It also aims at achieving several goals, including; Defining anti-language, showing its relationship to the anti-society, and indicating its types and characteristics. The study follows the descriptive approach. It describes and analyzes the language of prisoners semantically and syntactically; to show the extent of its privacy, and its connection to the new environment created by the surrounding circumstances. The study has chosen a group of works that belong to (Egyptian) prison literature, in particular; because the study of anti-languages is concerned with the relationship between language and social structure.

**Keywords:** Anti-languages, Prison literature, Argot, Secret Languages, Sociolinguistics.

## اللغة المضادة - دراسة تطبيقية على أدب السجون

تسعى هذه الدراسة إلى بيان أهمية اللغة المضادة "anti-language" في إظهار علاقة اللغة بالبنية الاجتماعية، وتتناول هذه الظاهرة تطبيقياً على أدب السجون<sup>(١)</sup>. وتنقسم هذه الدراسة إلى مقدمة نظرية تعرض التأسيس النظري لظاهرة اللغة المضادة عند اللغويين، ثم تتطرق إلى الجزء التطبيقي الذي يحلل هذه الظاهرة في بعض الأعمال الأدبية التي تنتمي إلى أدب السجون.

ويُعرّف أدب السجون بأنه: "نوع من الأدب الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجن والتعذيب، خلال فترة سجنهم وتعذيبهم أو بعدها، أو كتبه الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم"<sup>(٢)</sup>.

وترمي الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها؛ تعريف اللغة المضادة وأسباب ظهورها، وإظهار علاقتها بالمجتمع المضاد، كما ترمي إلى بيان أنواعها وسماتها.

وتتبع الدراسة المنهج الوصفي؛ حيث تصف لغة السجناء وتحللها دلاليًا وتركيبياً؛ لتبين مدى خصوصيتها، وارتباطها بالبيئة الجديدة التي خلقتها الظروف المحيطة؛ "فاللغة المضادة تعمل على إنشاء بنية اجتماعية تمامًا كما تفعل لغة الحياة اليومية؛ لكنها بنية اجتماعية من نوع خاص؛ حيث تُبرز بعض العناصر بقوة، وهذا يعطي للغة المضادة طابعًا خاصًا تكون فيه أنماط التعبير المجازي هي الأساس؛ وتظهر أنماط هذا النوع على المستويات جميعها؛ الصوتية، والمعجمية والنحوية، والدلالية."<sup>(٣)</sup>

وقد وقع اختيار الدراسة على مجموعة من الأعمال التي تنتمي إلى أدب السجون (المصرية) خاصة؛ لأن دراسة اللغات المضادة تهتم بالعلاقة بين اللغة والبنية الاجتماعية

(١) يطلق عليه أيضًا: "أدب المقاومة، والأدب النضالي، وأدب الأسوار العالية، والحبيسات" لكن يمكن القول إن هذه المصطلحات كلها تندرج في أدب السجون نظرًا لشموله؛ فقد اختص- مثلًا- أدب المقاومة بسجناء الاحتلال. انظر: د. رشا صالح: أدب الأسوار العالية بين الأدب العربي والأدب الفرنسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، يوليو، ٢٠٠٨، ص٥، سكينه قدور: الحبيسات في الشعر العربي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٨، و رأفت حمدونة: أدب السجون التعريف والمميزات، مقال بجريدة دنا الوطن، ٢٤/١/٢٠١٦،

<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.html>

(٢) ممدوح عدوان: حيونة الإنسان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط٢، دت، ص١٦.

(٣) Halliday, M. A. K.: Anti-Languages, American Anthropologist, 1976, Vol. 78, No.3, p.570.

(اللغة الخاصة والمجتمع المضاد التي نشأت داخله)، كما تهتم بالطريقة التي يعمل بها النص في إدراك السياقات الاجتماعية، وبالتالي فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيئة المحيطة بها. وقد أشار هاليداي إلى أن "لغة السجناء تعد الأنسب لتمثيل اللغة المضادة؛ لأن لها مرجعية تشير إلى بنية اجتماعية بديلة"<sup>(1)</sup>

وقصدت الدراسة التنوع؛ فشملت هذه الأعمال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والسيرة؛ فتأتي روايات "لا" لمصطفى أمين (ت ١٩٩٧)، و"شرف" لصنع الله إبراهيم، و"الزنانة" لفتحي فضل، وقصة "مسحوق الهمس" ليوسف إدريس (ت ١٩٩١)، وسيرة "الولد الشقي في السجن" لمحمود السعدني (ت ٢٠١٠)، ومسرحية "سجن فايف ستارز" لإبراهيم الحسيني لتتقل حياة السجن العام وتركز على الطبقات الدنيا من المجتمع، في حين تأتي روايتنا "سنة أولى سجن"، و"سنة ثانية سجن" لمصطفى أمين لتركزا على نوع آخر من السجون مثل السجن الحربي وسجن الاستئناف، وتأتي مسرحية "سجن النساء" لفتحية العسال (ت ٢٠١٤) لتتقل لنا وجهاً آخر من السجون وهو سجن النساء.

وتختلف لغة كل عمل أدبي وفقاً للمكان والزمان وطبيعة الشخصيات؛ فمن هذه الأعمال ما يعد تجارب شخصية لمؤلفيها سجلوا فيها ما عايشوه فترة سجنهم، مثل روايتي سنة أولى سجن، وسنة ثانية سجن لمصطفى أمين، ورواية الزنانة لفتحي فضل، ومسرحية "سجن النساء" لفتحية العسال؛ فقد كان المؤلف هو بطل العمل. ومن هؤلاء المؤلفين من خاض تجربة السجن ثم ألف عملاً أدبياً في ضوء هذه التجربة، مثل يوسف إدريس، وصنع الله إبراهيم، ومحمود السعدني؛ فالسعدني لم يتناول في هذا الجزء من سيرته قصة سجنه أو الظروف التي أدت إلى سجنه، بل تناول صوراً من حياة زملائه في السجن من غير السياسيين.

أما عن الدراسات السابقة، فلم تجد الباحثة دراسات عربية تطبيقية تناولت موضوع اللغة المضادة. كما ترى الباحثة أنه على الرغم من تعدد الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت أدب السجون، فإنه لم يحظَ بالاهتمام الكافي لغويًا؛ "فقد ركزت الدراسات التي

(1) Ibid, p.583. and: Connie Eble: slang and antilanguage, sociolinguistics- an international handbook of the science of language and society, edited by: Herausgegeben Von, Herbert Ernst Wiegand, Walter de Gruyter Berlin, vol.1, second edition, p. 266.

تناولته على الشعر خاصة<sup>(١)</sup>

### أولاً: التمهيد

كان هاليداي Halliday أول من استخدم مصطلح "anti-languages" اللغات المضادة، عام ١٩٧٦، وعرفها بأنها: "شكل خاص من أشكال اللغة يظهر في أوقات معينة وأماكن محددة يولده نوع من مناهضة المجتمع."<sup>(٢)</sup> فهي لغة تعمل على إنشاء بنية اجتماعية خاصة بها، وقد أطلق هاليداي على هذا النوع المناهض من المجتمعات مصطلح "المجتمع المضاد" "anti-society" وعرفه بأنه "مجتمع يُؤسس داخل مجتمع آخر بديلاً له؛ فهو نوع من المقاومة التي قد تأخذ شكل التعايش السلبي أو العداء النشط وقد تصل إلى التدمير."<sup>(٣)</sup>

وأوضح هاليداي العلاقة بين اللغة المضادة والمجتمع المضاد بقوله: "إن اللغة المضادة ليست نظيراً للمجتمع المضاد؛ لكنه هو الذي أسسها. ولا نعرف الكثير عن هذه العملية أو نتائجها، لكن من المعقول أن نفترض ذلك. ومن حيث المصطلح، فإن العلاقة بينهما في كثير من الأحيان تشبه العلاقة بين اللغة والمجتمع. فكل الزوجين؛ المجتمع ولغته أو المجتمع المضاد واللغة المضادة، متساو في كونه مثلاً على النظام الاجتماعي اللغوي السائد. ففي العصر الإليزابيثي في إنجلترا، وُجدت الثقافة المضادة للمتشردين vagabonds؛ وهم عدد كبير من المجرمين الذين عاشوا عالة على ثروة المجتمع، وكانت لهم لغتهم الخاصة. فمصطلح "الحياة الثانية" "second life"، الذي استخدمه آدم بودجوريكي Adam Podgorecki (١٩٧٣) لوصف الثقافة الفرعية للسجون البولندية والمدارس الإصلاحية، مصحوب بلغة مضادة تسمى grypserka<sup>(٤)</sup> إذاً "الحياة الثانية" عند بودجوريكي تقابل "المجتمع المضاد" عند هاليداي، وتمثل grypserka اللغة المضادة لهذا المجتمع.

كما يمكن تعريف اللغة المضادة بأنها: "وسيلة مجموعة ثقافية فرعية تهدف إلى

(١) أسامة محمد علي حسين: اللغة والسرد في رواية السجون التشكيل والوظيفة عند (أيمن العتوم- صنع الله إبراهيم) دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٧، ص ٦.

(2) Halliday, M. A. K.: Anti-Languages, p.570.

(3) Ibid, p.570.

(4) Ibid, p.570.

التمرد على ما يمليه المجتمع القمعي. فاللغة المضادة تبني الهوية الاجتماعية والواقع البديل... فلغة الهييب هوب، ولغة السجناء، ولغة الزوج (السود)، واللغة العامية في الحرم الجامعي، نماذج للغات المضادة، وهي أدوات تمكن مستخدميها من التعبير عن مقاومتهم للسيطرة الاجتماعية والتفيس عن الاستياء الاجتماعي"<sup>(١)</sup>

وهذا التعريف يؤكد ضرورة وجود مجتمع مضاد تنشأ فيه هذه اللغة. كما يُظهر أسباب اللجوء إلى اللغة المضادة؛ ومنها كما ورد لدى هاليداي نقلاً عن Mallik في كتابه لغة العالم السفلي<sup>(\*)</sup> في غرب البنغال: "الحاجة إلى السرية، واستخدامها بوصفها قوة اتصال أو فن لفظي."<sup>(٢)</sup>

لكن هاليداي يرى أن "حقيقة استخدام اللغة المضادة للتواصل السري والفن اللفظي لا تعني أن هذه هي الأسباب التي أدت إلى ظهورها في المقام الأول، بل هو جزء من الحقيقة؛ لذلك تعد السرية سمة من سماتها وليست عاملاً محددًا للغة... فاللغة المضادة لحياة السجون ليست مجرد إضافة اختيارية، فهي تعمل على تزيين الحياة الثانية بالتنافس مع إبقائها مخفية بنجاح عن سلطات السجن. إنه عنصر أساس في وجود ظاهرة الحياة الثانية، والحفاظ على الهوية فيها"<sup>(٣)</sup>

وقد خلط بعض الباحثين بين اللغة المضادة وعدة أنواع أخرى من اللغات واللهجات الخاصة؛ فنجد كاتي وايلز Katie Wales تعرف اللغة المضادة بأنها: "مصطلح تم توليده من طرف ميخائيل هاليداي Halliday للإحالة على كل تنوعات اللغة كاللهجة الفئوية للصوم Argot or Cant، واللهجة السوقية للمدارس العمومية Slang، واللغة الخاصة لرسائل الحب.. إلخ، التي تعرف لدى المطلعين الحصريين فقط. إنها تخلق عالمًا "بديلاً" ثقافة مضادة، سواءً كعلامة مميزة على المقاومة الاجتماعية، أم السرية أم هما معًا (مثلاً لهجة الشواذ)."<sup>(٤)</sup>

فنجدها جعلت اللغة المضادة anti-language مظلة تدخل تحتها عدة لغات أخرى

(1) Wu Haibin: Anti-language and Anti-language Group, Journal of South China, University of Technology (Social Science Edition). 2013(03) pp:124-131.

(\*) يقصد بالعالم السفلي Underworld هنا: عالم السجون.

(2) Halliday, M. A. K.: Anti-Languages, p.572.

(3) Ibid, p.572.

(٤) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص٦٣.

مثل Argot، Cant، Slang، ثم جعلتها مرادفًا حديثًا للهجة الفئوية (Argot)، غير أن هذه المصطلحات وغيرها تختلف فيما بينها عن اللغة المضادة؛ فقد ذكر هاليداي أن أهم ميزة للغة المضادة هي وجود المجتمع المضاد الذي تنشأ هذه اللغة في ظله.

وقد وضعت كاتي وايلز Katie Wales في معجمها نفسه مصطلح اللهجة الفئوية مقابلاً للفظ Argot: وعرفت بها بأنها: "مقترضة من الفرنسية (لكن مصدرها غير معروف)، وتحيل على الاستعمالات اللغوية الخاصة ببعض الجماعات من الناس (دائمًا ضد المجتمع كاللصوص)... وتستعمل كل من "لهجة خاصة" Jargon و"لهجة سوقية" Slang أحيانًا بشكل مرادف للهجة فئوية Argot"<sup>(١)</sup>

ويعرف هارتمان "Hartmann" Argot بأنها: "لغة ذات غرض خاص تستخدمها مجموعات معينة للإشارة إلى الانتماء إلى عضوية المجموعة وإخفاء معنى الكلمات والعبارات للغرباء... وغالبًا ما يرتبط استخدامها بثقافات فرعية مثل الجماعات الإجرامية أو المجتمعات السرية."<sup>(٢)</sup>

أما باري بليك Blake فيرى أنها "علامة للطبقة الدنيا من المجتمع، وهي لغة تطورها المجموعات التي تعاني من الاضطهاد، أو السجن، أو الانعزال عن المجتمع، أو تلك التي تراقب أنشطتها السلطات؛ أي إنها مرتبطة بالخارجين على القانون... غير أنها تستخدم أيضًا بين مجموعات أخرى من المتجولين مثل العجر والمتسولين والعاملين بالسيرك، والبنائين، فهي تدرج فيما أطلق عليه هاليداي اللغة المضادة؛ ويرجع اللجوء إلى استخدام اللهجة الفئوية إلى سببين؛ إما للتضامن داخل المجموعة الواحدة، وإما لتوفير شفرة سرية لا يفهمها الأعداء من المجموعات الأخرى، أو السلطات"<sup>(٣)</sup>. ويلاحظ أن هارتمان يساويها باللغة المضادة، في حين يجعلها بليك نوعًا منها.

أما اللهجة الحرفية، أو الفئوية Cant: فتقول عنها كاتي وايلز Katie Wales إنها: "في الاستعمال العادي اليومي تحط من القدر... وفي القرن السابع عشر عندما ظهرت الكلمة لأول مرة، كانت تطبق دائمًا على الكلام الذي يستخدمه الشاذون للخبث، ومنذ

(١) المرجع السابق، ص ٧٥.

(2) Hartmann, R.R.K., James, G.: Dictionary of lexicography, taylor &amp; francis group, 1998, p.8.

(3) Blake, Barry J: secret language, Oxford university press, 2010, p. 196, 211.

ذلك الحين طبقت باستمرار على اللغات الخاصة أو المفردات المستعملة من قبل المنبوذين في المجتمع، كاللصوص<sup>(١)</sup> ويعرفها معجم مصطلحات علم اللغة الحديث بأنها: "اللغة الخاصة (بأهل حرفه أو طبقة أو بيئة)"<sup>(٢)</sup>

ويعرف بليك "Jargon": بأنها: "لغة خاصة بمهنة أو نشاط مثل مصطلحات أعمال البناء، أو مصطلحات رياضة التنس أو المصطلحات العسكرية"<sup>(٣)</sup> لذلك يفضل استخدام مصطلح اللغة الخاصة مقابلًا لها.

وقد أطلق عليها هارتمان مصطلح "اللغة المتخصصة" وعرفها بأنها: "كلمة أو عبارة مرتبطة بمجال محدد، وتكون واضحة للخبير الذي يستخدمها، وليس لمن هم خارج المجال"<sup>(٤)</sup>

أما مصطلح Slang فقد ترجمته كاتي وايلز Katie Wales إلى "اللهجة السوقية"، وقالت إنها: "مرتبطة بمجموعات اجتماعية واسعة مثل المراهقين، أو متكلمي اللهجة، وترتبط على نحو مميز باستعمالات لغوية لا رسمية"<sup>(٥)</sup> وترجمه هارتمان إلى "العامية" وعرفها بأنها: "كلمة أو عبارة مرتبطة باللغة غير الرسمية لمجموعة اجتماعية"<sup>(٦)</sup> ويظهر هنا التركيز على أنها مقابل الرسمية أو المعيارية.

وبعد تعريف هذه الظواهر التي تشترك مع اللغة المضادة في بعض السمات، يتضح أن اللغة المضادة anti-language أعم من اللهجة الفئوية Argot، وتعد Argot تعويضًا عن المصطلح الأقدم Cant. وتوجد أيضًا اللهجة العامية Slang وهي مقابل الفصحى المعيارية، كما توجد اللغة المتخصصة Jargon التي تتعلق بالمصطلحات التقنية للمهن. وهي جميعها تندرج في اللغات السرية Secret Languages التي تُبتكر من أجل المحافظة على الهوية، أو الرغبة في الأمان.

وتمتاز اللغة المضادة بعدة سمات يمكن أن تفصح عن طرق نشأة هذه اللغة، منها:

(١) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص ١٠٣ بتصرف.

(٢) د. باكلا، محمد حسن، د. صيني، محمود إسماعيل، وآخرون: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٩.

(٣) Blake, Barry J: secret language, p.197.

(٤) Hartmann, R.R.K., James, G.: Dictionary of lexicography, p.78.

(٥) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص ٦١٧.

(٦) Hartmann, R.R.K., James, G.: Dictionary of lexicography, p.127.



"الإسقاط السلبي، وإعادة التصنيف، وإعادة الصياغة اللغوية، والإفراط في إعادة الصياغة، فهي لغة مجازية"<sup>(١)</sup>

ويُقصد بإعادة الصياغة أو المَعَجَمَة Relexicalization عملية تتم عن طريق استخدام كلمات جديدة لتحل محل الكلمات القديمة، أو استخدام كلمات قديمة لتمثيل معاني جديدة. إنها عملية خلق أو ابتكار"<sup>(٢)</sup> وهذا ما يؤكد مجازية اللغة المضادة؛ فتقنية المجاز تعد من طرائق وضع المصطلح. ويرى هاليداي أنه "عادة ما تكون عملية إعادة الصياغة هذه جزئية؛ فليست كل الكلمات في اللغة لها معادلاتها في اللغة المضادة."<sup>(٣)</sup> أما الإفراط في إعادة الصياغة Overlexicalization فيقصد به "المرونة اللغوية؛ بحيث نجد للشئ الواحد ألفاظاً متعددة؛ فهناك العشرات من التعبيرات التي تطلق على الحشيش في اللغة الإنجليزية مثل الماريجوانا marihuana، القنب hemp، بانج bhang، الأعشاب الضارة weed، بعضها عبارة عن تعبيرات رسمية وبعضها يأتي من اللهجات الفئوية."<sup>(٤)</sup> ولعل هذا من متطلبات السرية، كما أنه يمكن أن يرجع إلى اختلاف خلفية السجين أو مكانه.

كما تتسم اللغة المضادة بسمات أخرى منها: "الجناس الصوتي Homophone؛ وهو ألفاظ تتفق في النطق لكنها تختلف في المعنى، وقد تختلف في الهجاء أيضاً،... والاختصار Abbreviation وهو اختزال للكلمة أو العبارة؛ ويسمى أيضاً القطع؛ حيث تتكون كلمة جديدة عن طريق حذف الجزء الأخير؛ مثل "ad" من "advertisement"، أو حذف الجزء الأول؛ مثل "phone" من "telephone"، أو حذف الجزئين الأول والأخير؛ مثل "fridge" من "refrigerator"، أو الاكتفاء بالأحرف الأولى من الكلمات المكونة لعبارة؛ مثل asap = في أقرب وقت ممكن، من as soon as possible."<sup>(٥)</sup>

ويضيف هدجكوك Hedgcock وناتالي ليفكوفيتز Natalie Lefkowitz سمة

(1) Wu Haibin: Anti-language and Anti-language Group, p.124-131.

(2) Shi Baihui, Li Fengjie. The Analysis of Anti-language from the Perspective of Current Situation of Netspeak. International Journal of Language and Linguistics. Vol. 5, No. 2, 2017, p.52.

(3) Halliday: Anti-Languages, p571.

(4) Shi Baihui, Li Fengjie. The Analysis of Anti-language from the Perspective of Current Situation of Netspeak, p.52.

(5) Ibid, p.52.

أخرى لهذه اللغة وهي "استخدام الألفاظ المحظورة taboo"<sup>(1)</sup> وهذا يؤكد ما ذكره هاليداي من أنها تعكس القيم الاجتماعية؛ يقول: "من المتوقع، في اللغة المضادة، أن تكون القيم الاجتماعية أكثر وضوحًا. هذا مثال على ما يشير إليه برنشتاين باسم "توجه الترميز اللغوي الاجتماعي"، أي الميل إلى ربط طرق معينة للمعنى بسياقات اجتماعية معينة."<sup>(2)</sup>

### ثانيًا: الدراسة التطبيقية

بالنظر في الأعمال الأدبية- موضع الدراسة- يتبين أن هناك عدة ظواهر لغوية تمتاز بها لغة السجون المصرية منها:

١- التغير الدلالي: ويُعرّف التغير الدلالي بأنه "تغيير الكلمات لمعانيها"<sup>(3)</sup>، ومن

أشكال التغير الدلالي التي وردت بالنصوص عينة الدراسة:

١-١- نقل المعنى: "ويكون عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة

العموم والخصوص كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من

المسبب إلى السبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه أو العكس

وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى (الاستعارة- إطلاق البعض على الكل-

المجاز المرسل بوجه عام."<sup>(4)</sup> ومن أمثلة ذلك:

"الأبيض" = الهيروين

"عدلات: بتاجر في الأبيض- سلوى: الأبيض؟- عدلات: السم الهاري البودرة بعيد عنك

ووقعت البنات دول معاها"<sup>(5)</sup> فانقل معنى اللفظ من الدلالة على اللون الأبيض إلى

الدلالة على مادة الهيروين التي لها اللون نفسه.

"الأسود" = الحشيش

"خوخة: بتشتغل لحساب تاجر كبير كان زمان بيشتغل في الأسود وبيتاجر في الأبيض

(1) Natalie Lefkowitz, John Hedgcock: anti- language: linguistic innovation, identity construction, and group affiliation among emerging speech communities, multiple perspectives on language play: edited by: Nancy Bell, volume 1, De Gruyter, Berlin, 2016, p.350.

(2) Halliday: Anti-Languages, p.572.

(3) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص235.

(4) المرجع السابق، 247.

(5) فتحة العسال: سجن النساء، مسرحية من فصلين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص50.

دلوقت" (١) وبذلك انتقل اللفظ من الدلالة على اللون الأسود إلى الدلالة على مادة الحشيش التي لها اللون نفسه.

"الإمضاءات" = آثار التعذيب

"ولا تزال الإمضاءات واضحة على جلده برغم مرور سنوات وسنوات" (٢) والإمضاء: "التوقيع" (٣) وهنا انتقلت دلالة اللفظ مجازاً من الدلالة على توقيع الشخص على الأوراق إلى الدلالة على الأثر الذي يتركه الشخص - المعذب - على جسد السجين.

"التمغة" = رشوة

"البسهم كلهم ميري... سلمهم كل واحد بدلة وقبل ما يلبسها وسخها له من هنا.. اتجهت عصاه إلى مستنقع المخلفات الذي يشاركنا الحجرة.. فأسرعنا نضاعف له رسم التمغة" (٤). والتمغة لغة: "رسم تتقاضاه الدولة أو أحد الأشخاص العامة على المحررات" (٥) ويلاحظ هنا انتقال دلالة الكلمة من الصفة الرسمية الشرعية حيث تكون السلطة لهذا الرسم في يد الدولة أو من يمثلها إلى صفة غير رسمية بل غير قانونية تعد من قبيل الرشوة؛ وإنما كان النقل من باب المجاز؛ حيث يمثل متقاضى التمغة هنا سلطة أيضاً لكنها سلطة قهرية فرضتها الظروف داخل الزنزانة.

"حفلة استقبال" = تعذيب

"وعرفنا يومها أن الأوبرج هو الاسم الذي يطلقونه على السجن الحربي. وسمعنا فيما سمعناه أن أي متهم... تقام له حفلة استقبال، وهذه الحفلة عبارة عن أن يعلق كالذبيحة تكريماً واحتفاءً بمقدمه السعيد. ثم تنهال عليه السياط والصفعات واللكمات وأقذر الشتائم والسباب" (٦) وهنا يلاحظ حدوث انتقال لدلالة اللفظ من مجال الاحتفال والفرح إلى مجال التعذيب؛ فالاحتفاء هنا بالسياط والصفعات إلخ.

"حَمَام" = حبوب مخدرة

"ومال أحدهم على أذني هامسًا: معاك حَمَام؟ فابتسمت وقلت لنفسي شحات بجح صحيح

(١) المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) مصطفى أمين: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، ١٩٩١، ص ٨٩.

(٣) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨، مادة: م ض ي.

(٤) فتحي فضل: الزنزانة، ص ٥٧.

(٥) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، مادة: ت م غ.

(٦) مصطفى أمين: سنة أولى سجن، ص ٢٠، ٢١.

جاي يشحت حمام ناقص يشترط إنه يكون محشي بالمكسرات... فابتسم بخيلاء طالب نهائي عندما يتباسط ويشرح لطالب مستجد: حمام يعني برشام صليبية<sup>(١)</sup>، "بيبيع حمام. - مش فاهم. -حبوب منع الضرب.. المساجين المطلوب منهم اعترافات ياخذوا الحباية ومهما ضربوهم ما يشعروش بالضرب واسمها حبوب (إسبراكس)<sup>(٢)</sup>". وهنا تلاحظ العلاقة المجازية بين الحمام (الطائر) والحبوب التي تضع متعاطيها تحت تأثيرها وكأنه يخلق في عالم آخر غير الواقع المحيط به.

"زبون" = مسجون جديد

"وجدت وضعي قد تحسن قليلاً إذ انضم إلينا زبون جديد استقر مكاني إلى جوار دلو البول"<sup>(٣)</sup> والزبون لغة: "من يتعامل في الشراء مع بائع واحد... كل من يستعين بمحامٍ أو طبيب أو نحوهما لقضاء حاجته"<sup>(٤)</sup> وهنا يلاحظ انتقال دلالة اللفظ مجازاً من المشتري أو صاحب الحاجة؛ وهي هنا الإقامة إلى السجين الذي يتخذ من السجن مكاناً للإقامة.

"عنبر الميري" / "عنبر الملكي" = زنزانة مميزة/ زنزانة عادية

"وعندما انتهت تلك العملية أعاد لخبطتهم من أجل تقسيم من نوع آخر: اللي عاوز يدخل عنبر الميري شمال واللي عاوز الملكي يمين. توقف لحظة محسوبة ثم تعطف فشرح المقصود بالمصطلحين: الملكي يعني تاكل وتلبس زي ما أنت عايز. والميري تلبس بدلة السجن وتاكل عيش وجبنة وتشتغل كل يوم عند بتوع الملكي"<sup>(٥)</sup> وبذلك انتقلت دلالة اللفظين "ميري وملكي" من المجال العسكري إلى لغة السجن فأصبح الملكي يعني مكان ذا امتيازات واستثناءات من النظام العام للسجن، في حين أن الميري يعني زنزانة يعامل السجين فيها بالقانون دون استثناءات في الطعام والملبس وغير ذلك.

"مزاج" = مخدرات

"سلوى: هو حضرتك قضيتك إيه؟- خوخة: مزاج- سلوى: مزاج إيه يعني؟- خوخة: مخدرات"<sup>(٦)</sup> والمزاج لغة: "مصدر مزاج: خالط، وفي علم النفس: استعداد جسمي عقلي

(١) فتحي فضل: الزنزانة، ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥.

(٣) صنع الله إبراهيم: شرف، دار الهلال، العدد ٥٧٩، مارس، ١٩٩٧، ص ٧٨.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، مادة ز ب ن.

(٥) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٤٦.

(٦) فتحية العسال: سجن النساء، ص ٨٢، ٨٣.

خاص يرجعه المحدثون إلى تأثير إفرازات الغدد الصم كالغدة الدرقية<sup>(١)</sup> وبالتالي انتقلت دلالة اللفظ من الحالة التي يصل إليها الشخص بعد تناول المخدر لتعني المخدر نفسه.

"المعلوم" = الرشوة

"السجانة: يالله يا ست إلهام روجي البسي وحضري شنطتك والحقيني بالمعلوم"<sup>(٢)</sup> والمعلوم لغة: "اسم مفعول من عَلِمَ وَعَلِمَ: عرف وأدرك"<sup>(٣)</sup> وهنا انتقل اللفظ مجازاً من الدلالة على الشيء المعلوم عموماً إلى الدلالة على الرشوة؛ فالمخاطب يدرك أن ما يرغب فيه لن يتم إلا بعد دفع هذه الرشوة.

"نظام" = متعلقات السجن التي تصرفها له الإدارة؛ البرش والبطانية

"يالله! لم عزالك بسرعة يالله شيل نزامك "نظامك"، برشك وبتانيتك وتعال بسرعة"<sup>(٤)</sup>. والنظام لغة: "مصدر نَظَمَ، على نظام واحد: على نهج واحد، عادة واحدة، نظام الأمر: قواعده وعماده... الخضوع للقوانين الحفاظ عليها"<sup>(٥)</sup> وهنا يلاحظ انتقال الدلالة من معنى النهج والعادة، والالتزام بالقانون إلى الأمتعة التي توزع على السجناء، ويمكن أن يُعزى هذا الانتقال الدلالي إلى أن هذه الأمتعة موحدة للسجناء جميعهم لها المواصفات نفسها مما يحفظ النظام الواحد داخل السجن.

"نمرة" = سرير

"تلقي النوبتجي الهدية المتواضعة من ممثل الوافدين في غير مبالاة إذ ناولها لوزيره... الذي أودعها في نشاط أحد الأكياس الغامضة المدسوسة في غياهب نمرة رئيسه"<sup>(٦)</sup> والنمرة لغة الرقم: "نمر المقاعد ونحوها: رَقْمُها، أعطى كل واحد منها نُمرة"<sup>(٧)</sup> وهنا يلاحظ انتقال اللفظ من الدلالة على رقم السرير إلى الدلالة على السرير نفسه.

١-٢- تخصيص المعنى: ويعني "تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضيق مجالها"<sup>(٨)</sup>. ومن أمثلة ذلك:

(١) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، مادة: م ز ج بتصرف.

(٢) فتحية العسال: سجن النساء، ص١٧٥.

(٣) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، مادة: ع ل م بتصرف.

(٤) يوسف إدريس: مسحوق الهمس، القصص القصيرة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٠، ص٤٥.

(٥) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، مادة: ن ظ م.

(٦) صنع الله إبراهيم: شرف، ص٥٤.

(٧) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: ن م ر.

(٨) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٢٤٥.

"الإيراد/ الوارد" = السجناء الجدد

"زجوا بهم في زنزانة الإيراد.. ولقد شغلني الاسم بعض الوقت، كان من المفروض تسميتها زنزانة الواردين أو الوافدين ولكن الإيراد معناها أننا تحولنا في نظر المسؤولين من بشر إلى شيء آخر عملة أو حبوب أو أي سلع تورّد"<sup>(١)</sup>، "عدلات تتقدم من بخيثة: إيراد جديد دي يا بخيثة؟"<sup>(٢)</sup>، "شكري: تمام يا فندم الوارد الجديد وصل. -المأمور: ودول كام واحد؟ - شكري: حوالي ١٥٠ ألف مسجون"<sup>(٣)</sup> والوارد لغة: "اسم فاعل من وَرَدَ: حضر، وصل... الصادر والوارد: ما يُرسل وما يُرد... بضاعة أجنبية تشتريها الدولة"<sup>(٤)</sup>، والإيراد لغة: "دخل، ناتج فوائد مالية أو ريع عقارات"<sup>(٥)</sup> وهنا يلاحظ تخصيص المجال الدلالي للفظين فأصبحا يطلقان على الحاضرين إلى السجن خاصة بدلاً من إطلاقهما على الوارد عموماً من بضاعة وأموال.

"التكديرة" = عقوبة

"وعاش الإخوان ثلاثة شهور فيما يسمونه التكديرة. وعملية التكديرة هذه هي مزيج من ضرب السياط والتعذيب والحرمان من البطاطين والأبراش، ومنع المصاحف، ومنع زيارات أهالي المسجونين، ومنع إرسال خطابات لأسرهم أو تلقي خطابات، ومنع شراء حاجاتهم من كانتين السجن"<sup>(٦)</sup>. والتكديرة لغة التعكير: "مصدر من الفعل كَدَّرَ أن نغص، تكدر عيش فلان: كان منغصاً، كدر عيشه: نغصه، غمه. كَدَّرَ الضابط الجندي: أوقع به عقوبة ما، كلفه بعمل شيء مرهق جزاء خطأ حدث منه"<sup>(٧)</sup>. وبالتالي حُصِّص معنى التكدير من تعكير صفو الحياة عامة إلى تعكير حياة السجين عن طريق فرض عقوبات عليه.

"التمام" = تأكيد عدد السجناء داخل الزنزانات قبل الإغلاق.

"وعاد الباشجاويش عبد الجبار يلهث ويقول إن اليوزباشي الضابط شاذلي عبد الجواد

(١) فتحي فضل: الزنزانة، ص ٧١.

(٢) فتحية العسال: سجن النساء، ص ٣٩.

(٣) إبراهيم الحسيني: سجن فايف ستارز (دفاتر العشق والخوف)، سلسلة نصوص مسرحية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط ١، ٢٠١٢، ص ٧٣.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، مادة: و ر د.

(٥) المرجع السابق، مادة: و ر د.

(٦) مصطفى أمين: سنة ثانية سجن، المكتب المصري الحديث، ط ٢، ١٩٧٥، ص ١٤٧.

(٧) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، مادة: ك د ر.

يطلب التمام على وجه السرعة، لأن لديه موعدًا مع خطيبته"<sup>(١)</sup> والتمام لغة: "مصدر تمّ، بالتمام والكمال: املاً غير منقوص، تمامًا: على وجه الكمال أو بالضبط."<sup>(٢)</sup> وبذلك خُصّصت دلالة اللفظ من الضبط والكمال بصفة عامة إلى أن أصبح مصطلحًا يعني اكتمال عدد السجناء قبل إغلاق الزنانات عليهم.

"التموين" = المخدرات

"في أقراص ثانية تودي في داهية... انفجرت عاصفة من الضحك والتهليل ضاعفها بطشة عندما روى كيف تهيأ للمعلم حنكوشة أن السلم أمامه فألقى بنفسه من الطابق الرابع ونزل حتت في فناء العنبر. والظاهر أن مصير المعلم حنكوشة كان محملاً بإغراء لا يقاوم بالنسبة لبلة وصلصة إذ أخذوا يزحفان حتى بلغا الرئاسة، وحصلوا على استنشاق، أجريا بعدها مفاوضات هامسة بشأن استمرار التموين"<sup>(٣)</sup> وتموّن الشخص: "ادخر ما يلزمه من المئونة... والتموين: المئونة؛ طعام يوزع أو يوفر لأفراد في مجموعة"<sup>(٤)</sup> وبذلك يلاحظ ما حدث للفظ من تخصيص دلالي؛ حيث أصبح يعني ما يدخره الشخص مما يلزمه من المخدرات وليس الطعام والشراب.

"السوق السوداء" = ما يبيعه السجناء لبعضهم

"ولا أفهم لماذا يمنعون دخول الشاي، بينما الشاي المطبوخ يباع في الكانتين ويقدم للمسجون باردًا وبشكل رديء، بحيث يفضل المسجون أن يصنعه بنفسه ويشتره من السوق السوداء"<sup>(٥)</sup>، والسوق السوداء مصطلح اقتصادي يعني "سوق يتعامل فيها خفية هربًا من التسعير الرسمي"<sup>(٦)</sup> فيلاحظ هنا تخصيص الدلالة حيث انتقل المصطلح من المجال العام إلى المجال الخاص بسوق السجناء فيما بينهم بعيدًا عن سلطة إدارة السجن.

"الضرائب" = سجناء بدلًا من النقود

"والسجناء لأغراض متعددة: تسديد الديون لسوزوكي، والضرائب لبطشة... فضلًا عن

(١) مصطفى أمين: لا، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص ٩.

(٢) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، مادة: ت م م.

(٣) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٥٩.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، مادة: م و ن.

(٥) مصطفى أمين: سنة ثانية سجن، ص ٢٤٣.

(٦) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، مادة: س و ق.

الاستخدام المباشر في التدخين"<sup>(١)</sup> والضرائب لغة "ما يفرض على الملّك والعمل والدخل من الفرد لصالح الدولة بصفة جبرية مساهمة منه في الأعباء العامة وتكون مباشرة بالاقتطاع من الرواتب والأجور، وغير مباشرة بفرضها على السلع والمواد الاستهلاكية"<sup>(٢)</sup> ويلاحظ هنا ما حدث للفظ من تخصيص دلالي؛ حيث أصبحت الضرائب تعني السجائر وهي العملة المعترف بها في السجون.

"طريحة" = عقوبة الضرب

"كل ليلة الساعة حذاشر اللي مكتوب لهم إفراج يعرضوا على ضابط المباحث ويروحوا والمستجدين يأخذوا الطريحة ويرجعوا الزنزانة تاني. طريحة؟ ... الطريحة إنه ياكل علاقة الاستقبال"<sup>(٣)</sup> والطريحة لغة: "كمية محددة يجب عملها مطلقاً من نسيج أو بناء أو تأليف أو نحو ذلك"<sup>(٤)</sup> إذاً هي تعني الكمية المحددة من أي شيء كان؛ وهنا خُصّص هذا الإطلاق بعقوبة الضرب أو الإهانة عامة.

٣-١ - توسيع المعنى: "وهو عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام... ويعني أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل"<sup>(٥)</sup>. ومن أمثلة ذلك:

"تخزين" = عقوبة حبس داخل الزنزانة طوال اليوم باستثناء ساعة واحدة.  
 "وتطبيقاً لنص اللائحة التي وضعت في عصر الخديوي إسماعيل، أمروا بتخزين اليانكي؛ وهو تعبير يطلق على المساحين الذين لا عمل لهم، ومن ثم ينبغي أن يلزموا الزنزانة وأن تغلق عليهم فيما عدا ساعة واحدة خلال النهار، وأدرك اليانكي أنه سقط في بئر لا قرار لها، وأن السجن الحقيقي قد بدأ الآن"<sup>(٦)</sup> ويلاحظ هنا اتساع الدلالة حيث اتسع لفظ تخزين من مجال تخزين الأشياء ليشمل تخزين الأشخاص.

"ترسو" = السجناء البسطاء

(١) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٩٢.

(٢) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، مادة: ض ر ب.

(٣) فتحي فضل: الزنزانة، ص ٣٠.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، مادة: ط ر ح.

(٥) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٢٤٣.

(٦) محمود السعدني: الولد الشقي في السجن، دار أخبار اليوم، مصر، ١٩٩٠، ص ٣٢.



"وهاج جمهور الترسو وماجوا، وطالبوا بإعادة الحركة صائحين: ارفع ارفع"<sup>(١)</sup> والترسو مصطلح مرتبط بالسينما؛ فهي تقسم إلى درجات (البلكون والصالة والترسو)، حيث يخصص البلكون والصالة لأصحاب الطبقتين العليا والمتوسطة، في حين يخصص الترسو (الدرجة الثالثة) للبطء، كذلك الحال في تقسيم درجات القطار. وبذلك يلاحظ ما حدث للفظ من اتساع دلالي؛ حيث اتسع مجال اللفظ ليشمل سجناء الدرجة الثالثة أو السجناء البسطاء.

"التليفون" = تحدث السجنين مع أهله عبر شباك السجن

"كل المسجونين يتعلقون بأيديهم في هذه النوافذ المطلّة على الشارع، ويجيء أقاربهم وأصدقاؤهم ويقفون في الشارع يتحدثون معهم طوال الليل والنهار ولكنني رفضت أن أجدأ إلى هذه الطريقة التي يسمونها التليفون. وهكذا ترى أن تليفوني في السجن هو التليفون الوحيد الذي لا يدق"<sup>(٢)</sup> فيلاحظ هنا اتساع دلالة اللفظ من مجرد دلالاته على الهاتف- وسيلة اتصال عبر جهاز - ليصبح وسيلة للاتصال بين السجنين وأهله عن طريق شباك السجن دون الحاجة لأجهزة.

## ٢- الألفاظ الجديدة: ومن أمثلة ذلك:

"أنجكة" = حَقْن المخدرات

"كنت أعرف أن الليمون يعصر على البودرة الرخيصة المخلوطة بشوائب ولا تصلح للشم لتطهيرها من التلوث قبل استخدامها في الأنجكة أي الحقن"<sup>(٣)</sup> وهنا يلاحظ توليد لفظ جديد عن طريق التعريب؛ فهو مأخوذ من اللفظ الإنجليزي *injection* بمعنى "حَقْن شخص بدواء أو أية مادة أخرى"<sup>(٤)</sup>

## ٣- استخدام الأسماء المستعارة *Nicknames, by-names*:

وهي أسماء غير رسمية، وتعد وسيلة لتصنيف الأشخاص؛ فهي "تختلف عن بقية الأسماء في وظيفتها الوصفية؛ فعلى عكس الأسماء أو الألقاب العائلية تسجل الأسماء المستعارة ملامح حقيقية لصاحبها فقد تشير إلى خصائص جسدية، أو وظيفة، أو مكان ميلاد، وقد

(١) مصطفى أمين: سنة أولى سجن، ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٣) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٤٨٩.

(٤) <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com>: injection.

تكون تهكمية تشير إلى طبع أو حدث. إن الوظيفة الأساسية لها هي تحديد الهوية، وقد وضعت لتصنف الأشخاص وتضع كلاً في منزلته. وتعد الأسماء المستعارة تعبيراً حقيقياً عن المجتمع ووسيلة لترسيم حدوده. ويعد الاسم المستعار شكلاً من أشكال السيطرة المجتمعية ووسيلة للتعبير عن قيم المجتمع، كما أنها تمثل عقوبة للانحراف<sup>(١)</sup>. ومن خصائص الأسماء المستعارة أنها: "تتمتع بعمر قصير وتتغير بمرور الوقت"<sup>(٢)</sup> ومن أمثلة ذلك في عينة الدراسة:

"أبو نجمة"= الضابط

"ننسى همومنا ونفضها سيرة بس خلي بالك من أبو نجمة يكون متخفي في شنب عيرة"<sup>(٣)</sup> وهنا يلاحظ أن الاسم المستعار يشير إلى الضابط- أياً كانت رتبته- من خلال علامة مميزة له وهي النجمة التي توجد في زيه الرسمي.

"الأوبرج"= السجن الحربي

"وعرفنا يومها أن الأوبرج هو الاسم الذي يطلقونه على السجن الحربي. وسمعنا فيما سمعناه أن أي متهم تقام له حفلة استقبال"<sup>(٤)</sup> والأوبرج هو استراحة ملكية في الفيوم تحولت إلى فندق فيما بعد، ويلاحظ هنا أن الاسم المستعار اختير من باب المجاز تهكماً.

"البغبغان"= قارئ الأخبار/ المؤذن

"وصل إلى مسامعنا صوت جهوري يأتينا من بعيد ففوجئت بالكل ينصت.. كان صوت أحد المساجين في زنزانة بعيدة بالدور الثاني.. عرفت فيما بعد أن اسمه البغبغان أطلق النزلاء عليه هذا الاسم نظراً للدور الذي يقوم به. كان يقرأ من كشف أسماء المتوجهين غداً إلى المحكمة أو النيابة أو مديرية الأمن أو المرشحين إلى السجون"<sup>(٥)</sup>، "وأذن البغبغان للصلاة وكان العدد في الزنزانة خمسة وعشرين اصطف للصلاة عشرون ولم يتخلف سوى

(1) Stephen Wilson: the means of naming, UCL press, Taylor and Francis group, 2004, p.280, 281.

(2) Daniela Cacia: Nicknames of football champions in Italy, Onomastics in Contemporary Public Space, edited by Oliviu Felecan, and Alina Bughesiu, Cambridge Scholars Publisher, 2013, p. 465.

(٣) فتحي فضل: الزنزانة، ص ١٧٢.

(٤) مصطفى أمين: سنة أولى سجن، ص ٢٠.

(٥) فتحي فضل: الزنزانة، ص ٦٢، ٦٣.

خمسة<sup>(١)</sup> والبغاء هو الطائر المعروف؛ وهنا انتقلت الدلالة بطريق المجاز من الطائر الذي له القدرة على تقليد كلام الناس إلى الشخص المسئول عن إذاعة الأخبار أو أداء الأذان، وبالتالي فإن الاسم في هذه الحالة متعلق بالوظيفة.

"بلاطة" = سارق الفرش

"عرفني النوبتجي بهم... بلاطة هو الذي يسرق كل ما يفرش على البلاط ابتداء من السجادة وما فوقها، ويستعمل في سرقاته وضح النهار وسيارة نقل يحمل فيها موبيليا وتحفاً وثلاجة وبوتاجاز وتلفزيون، بمعنى أنه يترك الشقة أو الفيلا بعد السرقة (على البلاطة)"<sup>(٢)</sup> ومن هنا جاء الاسم؛ فيلاحظ انتقال اللفظ مجازاً من الدلالة على البلاط إلى الدلالة على التخصص الدقيق في وظيفة السارق (سرقة كل ما على البلاط).

"البنج" = تاجر مخدرات

"البنج تاجر مخدرات وبرشام"<sup>(٣)</sup> والبنج لغة: "مركب كيميائي مخدر يستخلص من نباتات طبية مخدرة"<sup>(٤)</sup> إذاً فقد انتقل اللفظ من الدلالة على المركب المخدر إلى الشخص الذي يبيعه. وهنا ارتبط اسم الشخص بوظيفته.

"الرائد إدكو" = اسم ضابط

"وازن أشرف طويلاً بين الإيجابيات والسلبيات وبعد تدبر وتفكير عميقين اتخذ قراره وكان على وشك كتابة المطلوب عندما استدعاه الرائد إدكو. لم يكن هذا اسمه الحقيقي وإنما اسم شهرة"<sup>(٥)</sup> فهنا يشير الاسم المستعار إلى المكان الذي كان يؤدي فيه الضابط خدمته؛ "هو رشدي سلامة وكان رئيساً لمباحث مركز إدكو"<sup>(٦)</sup>

"زوار الفجر" = الضباط

"لن أحدثك عن حياة الجحيم التي عشتها منذ أن زارنا زوار الفجر من ١١ سنة"<sup>(٧)</sup> ويلاحظ هنا أن الاسم المستعار متعلق بالموعد الذي يأتي فيه الضباط للقبض على المتهمين.

(١) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٧.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، مادة: ب ن ج.

(٥) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٢١٠.

(٦) المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٧) مصطفى أمين: سنة أولى سجن، ص ٨٩.

"سلاكة" = من يمهد عملية السرقة للصوص.

"عرفني النوبتجي بهم... سلاكة هو الذي يقوم بتسليك الطريق وتجهيزه وتمهيده لقيام باقي أفراد العصابة بمهامهم. ويشترط فيه أن يكون ذكياً ليقاً؛ بمعنى أن يصحب الخادمة إلى السينما في رحلة غرام حتى يقوم الباقون بمهامهم"<sup>(١)</sup> يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "سلّكه المكان وبالمكان: أدخله"<sup>(٢)</sup> فالاسم المستعار هنا يشير إلى الوظيفة بعد انتقال الدلالة من الآلة إلى الشخص الذي يقوم بإدخال اللصوص إلى مكان محدد بعد إلهاء ساكنيه.

"صرصارة" = اسم شخصية دقيقة الملامح.

"اسمي عواطف بس بيدلعوني صرصارة لأنني منمنمة ومسمسة زي ما انت شايفة"<sup>(٣)</sup> وهنا يشير الاسم المستعار إلى خصائص جسدية؛ دقة الملامح.

"صلصة" = اسم سارق

"وشعر صلصة بالأمر فلزم الصمت فجأة وهو ينقل البصر بين شرف وجاره المصفوع في حدة أثارت قلقهما ودفعت شرف إلى تشغيل لسانه فسأله عن السبب في اسمه تجهم وجهه وتبرع بلحة بالإجابة: أصله من صغره غاوي يسرق علب الصلصة"<sup>(٤)</sup> فالاسم المستعار هنا يتعلق بالوظيفة السابقة للشخص.

"طفاشة" = سارق الخزائن وفتح الأبواب المصفحة

"عرفني النوبتجي بهم... طفاشة هو الذي يسرق الأشياء التي تحتاج إلى عنف ككسر أقفال الخزن الحديدية والأبواب المصفحة"<sup>(٥)</sup> وهنا انتقلت الدلالة من الأداة التي يستخدمها السارق إلى السارق نفسه؛ وبذلك ارتبط الاسم بوظيفة الشخص.

"قشاش" = اللص الخائب.

"قشاش: هو الحرامي الخائب الذي يسرق السهل الرخيص. دجاجة من أمام منزل، غسيل منشور في دور أرضي... وعادة يكون نشاطه في الشارع ارتجالاً دون متابعة أو تحر أو

(١) فتحي فضل: الزنزانة، ص ١٨٨.

(٢) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، مادة: س ل ك.

(٣) فتحية العسال: سجن النساء، ص ٤٧.

(٤) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٦٠.

(٥) فتحي فضل: الزنزانة، ص ١٨٧.

تخطيط مسبق وهو محل استخفاف واحتقار من الفئات الأخرى من اللصوص.. فقد قدم لي أحدهم نفسه على أنه منشار ولكن زميلاً آخر غمز لي بعينه ومط شفثيه وهمس لي في استهانة: كذاب ده حته قشاش لا هنا ولا هناك<sup>(١)</sup> والقش لغة الجمع "قشَّ الإنسان: جمع من هنا وهناك"<sup>(٢)</sup> فالاسم المستعار يشير هنا إلى وظيفة صاحبه وهي جمع ما يقع في طريقه دون تخطيط.

"قفل" = حارس بالسجن

"وأحضروا لي حارسًا من أشد حراس السجن، ويسمونه قفل لأنه لا يتفاهم مع أحد، ولا يقبل مناقشته"<sup>(٣)</sup> وهنا يشير الاسم المستعار إلى الوظيفة؛ فقد انتقلت الدلالة من أداة الإغلاق إلى الشخص المسئول عن إغلاق الزنزانة، كما أنها كناية عن تجرد هذا الشخص وانغلاقه في تعامله مع الآخرين.

"كعب داير" = اسم سجين

"وشرح لي كعب الداير أن المجرمين يأخذونه قبل العرض على ضابط المباحث ليساعدتهم على تحمل التعذيب"<sup>(٤)</sup> ومصطلح كعب داير في لغة السجن "أسلوب في التحري عن حقيقة الشخص؛ أن يرحل من محافظة إلى أخرى حتى يمر بكافة المحافظات تحت الحراسة وبأوراق تسأل: هل تعرفون هذا الشخص؟ فترد كل محافظة بأنه ليس لديها أي معلومات تخص المذكور، وهكذا حتى يعود إلى نفس القسم"<sup>(٥)</sup> وبهذا فإن الاسم المستعار يشير إلى النظام الذي يُتَّبَع في التحري عن السجين، مما يعني أن اللفظ انتقل مجازًا من النظام إلى الشخص الذي يجوب أنحاء الجمهورية حتى يثبت أنه ليس مطلوبًا على ذمة قضية. ويلاحظ أيضًا ما يعكسه المجاز من ثقل الحال على الشخص الذي يطبق عليه هذا النظام؛ فالاسم يصور الكعب في صورة مركز الشخص في حين يدور حول نفسه دورة كاملة.

"المتاوي" = من يُخفي المسروقات عنده.

(١) المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٢) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، مادة: ق ش ش.

(٣) مصطفى أمين: سنة ثانية سجن، ص ٢٢٨.

(٤) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٣٦.

(٥) فتحي فضل: الزنزانة، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

"عرفني النوبتجي بهم... متاوي: هو الذي يخفي المسروقات تحت ذمة سارقها لحين الاتفاق مع مداوي لترويجها أي أنه صاحب مخزن لحفظ المسروقات بالأجر"<sup>(١)</sup> وهنا حدث تخصيص لدلالة اللفظ من الإيواء بصفة عامة إلى إيواء المسروقات لفترة محددة، وأصبح الاسم المستعار يشير إلى هذه الوظيفة.

"المخزنجي" = حارس يُدخل الممنوعات إلى السجن.

"البرشامة الصليبية كانت تجيني باتتين جنيه أبيعها بأربعة. -إزاي كانت بتوصل لك؟ - مع المخزنجي. -مش فاهم مين هو المخزنجي؟ - فيه حراس بتخزن يعني تحط المخدرات في بالونة وتلبسها لغاية ما تمر من بوابات السجن. والعسكري اللي بيلبس بيبقى معروف في السجن وبيسموه المخزنجي وله على كل تخزينة عشرين جنيه"<sup>(٢)</sup> وهنا استمد الحارس اسمه المستعار من وظيفته؛ حيث يقوم بتخزين الممنوعات وبيعها للسجناء.

المداوي = مصرّف البضاعة المسروقة.

"عرفني النوبتجي بهم... مداوي هو الذي يتلقى المسروقات من اللصوص ويقوم بترويجها وبيعها"<sup>(٣)</sup> والمداواة لغة: "فن العلاج وتصحيح الخطأ أو العيب"<sup>(٤)</sup> وهنا انتقل اللفظ من مجال الطب ومداواة المرض إلى مجال الجريمة؛ وبالتالي أصبح الاسم المستعار يشير إلى وظيفة الشخص الذي يداوي الجريمة ويخفي أثرها.

"مقص" = لص متخصص في سرقة المجوهرات.

"عرفني النوبتجي بهم... مقص، هو الذي يسرق من المحلات العامة والمعارض... وهو عادة يقص ما غلى ثمنه وخف حمله؛ خاتم، ساعة، ولاعة ذهب، عقد، حلق"<sup>(٥)</sup> ويشير الاسم المستعار هنا إلى وظيفة صاحبه؛ حيث انتقلت دلالة اللفظ مجازاً من الأداة إلى الشخص القائم بوظيفتها في قص المجوهرات.

"المفتاح" = اللص الذي يستخدم المفتاح في دخول المنازل.

"عرفني النوبتجي بهم... مفتاح هو لص جنتلمان يدخل من الباب ويستعمل مجموعة من

(١) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، مادة: د و ي.

(٥) فتحي فضل: الزنائة، ص ١٨٨.

المفاتيح دون اللجوء للمواسير أو المناور أو كسر شراعة أو شباك<sup>(١)</sup> وهنا يشير الاسم المستعار إلى وظيفة الشخص؛ حيث انتقلت الدلالة من الإشارة إلى الأداة مجازاً إلى الإشارة إلى الشخص الذي يستخدمها.

"ملقاط" = مساعد اللص المتخصص في الاختفاء بالمسروقات من الشرطة.

"عرفني النوبتجي بهم... ملقاط زميله الذي يلتقط المسروقات ويعرف كيف يزوغ بها من أعين رجال الشرطة في رحلة الرجوع"<sup>(٢)</sup> والملقاط لغة: "اسم آلة من لقط؛ أداة تستعمل لالتقاط الأشياء الصغيرة"<sup>(٣)</sup> وهنا يشير الاسم المستعار إلى وظيفة الشخص؛ حيث انتقلت دلالة اللفظ من الإشارة إلى اسم الآلة إلى الدلالة على الشخص نفسه مجازاً لقيامه بمهمة الآلة وهي التقاط المسروقات وإخفائها.

"منشار" = لص الخزائن الخشبية.

"عرفني النوبتجي بهم... منشار، هو حرامي الأشياء الثمينة؛ ما خف حمله وتقل ثمنه، وهذه الأشياء تحفظ عادة في خزائن فيستعمل المنشار وأدوات أخرى في فتحها"<sup>(٤)</sup> ويشير الاسم المستعار هنا إلى وظيفة صاحبه؛ حيث انتقلت دلالة اللفظ مجازاً من الأداة إلى الشخص القائم بوظيفتها في نشر الخزائن الخشبية وسرقة ما تحويه.

"النشرة" = السجين مذيع الأخبار.

"لم يتأخر دور شرف في مساعدة النشرة على إعالة نفسه وعياله"<sup>(٥)</sup> والنشرة لغة "بيان يكتب وينشر في إحدى وسائل الإعلام... نشرة الأخبار: ما يقرأه المذيع في الراديو والتلفاز"<sup>(٦)</sup> إذاً انتقلت دلالة اللفظ من الشيء الذي يذيعه الشخص إلى الشخص نفسه.

#### ٤- التراكيب:

٤-١- **التعبيرات الاصطلاحية Idioms**: وهو "نمط تعبيرى خاص بلغة ما يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو أكثر، تحولت عن معناها الحرفي إلى معنى مغاير

(١) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٣) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، مادة: ل ق ط.

(٤) فتحي فضل: الزنزانة، ص ١٨٩.

(٥) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ٩٢.

(٦) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، مادة: ن ش ر.

اصطلحت عليه الجماعة اللغوية<sup>(١)</sup> والجماعة اللغوية في هذه الدراسة هي مجموعة السجناء . ومن أمثلة ذلك:

"تجارة الهواء / سوق الهواء"

"وأسرع الحراس يغلقون الزنانات، وهنا بدأت تجارة الهواء! إنها أغرب تجارة في الدنيا؛ الهواء مجاني في كل مكان في العالم، أما في السجن فإنه يباع بثمن .. خمس دقائق من الهواء تساوي سيجارة .. عشر دقائق تساوي سيجارتين... إن الموعد المقرر للإفقال هو الساعة السادسة بعد الظهر. الساعة الآن الثالثة. الفرق بين هذه الساعات هو موعد سوق الهواء. إن المسجون القادر من حقه أن يستمتع بالهواء النقي حتى موعد الإفقال الرسمي. المسجون المعدم يغلق عليه الباب مع صفارة الباشجاويش عبد الجبار"<sup>(٢)</sup> والتعبير يستخدم للدلالة على الدفع للحراس لإطالة وقت فسحة السجنين.

"زمايل قروانة واحدة"

"إجلال احنا زمايل قروانة واحدة وماينفعش ننكر بعض"<sup>(٣)</sup> والزميل لغة "الرفيق"<sup>(٤)</sup>، وهو تعبير يستخدم للدلالة على عمق العلاقة بين السجناء نتيجة لطول العشرة في السجن. "زميل البرش"

"إلى الأسطى عوض زميل البرش الذي ساعدني في تهريب هذه المنكرات من السجن فكتب لها شهادة ميلاد"<sup>(٥)</sup> والبرش "حصير صغير من سعف النخل يُجلس عليه ويكون في السجن عادة"<sup>(٦)</sup>، ويستخدم التعبير للدلالة على قوة العلاقة وطول العشرة بين السجناء. "طقس العروسة"

" فعندما بلغوا السجن... احتجزوهم في قاعة الاستقبال دونما إيضاح كي لا يعبروا الفناء الذي حجز لطقس العروسة، ومن كوة صغيرة مسورة رأى أشرف مشهدًا سينمائيًا: مائدة مغطاة بمفرش أحمر اللون يجلس خلفها ثلاثة ضباط مهيبو المنظر... وأمامهم هيكل خشبي غريب عبارة عن قائم منفرج الساقين ينتهي من أعلى بذراعين تتوسطهما دائرة

(١) د. كريم زكي حسام الدين: التعبير الاصطلاحي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٥، ص٣٤.

(٢) مصطفى أمين: لا، ص٨.

(٣) إبراهيم الحسيني: سجن فايف ستارز، ص٨٨.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، مادة: ز م ل.

(٥) فتحي فضل: الزنانة، ص٤.

(٦) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، مادة: ب ر ش.



مفرغة. إلى جوار الهيكل الصليبي وقف أحد السجناء بين اثنين من الحراس" (١) والطقس مصطلح ديني يعني "نظام وترتيب، وأكثر ما يستعمل لنظام الخدمة الدينية أو شعائرها واحتفالاتها" (٢) ويلاحظ هنا ما حدث للفظ من اتساع دلالي حيث أصبح يشمل ممارسة نظام محدد في مجالات متنوعة منها نظام السجن. أما لفظ العروسة فهو مجاز من شكل الهيكل الخشبي، ويستخدم التعبير للدلالة على نوع من أنواع العقوبات في السجن.

٤-٢- عبارات التلطيفية Euphemisms: وهي "العبارات التي تشير إلى شيء يتردد الناس في ذكره؛ خشية التسبب في الإساءة، ولكنها تقلل من العدوانية عن طريق الإشارة إلى ذلك الشيء بشكل غير مباشر. ومن الموضوعات الشائعة التي تُستخدم فيها التعبيرات التلطيفية: النشاط الجنسي، والأعضاء الجنسية، والوظائف الجسدية مثل، التغوط، والتبول، والموت، والجوانب الدينية، والمالية. ويعد التعميم والكناية والاستعارة من الإستراتيجيات الرئيسة للتلفظ" (٣) ويعرفها الدكتور أحمد مختار عمر بأنها: "إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولاً" (٤) ومن أمثلة ذلك:

"الذي منه"

"السجانة: إيدك الأول على الذي منه ورقة صحيحة- إلهام: فيه إيه؟- السجانة: إفراج يا حبيبي" (٥) وهي عبارة تلطيفية كناية عن الرشوة.

"الشيء الفلاني"

"إنصاف: ويوم ورا يوم بدل ما تنضفي أوضته سمعتي كلامه وعملتي الشيء الفلاني وكنت أنا بأقف أحرس لكم الشقة" (٦) فهي عبارة تلطيفية كناية عن ممارسة الرذيلة.

"اعملوا زي الناس"

"السجانة: خشوا اعملوا زي الناس" (٧) وهي عبارة تلطيفية كناية عن قضاء الحاجة.

(١) صنع الله إبراهيم: شرف، ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، مادة: طق س.

(٣) Alan Cruse: A Glossary of Semantics and Pragmatics, Edinburgh University Press, 2006, p.57, 58.

(٤) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص ٢٤٠.

(٥) فتحية العسال: سجن النساء، ص ١٧٤.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٤.

(٧) المصدر السابق، ص ٦٤.

٤-٣- الأمثال: والمثل هو "كل حكمة سائرة، من قولك: هذا مثل الشيء ومثله، كما تقول شِبْهُهُ وَشَبَّهَهُ"<sup>(١)</sup> ومن أمثلة ذلك:

"الداخل مفقود والخارج مولود"

"شيء واحد لفت نظري في الزنازين شعارات مكتوب أغلبها بالطباشير كتبها سجناء عاشوا هنا يوماً ورحلوا وكل من يأتي يضيف: الداخل مفقود والخارج مولود... ياما في الحبس مظالم"<sup>(٢)</sup> وهو يضرب ليعبر عن مدى ما يقاسيه السجين في هذه التجربة مما يجعل النجاح في الخروج منها ميلاً جديداً.

"ياما في الحبس مظالم"

"شيء واحد لفت نظري في الزنازين شعارات مكتوب أغلبها بالطباشير كتبها سجناء عاشوا هنا يوماً ورحلوا وكل من يأتي يضيف: الداخل مفقود والخارج مولود... ياما في الحبس مظالم"<sup>(٣)</sup> وهو يضرب ليعبر عن كثرة من يدخلون السجن ظلمًا.

٤-٤- العبارات المسجوعة: والسجع هو "توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد"<sup>(٤)</sup>

ومن أمثلة العبارات النثرية المسجوعة: "تهمة من غير دليل.. تفة في منديل - الذل في ضعف النفوس قدام الفلوس - إوعى تنسى هذا المكان.. مهما طال بك الزمان"<sup>(٥)</sup>، "خليها توبة وروحة بلا أوبة - لما ترؤج حاسب، وافكر دايمًا إن وراك محاسب - سلم لي على الحبايب وبلغهم إني تايب ودايب"<sup>(٦)</sup>

ويلاحظ هنا أن العبارات تتخذ طابع الحكم والمواعظ، كما يلاحظ استخدام السجع المطرف في العبارات الأولى والخامسة والسادسة؛ حيث اختلفت ألفاظ الفواصل وزناً واتفقت رويًا. كما استخدم السجع المتوازي في العبارات الثانية والثالثة والرابعة؛ حيث اختلفت ألفاظ الفواصل وزناً ورويًا.

(١) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج١، ص١١.

(٢) فتحي فضل: الزناينة، ص٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص٣٥.

(٤) د. عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، ص٢١٥.

(٥) فتحي فضل: الزناينة، ص٣٥.

(٦) المصدر السابق، ص٩٢، ٩٣.

**٥- استخدام الشعر في تصنيف السجناء إلى فئات وفقاً لجرائمهم:**

ف نجد لكل فئة من السجناء نشيداً وطنياً؛ فمن نشيد اللصوص:

"احنا ولاد سنة ألفين

احنا اللي سرقنا الكحل من العين

الحلوة اتكحلت وقالت هات

فكان لازم نحرت من غير محرات...

أصل السرقة خفة يد

لكن السؤال مذلة وإهانات

يا بخته اللي يفتح خزنة

من غير شبهة ولا تحقيقات

والشاطر يعملها ويهرب

من غير أثر ولا بصمات"<sup>(١)</sup> ومن نشيد زنزانه الآداب:

"ده راجل وله بيت.. ويبص لحريم تاني

إتجوز وشبع.. ورجع للحرام تاني

يستحق الأدب.. مافيش كلام تاني...

تاخذ حريم غيرك ليه يا وحش يا أناني

ده فعل فاضح.. وتصرف مش إنساني"<sup>(٢)</sup>

ويلاحظ هنا خصوصية المصطلح في نشيد كل فئة؛ فمثلاً نجد في نشيد اللصوص

مصطلحات متعلقة بالمجال مثل: سرقة، خفة يد، خزنة، تحقيقات، بصمات. في حين نجد

في نشيد الآداب مصطلحات مثل: الحرام، فعل فاضح. كما يلاحظ أيضاً وجود طابع

الحكمة والعظة في هذه الأناشيد.

وبعد العرض السابق لظاهرة اللغة المضادة في السجون يتبين أن:

- اللغة المضادة تبرز العلاقة بين اللغة والبنية الاجتماعية؛ لأنها ترتبط ارتباطاً

وثيقاً بالبيئة المحيطة بها؛ وقد ظهر ذلك من خلال لغة السجون حيث إن لها

(١) المصدر السابق، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦، ١٧٧.

- مرجعية تشير إلى بنية اجتماعية بديلة.
- لغة السجون ليست مقتصرة على السجناء، فهي تشمل كل من في هذه الدائرة؛ فنجد المسئولين عن السجناء يعرفون الأسماء المستعارة لبعض السجناء، كما يعرفون الأسماء المستعارة لوسائل التواصل غير المشروعة بين السجناء وذويهم مثل "التليفون"- وهو حديث السجناء مع ذويهم عبر نافذة في السجن- بل منهم من يشرف على هذه العملية مقابل النقود، ومنهم من يشارك في إدخال الممنوعات فيُعرف لدى الجميع باسم محدد مثل "المخزنجي" وهو حارس يُدخل الممنوعات إلى السجن. وهذا ما يؤكد رأي هاليداي في أن السرية تمثل خاصية إستراتيجية للغات المضادة، لكن من غير المرجح أن تكون السبب الرئيس في وجودها.
  - إعادة الصياغة أو المَعْجَمَة Relexicalization التي عدّها اللغويون الغربيون من سمات اللغة المضادة، التي تتم عن طريق استخدام كلمات جديدة لتحل محل الكلمات القديمة أو استخدام كلمات قديمة لتمثيل معاني جديدة، لا تختلف عما أسماه الدكتور أحمد مختار عمر الابتداع innovation أو الخلق creativity وهو من أسباب تغير المعنى<sup>(١)</sup>.
  - من أشكال تغير المعنى التي وردت بعينة الدراسة: نقل المعنى (١٢ لفظاً)، ثم تخصيص المعنى (٧ ألفاظ)، ثم توسيع المعنى (٣ ألفاظ).
  - المجاز يشكل ركناً أساساً من أركان اللغة المضادة وقد ظهر ذلك في تغير معنى الألفاظ، واستخدام الأسماء المستعارة والتعبيرات الاصطلاحية والتلطيفية.
  - الألفاظ الجديدة كانت نادرة في الأعمال عينة الدراسة؛ فلم تجد الباحثة سوى لفظ "أنجكة" وهو توليد عن طريق التعريب؛ فهو مأخوذ من اللفظ الإنجليزي *injection*.
  - هناك بعض الظواهر الدلالية الناتجة عن اختلاف جنس السجين؛ فمثلاً نجد الأسماء المستعارة للرجال مرتبطة بأدوات يستعملها الرجل مثل "المنشار

(١) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ٢٤١.

- والمقص"، في حين أن أسماء النساء جاءت من البيئة المحيطة بهن في المنزل مثل "الصرصار".
- استخدام العبارات التلطيفية جاء على لسان السجينات في مسرحية سجن النساء، مثل: "الذي منه"، "الشيء الفلاني"، ولم تجد الباحثة في الأعمال الأدبية الخاصة بالسجناء من الرجال عبارات من هذا النوع، بل وجدت بعض الألفاظ المحظورة taboo التي ترفعت عن ذكرها في الدراسة.
- هناك بعض الظواهر الدلالية الناتجة عن اختلاف السجن في الروايات؛ فنجد أن هناك ترادفًا بين لفظ "نشرة" في سجن صنع الله إبراهيم، ولفظ "بغبغان" في سجن فتحي فضل، مما يضفي خصوصية على لغة كل سجن وفقًا لاصطلاح من فيه على ذلك. كذلك نجد ترادفًا بين لفظ "الترسو" في السجن الحربي - إشارة إلى سجناء الدرجة الثالثة من البسطاء - ولفظ "ميري" في سجن صنع الله إبراهيم، وترادفًا بين لفظ "طريحة" المستخدم في حجز القسم، و"حفل الاستقبال" المستخدم في السجن، وترادفًا بين الألفاظ (إيراد - وارد - زبون) بمعنى السجين الجديد.
- أغلب الأسماء المستعارة جاء نتيجة الربط بين الشخص ووظيفته التي كان يشغلها قبل السجن؛ مما يؤكد دور الخلفية الاجتماعية في الحياة داخل السجن، فنجد من الأسماء: "الملقاط والمناول والمقص"، وهناك أيضًا أسماء لوظائف استُحدثت داخل السجن، مثل "النشرة والبنج". أما بقية هذه الأسماء فكانت مرتبطة إما بمكان مثل "الرائد إدكو"، وإما بالخصائص الجسدية مثل "صرصار".
- استخدام الأسماء المستعارة لدى السجناء الرجال أكثر منه لدى السجينات.
- تنوع الجنس الأدبي للأعمال عينة الدراسة قد انعكس على كم الألفاظ والعبارات المستخدمة؛ فنجد أن نصيب الروايات منها يأتي في المرتبة الأولى بـ (٥٢ لفظًا وعبارة) ويرجع ذلك إلى المساحة التي تعطيها الرواية للكاتب، وتأتي المسرحية في المرتبة الثانية بـ (١١ لفظًا وعبارة)، ثم القصة القصيرة والسيرة في المرتبة الثالثة (بلفظ واحد لكل منهما). كما أتاحت الرواية فرصة للكاتب لعرض ظواهر لغوية متنوعة، مثل استخدام الشعر أناشيد خاصة بكل فئة من السجناء، ونقل

- الأمثلة والشعارات المستخدمة في السجن. كذلك أسهم تعدد شخصيات الرواية في بيان ظاهرة الأسماء المستعارة مقارنة بالقصة القصيرة والمسرحية.
- ترتيب الأعمال الأدبية عينة الدراسة تاريخياً أوضح نشر معظمها في فترات زمنية متقاربة باستثناء رواية سنة ثانية سجن لمصطفى أمين (١٩٧٥)، ومسرحية سجن فايف ستارز لإبراهيم الحسيني (٢٠١٢)، ومع ذلك استخدمت اللغة المضادة في الأعمال جميعها بنسب متقاربة باستثناء رواية الزنزانة لفتحي فضل؛ فكانت على الترتيب كالآتي: سنة ثانية سجن (١٩٧٥): ٣ ألفاظ - مسحوق الهمس (١٩٩٠): لفظ - الولد الشقي في السجن (١٩٩٠): لفظ - لا (١٩٩١): لفظان - سنة أولى سجن (١٩٩١): ٦ ألفاظ - سجن النساء (١٩٩٣): ٩ ألفاظ - الزنزانة (١٩٩٣): ٢٩ لفظاً وعبارة - شرف (١٩٩٧): ١٢ لفظاً - سجن فايف ستارز (٢٠١٢): لفظان.
- الدراسة كشفت عن الجانب الإبداعي في لغة السجناء من خلال استخدامهم العبارات المسجوعة والأناشيد التي تشتمل على الحكمة والموعظة.

### المصادر والمراجع

#### أولاً: المصادر:

- ١- إبراهيم الحسيني: سجن فايف ستارز (دفاتر العشق والخوف)، سلسلة نصوص مسرحية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠١٢.
- ٢- صنع الله إبراهيم: شرف، دار الهلال، العدد ٥٧٩، مارس، ١٩٩٧.
- ٣- فتحي فضل: الزنزانة، مكتب النيل للطبع والنشر، ط١، ١٩٩٣.
- ٤- فتحية العسال: سجن النساء، مسرحية من فصلين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.
- ٥- محمود السعدني: الولد الشقي في السجن، دار أخبار اليوم، مصر، ١٩٩٠.
- ٦- مصطفى أمين: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، ١٩٩١.
- ٧- —: سنة ثانية سجن، المكتب المصري الحديث، ط٢، ١٩٧٥.
- ٨- —: لا، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

- ٩- يوسف إدريس: مسحوق الهمس، القصص القصيرة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٠.

### ثانياً: المراجع العربية:

- ١- د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨.
- ٢- —: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨.
- ٣- أسامة محمد علي حسين: اللغة والسرد في رواية السجون التشكيل والوظيفة عند (أيمن العتوم- صنع الله إبراهيم) دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٧.
- ٤- د. باكالا، محمد حسن ، د. صيني، محمود إسماعيل ، وآخرون: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
- ٥- رأفت حمدونة: أدب السجون التعريف والمميزات، مقال بجريدة دنيا الوطن، ٢٤/١/٢٠١٦،  
<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.html>
- ٦- د. رشا صالح: أدب الأسوار العالية بين الأدب العربي والأدب الفرنسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، يوليو، ٢٠٠٨.
- ٧- سكينه قدور: الحبسيات في الشعر العربي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧.
- ٨- د. عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٩- أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- ١٠- كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٤.
- ١١- د. كريم زكي حسام الدين: التعبير الاصطلاحي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٥.
- ١٢- ممدوح عدوان: حيونة الإنسان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط٢، د.ت.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Alan Cruse: A Glossary of Semantics and Pragmatics, Edinburgh University Press, 2006.
- 2- Blake, Barry J: secret language, Oxford university press, 2010.
- 3- Connie Eble: slang and antilanguage, sociolinguistics- an international handbook of the science of language and society, edited by: Herausgegeben Von, Herbert Ernst Wiegand, Walter de Gruyter Berlin, vol.1, second edition.
- 4- Daniela Cacia: Nicknames of football champions in Italy, Onomastics in Contemporary Public Space, edited by Oliviu Felecan, and Alina Bughesiu, Cambridge Scholars Publisher, 2013.
- 5- Halliday, M. A. K.: Anti-Languages, American Anthropologist, 1976, Vol. 78, No.3.
- 6- Hartmann, R.R.K., James, G.: Dictionary of lexicography, taylor & francis group, 1998.
- 7- Natalie Lefkowitz ,John Hedgcock: anti- language: linguistic innovation, identity construction, and group affiliation among emerging speech communities, multiple perspectives on language play: edited by: Nancy Bell, volume 1, De Gruyter, 2016.
- 8- Shi Baihui, Li Fengjie. The Analysis of Anti-language from the Perspective of Current Situation of Netspeak. International Journal of Language and Linguistics. Vol. 5, No. 2, 2017.
- 9- Stephen Wilson: the means of naming, UCL press, Taylor and Francis group, 2004.
- 10- Wu Haibin: Anti-language and Anti-language Group, Journal of South China, University of Technology (Social Science Edition). 2013(03).



تداولية الطلب والرفض في التفاوض السياسي  
مراسلات الحسين - مكماهون نموذجًا

د. نورهان عبدالرؤف أحمد

مُدْرِسَة الدراسات اللغوية بقسم اللغة العربية

كلية الألسن، جامعة عين شمس

[nourhanabdelraouf@alsun.asu.edu.eg](mailto:nourhanabdelraouf@alsun.asu.edu.eg)

doi: 10.21608/jfpsu.2021.94135.1131

## تداولية الطلب والرفض في التفاوض السياسي

### مراسلات الحسين - مكماهون نموذجًا

#### مستخلص

يقوم هذا البحث على التحليل التداولي لعشر رسائل تدولت إبان الحرب العالمية الأولى بين شريف مكة الحسين بن علي والمندوب السامي البريطاني في القاهرة هنري مكماهون، حول قيام دولة عربية موحدة مستقلة؛ بغرض الكشف عن تأثير لغة التفاوض السياسي في رسم ملامح تاريخ العرب الحديث.

وهو ينقسم إلى قسمين: الأول نظري يشرح المفاهيم التداولية الأساسية للدراسة، وأبرزها: نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها جون أوستن وطورها جون سيرل، ومبدأ التأدب القائم على مفهومي الوجه الإيجابي والوجه السلبي وفقًا لدراسة براون وليفنسون، والمبدأ التعاوني الذي حدد قواعده باول جرايس. والقسم الثاني تطبيقي يحلل الرسائل تداوليًا بشكل متتالي.

ينطلق البحث من حقيقة أن كلاً من فعلي الطلب والرفض له جانب مهدد لوجهي المرسل والمرسل إليه، ومن فرضية أن كلا الطرفين يسعى إلى التعامل مع ذلك التهديد بما يخدم مصالحه السياسية، فيستغله أو يتجنبه، ويدفعه عن نفسه أو يعض الطرف عنه وفقًا لتقديره لتلك المصالح، في إطار شكلي من التعاون قد يُنتهك مضمونه التعاوني خلال التفاوض.

**الكلمات المفتاحية:** الأفعال الكلامية، مبدأ الوجه، المبدأ التعاوني، الثورة العربية الكبرى، القضية الفلسطينية.

# The Pragmatics of Request and Refusal in Political Negotiation Hussein-McMahon Correspondence as an Example

Dr. Nourhan Abdel Raouf Ahmed  
Lecturer at the Department of Arabic Language  
Faculty of Al Alsun, Ain Shams University

## Abstract

This article pragmatically studies ten letters exchanged during World War I, between Hussein ibn Ali, emir of Mecca, and Sir Henry McMahon, British high commissioner in Egypt, concerning the formation of an independent united Arab state. The article aims to explore the effect of the political language on shaping the features of modern Arab history.

It consists of two parts: A theoretical part, which explains the basic pragmatic concepts of the study (mainly speech acts theory, politeness principle, and cooperative principle). And a practical part, which pragmatically analyzes the letters.

It assumes that the sender as well as the addressee deal with the face-threatening aspects of the request act and the refusal act according to their political interests, within a cooperative frame, which may be violated in turn during the negotiation.

**Keywords:** Speech acts, Face principle, Cooperative principle, Great Arab Revolt, Palestinian issue.

**مقدمة:**

هل يمكن للغة أن تغير مسار التاريخ؟ قد يكون في الإجابة بـ"نعم" على هذا السؤال قدر كبير من المبالغة... وقد لا يكون! إن بعض استعمالات اللغة وتطبيقاتها يملك قدرة هائلة على تغيير مواقف الأفراد والجماعات، وإعادة تشكيل سُلّم أولوياتهم... على حل بعض القضايا النزاعية الشائكة، وترك بعضها معلقاً مقلقاً لسنوات... لقرون... وربما إلى الأبد.

هذه الدراسة تستكشف جانباً من تأثير لغة التفاوض السياسي في رسم ملامح تاريخ العرب الحديث، بل وجغرافياهم كذلك، من خلال التحليل التداولي لعشرة من النصوص الوثائقية تُشكّل رسائل تدولت إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) بين شريف مكة الحسين بن علي والمندوب السامي البريطاني في القاهرة هنري مكماهون، حول قيام دولة عربية موحدة مستقلة.

اقتضت محاولة رصد الاستعمالات اللغوية واستجاباتها التحليل المتوالي لكل رسالة على حدة، سبقه قسم نظري فيه تعريف مختصر بمادة الدراسة وسياقها، وعرض للمفاهيم التداولية الأساسية التي اعتمدت الدراسة على تطبيقها.

**القسم النظري:****أ. مراسلات الحسين - مكماهون: السياق وأطراف التفاوض:**

سلسلة من الرسائل المتبادلة خلال الحرب العالمية الأولى - تحديداً في عامي ١٩١٥ و ١٩١٦م -، بين الحسين بن علي شريف مكة - ملك الحجاز فيما بعد - والمندوب السامي البريطاني في مصر آنذاك هنري مكماهون Vincent Arthur Henry McMahon<sup>(١)</sup>.

كانت الحكومة العثمانية قد عينت الحسين بن علي أميراً لمكة عام ١٩٠٨م

<sup>١</sup> - الحسين بن علي: شريف مكة، ١٩٠٨ - ١٩١٧م، وملك الحجاز ١٩١٧ - ١٩٢٤م، توفي ١٩٣١م.  
- هنري مكماهون: المندوب السامي البريطاني في مصر ١٩١٥ - ١٩١٧م، توفي ١٩٤٩م.  
بين الحسين ومكماهون العديد من المراسلات، لكن الأساسية منها التي تُقصد عادةً ويُعتد بها بوصفها وثائق سياسية هي الرسائل العشرة المحددة في هذه الدراسة.  
ونصوص الرسائل متاحة في أكثر من كتاب وأكثر من موقع إلكتروني، منها موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية: [www.palestine-studies.org](http://www.palestine-studies.org)

للإشراف على المناطق المقدسة في مكة والمدينة، وإدارة شؤون الحج، تحت مظلة الحكم العثماني. وتزامن تعيينه مع الاضطرابات التي وقعت في تركيا وأدت في النهاية إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(١)</sup>. لم يثق الحسين بالدولة العثمانية، وسعى إلى الحصول على الدعم البريطاني من أجل الاستقلال العربي عنها؛ فبادر إلى التواصل مع المندوب السامي البريطاني في مصر.

لم تتحمس بريطانيا في البدء للتحالف مع الحسين، لكنها أدركت بعد دخول العثمانيين الحرب ضدها القيمة الاستراتيجية التي تحققها لها الشراكة مع حليف مسلم. وقد نوقش عبر المراسلات مسألة الدعم البريطاني لإنشاء دولة عربية مستقلة معارضة للدولة العثمانية، في مقابل خوض العرب الحرب إلى جانب بريطانيا. في المحصلة لم تخرج المراسلات باتفاقات نهائية، ووُضعت قضاياها جانبًا للتفاوض في وقت لاحق، وتناقص ما جاء فيها مع ما تم بالفعل فيما بعد بموجب اتفاقية ساكس-بيكو ووعدها بلفور، في ظل خلاف كبير بين السياسيين العرب والبريطانيين حول تفسير فقراتها، ولا سيما فيما يخص فلسطين.

لكن الحسين كان قد وثق وقتها في الدعم البريطاني له، وأعلن على إثر هذه الرسائل قيام الثورة العربية ("الكبرى" - كما سميت آنذاك -) ضد الحكم العثماني. نجحت الثورة في السيطرة على بعض المناطق في الحجاز والشام والعراق، لكنها اصطدمت فيما بعد بالمصالح الفرنسية، والتخلي البريطاني<sup>(٢)</sup>.

كانت هذه المراسلات تُتبادل رسمياً باللغة العربية، بما في ذلك رسائل مكماهون التي كان يصوغها أحد موظفي مكتب الترجمة التابع للاعتماد البريطاني بالقاهرة، ويراجعها هنري ستورس Ronald Henry Amherst Storrs معاون مكماهون<sup>(٣)</sup>.

١ - احتجاجات حركة تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ١٩٠٨م. وقد خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م، وتوفي ١٩١٨م.

٢ - [www.britannica.com/topic/Husayn-McMahon-correspondence](http://www.britannica.com/topic/Husayn-McMahon-correspondence).

٣ - Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*. Cambridge University Press, digital print 2010 (first published 1976), p. 177.

وستورس هو أحد مسؤولي وزارة المستعمرات البريطانية، والسكرتير الشرقي لبريطانيا في القاهرة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٧م، كانت اتصالات مكماهون بالحسين تجري تحت إشرافه، ويرد اسمه في الرسائل "استورس".

## ب. مفاهيم تداولية أساسية:

## ١. نظرية الأفعال الكلامية:

وفقًا لجون أوستن John Austin يمكن أن يُنجز الفعل الكلامي عمومًا إما بشكل صريح explicit عبر استعمال منطوقات تحتوي على فعل أدائي يشير صراحةً إلى القوة الإنجازية ويحدد العمل المُنجز (أعد - أهدّر - أعتذر - أوافق - أطلب...)، وإما بشكل أولي primary عبر منطوقات يغيب عنها الفعل الأدائي لكن يُفترض وجوده فيها من فهم نية المتكلم وسياق الكلام ("سأتي غدًا"، أي "أعد بأن آتي غدًا")<sup>(١)</sup>.

وليكون الفعل الكلامي ناجحًا لا بد من مراعاة ما يُعرّف بشروط الملاءمة felicity conditions، وهي عند جون سيرل John Searle أربعة<sup>(٢)</sup>:

١. الشرط التمهيدي preparatory: يتعلق بالمقدرة، وهو يتحقق في الأفعال الالتزامية (كالوعد) إذا كان المتكلم قادرًا على إنجاز العمل وكان المخاطب يرغب في أن ينجز المتكلم العمل، ويتحقق في الأفعال التوجيهية (كالطلب) إذا كان المخاطب قادرًا على إنجاز العمل.

٢. شرط الإخلاص sincerity: يتعلق بنية المتكلم، ويتحقق في الأفعال الالتزامية إذا كان المتكلم ينوي حقًا أن ينجز العمل، ويتحقق في الأفعال التوجيهية إذا كان المتكلم يرغب حقًا في أن ينجز المخاطب العمل.

٣. شرط المحتوى القضوي propositional content: يتعلق بالقضية التي تحتويها العبارة، أي وجود عمل مستقبلي يقع على المتكلم إنجازه في الأفعال الالتزامية، ووجود عمل مستقبلي يقع على المخاطب إنجازه في الأفعال التوجيهية.

٤. الشرط الأساسي essential: يتعلق بممارسة الفعل الكلامي، أي ضمان المتكلم أداء العمل في الأفعال الالتزامية، ومحاولة المتكلم حمل المخاطب على أداء العمل في الأفعال التوجيهية.

كان جون سيرل قد صنف الأفعال الكلامية خمسة أصناف - مخالفًا لتصنيف

<sup>١</sup> - أوستن، جون: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١، ص ٨٥ وما بعدها.

<sup>٢</sup> - Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, Cambridge University Press, 1999 (first published 1979), p. 44.

أوستن -، هي<sup>(١)</sup>:

١. الإخباريات أو التمثيليات Assertives/Representatives: الغرض الإنجازي منها هو شهادة المتكلم بحقيقة المحتوى المعبر عنه، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم<sup>(٢)</sup>، ويتحقق شرط الإخلاص بصدق الاعتقاد.
٢. التوجيهيات Directives: الغرض الإنجازي منها هو محاولة المتكلم دفع المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص يتحقق بصدق الرغبة - وهذا هو الصنف الذي ينتمي إليه فعل الطلب موضع اهتمام هذه الدراسة -.
٣. الالتزاميات Commissive: غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بمسار عمل في المستقبل، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، ويتحقق شرط الإخلاص بتوفر النية.
٤. التعبيرات Expressives: غرضها الإنجازي التعبير عن حالة نفسية يحددها شرط الإخلاص تجاه حالة واقعة يعبر عنها المحتوى القضوي (مثل الشكر والتهنئة)، وليس لها اتجاه مطابقة.
٥. الإعلانيات Declarations: التي يؤدي أداؤها الناجح إلى التطابق بين محتواها القضوي والعالم (إذا أعلنت الحرب، فالحرب جارية)، واتجاه المطابقة فيها مزدوج (من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم)، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص. وتعد دراسة جون سيرل الموسعة لما يُعرَف بالأفعال الكلامية غير المباشرة من أهم بصماته في تطوير نظرية الأفعال الكلامية؛ فهو لم يكتفِ بالنمطين اللذين درسهما أوستن للأفعال الكلامية (الفعل الكلامي الصريح، والفعل الكلامي الأولي)، بل حلل الفعل الكلامي غير المباشر، أي المنطوقات التي يلفظها المتكلم ليعني بها ما يقول ويعني بجانبه معنى إضافياً؛ فهي منطوقات تحتوي على محددات القوة الإنجازية لأحد الأفعال الكلامية، من أجل إنجاز فعل كلامي آخر - كما في الطلب الذي يُقدَّم مثلاً عن طريق

<sup>1</sup>- Searle, John R. "A Taxonomy of Illocutionary Acts." In *Language, Mind and Knowledge*, ed. Keith Gunderson. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1975, pp. 354- 361.

<sup>2</sup>- "اتجاه المطابقة" بين العالم والكلمات أي أيهما يوجد ثانياً ليُطابق الموجود أولاً.

الإدلاء بتصريح - (١).

### - إنجاز فعل الطلب:

يُكتفى في هذا القسم النظري بعرض الوسائل التي حددها سيرل لإنجاز فعل توجيهي - طلبي بالأساس - غير مباشر؛ إذ إن فعل الطلب هو عمود هذه الدراسة الأول<sup>(١)</sup>. بناءً على تحليلاته خرج سيرل بالقواعد العامة الآتية:

يمكن إنجاز فعل الطلب - أو أي فعل توجيهي آخر - عن طريق<sup>(٢)</sup>:

١. السؤال عما إذا كان الشرط التمهيدي للفعل متحققًا، أو النص على تحققه. (قدرة

المخاطب على إنجاز العمل المطلوب: "هل تستطيع...؟" - "يمكنك أن تفعل...")

٢. السؤال عما إذا كان شرط المحتوى القضوي متحققًا، أو النص على تحققه.

(حصول العمل المطلوب: "هل ستوقف عن الضوضاء؟" - "الضباط سيرتدون

ربطات عنق")

٣. النص على تحقيق شرط الإخلاص ("أريدك أن تفعل..."), ولا يمكن إنجاز فعل

توجيهي بالسؤال عنه - وفقًا لسيرل -.

٤. السؤال عما إذا كانت هناك أسباب جيدة أو جوهرية لأداء العمل المطلوب، أو

النص على وجودها، إلا إذا كان السبب هو رغبة المخاطب في أداء العمل فهنا

يمكن فقط عن طريق السؤال.

ويدخل ضمن الأسباب صيغ الإلزام والجودة والصواب التي تحمل فلسفيًا وأخلاقيًا

معنى التوجيه<sup>(٤)</sup>.

(من أمثلة ذلك: "عليك أن تكون أكثر تهذيبًا" - "هل يجب عليك أن تستمر في

الطرق؟" - "ألا ينبغي أن تتوقف هنا؟" - "أنت تقف فوق قدمي" - "لقد أخبرتك ألف

مرة ألا ترتدي القبعة في المنزل" - ...)

ومن الممكن أن تحتوي جملة الطلب غير المباشر على عنصرين غير مباشرين أو

1- Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, p. 30.

٢- يُشار في هذه الدراسة إلى وسائل الفعل الالتزامي غير المباشر في مواضع الحاجة إليها عند التطبيق.

3- Ibid., p. 45.

والمثلة التي استنبط منها سيرل هذه القواعد العامة في ص ٣٦- ٣٩.

4- Ibid., p. 32.



أكثر، أو على عنصر مباشر وآخر غير مباشر أو أكثر<sup>(١)</sup>.

### - إنجاز فعل الرفض:

بالإضافة من نظرية الأفعال الكلامية حددت لايسلي بي بي Leslie Beebe ومعها باحثان آخران تصنيفًا لوسائل فعل الرفض، وقد طُوِّر أساسًا ضمن أبحاث تعليم اللغة الثانية وفي ضوء ما يُعرَف بـ"التداولية المقارنة" أو "التقابلية" (contrastive pragmatics) أو "تداولية ما بين الثقافات" (cross-cultural pragmatics). اعتمد تصنيف بي بي وزميلها لوسائل الرفض على الصيغة الدلالية التي تنقل محتوى ما مؤديًا لفعل الرفض، في عبارة غالبًا ما تتسم في حد ذاتها بطابع تفاوضي نابع من تناوب أدوار الكلام، وقد تتطوي على درجة من عدم المباشرة، وتتأثر بالمتغيرات اللغوية- الاجتماعية كمكانة المشاركين في الحوار<sup>(٢)</sup>. وقد جاء هذا التصنيف بالشكل التالي<sup>(٣)</sup>:

### أولاً: الرفض المباشر:

- (أ) أدائي: أي التعبير الصريح عن رفض المحتوى باستعمال فعل أدائي "أرفض".  
 (ب) غير أدائي: ويكون:  
 ١. إما بأداة النفي "لا".  
 ٢. وإما بالتعبير عن انعدام الرغبة أو انعدام الإمكانية ("لا أستطيع" - "لا يمكن" - "لا أظن"...).

### ثانيًا: الرفض غير المباشر:

- (أ) التعبير عن الأسف ("أنا آسف" - "أشعر بالأسى"...).  
 (ب) التمني ("ليتني أستطيع"...).

<sup>1</sup>- Ibid., p. 38.

<sup>2</sup>- Beebe, Leslie M., Tomoko Takahashi, and Robin Uliss-Weltz. "Pragmatic transfer in ESL refusals." In *Developing Communicative Competence in a Second Language*, ed. Robin Scarcella, Elaine Andersen, Stephen Krashen. New York: Newbury House, 1990, p. 56.

<sup>3</sup>- Beebe, Leslie M., Tomoko Takahashi, and Robin Uliss-Weltz. "Pragmatic transfer in ESL refusals.", pp. 72, 73.

- (ج) ذكر عذر أو سبب أو شرح (مثلاً: "أطفالي سيكونون في المنزل" - "أنا مصاب بالصداع"....).
- (د) اقتراح بديل: "أستطيع أن أفعل س بدلاً من ص" (مثلاً: "أنا أفضل كذا"), أو "لِم لا تفعل س بدلاً من ص؟" (مثلاً: "لِم لا تسأل غيري؟"....).
- (هـ) التقييد بشرط في المستقبل أو في الماضي ("لو أنك سألتني سابقاً لكنت...").
- (و) الوعد بموافقة مستقبلية ("سأفعل في المرة القادمة" - "أعدك بأن...").
- (ز) التعبير عن مبدأ ("أنا لا أدخل في عمل مع أصدقائي أبداً").
- (ح) التعبير عن فلسفة ("الإنسان لا يستطيع أن يكون حذراً").
- (ط) محاولة إثراء المحاور عن طلبه: ويدخل تحتها:
١. التهديد أو التحذير من العواقب السلبية ("لن أكون في حالة مزاجية جيدة اليوم").
  ٢. إشعار صاحب الطلب بالذنب (مثل قول نادل للزبائن: "لا يمكنني كسب لقمة عيشي بطلبكم القهوة وحدها" - ...).
  ٣. انتقاد صاحب الطلب: التعبير عن شعور أو رأي سلبيين أو إهانة ("من تظن نفسك؟" - "هذه فكرة فظيعة" - ...).
  ٤. طلب المساعدة أو التعاطف أو العون بالتخلي عن الطلب أو تعليقه.
  ٥. إعفاء المحاور من اللوم ("لا تقلق بشأن ذلك" - "هذا جيد" - "لست مجبراً على...").
  ٦. الدفاع عن النفس ("إنني أبذل قصارى جهدي" - "أنا لم أرتكب خطأ" - ...).
- (ي) القبول الذي يُعَدُّ بمثابة الرفض: ومنه:
١. رد غير مميز أو غير محدد.
  ٢. انعدام الحماس.
- (ك) التهرب أو التجنب:
١. غير لفظي: الصمت - التلعثم - عدم القيام بأي شيء - المغادرة جسدياً.
  ٢. لفظي: تغيير الموضوع - المزاح - ترديد جزء من الطلب في تساؤل.
  ٣. التأجيل والمماطلة ("سأفكر في الأمر").

٤. التملص ("لا أعرف" - "لست متأكدًا").

### ثالثًا: وسائل رفض مساعدة أو ملحقة:

وهي العناصر التي لا تُعد وسائل رفض إذا جاءت وحدها، بل لا بد من أن تصاحبها وسيلة أخرى؛ لكي يُفهم منها الرفض<sup>(١)</sup>:

(أ) التعبير عن رأي أو شعور إيجابي أو موافقة ("هذه فكرة جيدة" - "سأحب فعل ذلك...").

(ب) التعبير عن التعاطف ("أدرك أنك في موقف صعب...").

(ج) كلام الحشو (آه - حسنًا - أوه - إممم).

(د) الامتنان أو التقدير.

فهذه الوسائل المساعدة قد تدل على القبول إذا استُعملت مستقلةً، لكنها تصاحب صيغ الرفض الأخرى للتلطيف وتخفيف الحدة.

### ٢. المبدأ التعاوني:

اقترحه فيلسوف اللغة الإنجليزي باول جرايس Paul Grice، ويفترض بموجبه أن طرفي أي اتصال يسعيان عادةً إلى التعاون لتحقيق غرض مشترك، أو على الأقل اتجاه في الحوار متوافق عليه. وبشكل عام على كل طرف أن يجعل إسهامه في الحوار مطابقاً لمقتضى هذا الهدف أو هذا الاتجاه<sup>(٢)</sup>.

ويقوم المبدأ التعاوني على أربع قواعد، هي<sup>(٣)</sup>:

(١) قاعدة الكم Quantity: أن يقدم المرسل القدر المطلوب من المعلومات لا أكثر ولا أقل.

(٢) قاعدة الكيف Quality: أن يكون صادقاً، ولا يقدم معلومات خاطئة أو معلومات لا يستطيع أن يثبت صحتها.

(٣) قاعدة الملاءمة Relation: أن تكون إسهاماته ملائمة للخطاب، ولا تخرج عن

<sup>1</sup> - Ibid., p. 57.

<sup>2</sup> - Grice, H. P. *Studies in the Way of Words*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991, p. 26.

<sup>3</sup> - Ibid., p. 28.

موضوعه.

٤) قاعدة الطريقة Manner: أن يكون واضحًا ومنظمًا ويتجنب الغموض. ويقع انتهاك violation لهذا المبدأ التعاوني - وفقًا لجرايس - عندما يمتنع طرف في الحوار عن تطبيق إحدى القواعد الأربعة بهدوء وبغير أن يُظهر؛ لأجل إنتاج سوء فهم لدى مخاطبه.

وهذا غير التهاون floating الذي تتعرض له القواعد حين يتوقع المتحدث أن مخاطبه قادر على كشف المعنى الخفي وراء أقواله التي تنطوي على ما يُعرّف بـ"الاستلزام الحواري" conversational implicature (أو "الاقتضاء التخاطبي" في بعض الترجمات)<sup>(١)</sup>.

### ٣. التآدب ومبدأ الوجه:

يُعدُّ مبدأ الوجه الذي صاغته بينيلوب براون Penelope Brown وستيفين ليفنسون Stephen Levinson المبدأ الأكثر تكاملاً وشيوعاً لدراسة التآدب في الدراسات التداولية. ويُعرّف "الوجه" في الحقل التداولي بأنه تقدير الأشخاص لذواتهم في المواقف العامة<sup>(٢)</sup>، وتقسّم براون وليفنسون أنماط الوجه بحسب ما يطمح إليه صاحبه إلى<sup>(٣)</sup>:

١. الوجه السلبي (الدافع) negative face: أي مطمح المرء في عدم إعاقة أفعاله، وهو يرتبط بالتميز أو الاختلاف difference.
٢. الوجه الإيجابي (الجالب) positive face: أي مطمح المرء في أن يكون مقبولاً، ويرتبط بالتضامن أو الاندماج solidarity<sup>(٤)</sup>.

<sup>1</sup> - Ibid., p. 30.

<sup>2</sup> - Brown, Penelope, and Stephen C. Levinson. *Politeness: Some Universals in Language Usage*, Cambridge University Press, 1987 (first published 1978), p. 2.

<sup>3</sup> - Ibid., pp. 13, 34.

<sup>٤</sup> - يترجم عبد الهادي بن ظافر الشهري - وتبعه في ذلك آخرون - مصطلحي "negative face" و"positive face" بـ"الوجه الدافع" و"الوجه الجالب"، وهذان الاختياران أقرب في العربية إلى المعنى المقصود بالفعل، لكن استعمالهما قد يُفقد المصطلحين الصلة بمصطلحين لاحقين هما "negative politeness" أو "التآدب السلبي"، و"positive politeness" أو "التآدب الإيجابي"؛ إذ لا يمكن أن يؤدي مصطلحا "التآدب الدافع" و"التآدب الجالب" المعنى المراد منهما، ولم يستعملهما حتى الشهري نفسه.

راجع: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٠٤، ١٠٥.

ويمكن لبعض الأفعال الكلامية أن يُشكّل بأصالتها تهديدًا للوجه، قسمت براون وليفنسون هذه الأفعال بدورها<sup>(١)</sup>:

#### ← باعتبار وجه المرسل إليه:

١. أفعال تهدد الوجه السلبي للمرسل إليه: وهي الأفعال التي يظهر فيها محاولة المرسل عرقلة حرية المرسل إليه في التصرف، مثل الأفعال التي تتطلب منه إنجاز عمل مستقبلي (كالطلب)، والأفعال التي تستدعي منه رد فعل أو تكبده دنيًا مستقبليًا تجاه المرسل؛ فتضع عليه ضغطًا لقبولها أو رفضها (كالعروض والوعود)، والأفعال التي تعبر عن طمع المرسل في بعض ما يمتلكه المرسل إليه مما يوجب عليه إما منعه وإما منحه (كالمجاملات والتعبير عن الحسد أو الرغبة في الإيذاء).

٢. أفعال تهدد الوجه الإيجابي للمرسل إليه: وهي التي تدل على عدم اكتراث المرسل بمشاعر المرسل إليه ورغباته. ومنها: التقييمات السلبية لبعض جوانب وجهه الإيجابي، كالتعبير عن نبذه أو ازدرائه أو توبيخه، أو أي إشارة من المرسل إلى أنه لا يحبه أو لا يحترم سماته وقيمه أو يتحداه أو يعترض عليه. ومنها كذلك الأفعال التي تعبر عن عدم اكتراث المرسل بالوجه الإيجابي للمرسل إليه، كالتعنيف أو التهديد أو إثارة موضوعات خلافية معه، أو إظهار رفض واضح للتعاون معه.

#### ← باعتبار وجه المرسل:

١. أفعال تهدد الوجه السلبي للمرسل: مثل اضطراره للإعراب عن الشكر أو الاعتذار (فيطأطئ وجهه)، أو قبول الشكر أو الاعتذار (فيضطر للتجاوز عن زلات محاوره)، أو اضطراره لقبول العروض بما تحمله من دنيّ محتمل، أو اضطراره للتغاضي عن أخطاء الآخرين مما يشعره بالحرج أمام نفسه، أو التزامه بوعود وعروض لا يرغب فيها فإذا أظهر عدم رغبته هدد وجهه الإيجابي.

٢. أفعال تهدد الوجه الإيجابي للمرسل: كالإقرار بالخطأ في حق المرسل إليه، وقبول

<sup>1</sup> - Brown, Penelope, and Stephen C. Levinson. *Politeness: Some Universals in Language Usage*, pp. 65- 68.

المجاملة والاضطرار إلى التهوين من شأنها أو ردها، وكذلك فقد التحكم في الجسد (كالتعثر) أو في المشاعر (كالبكاء).

ومن وجهة نظر براون وليفنسون فإن مساحة تهديد الوجه مشتركة بين المرسل والمرسل إليه؛ لذلك فإن كلاً منهما يسعى إلى تجنب الأفعال المهددة لوجه الآخر أو التقليل من تهديدها. وهنا يكون أمام كل طرف عدة مسارات يمكن أن يسلكها في حوارهِ<sup>(١)</sup>:

(أ) ألا ينجز الفعل المهدد للوجه على الإطلاق (الصمت).

(ب) أن ينجز الفعل، وهنا يمكن له أن:

١. ينجزه بشكل تلمحي غير صريح off-record (مثلاً: "لقد نفذ مالي"، بدلاً من طلب المال مباشرة).

٢. ينجزه بشكل صريح on-record، وهنا أيضاً يكون أمامه خياران:

الأول: التهديد السافر للوجه بدون محاولة لتلطيف ("أنت، أعرني بعض المال").

الثاني: محاولة صيانة الوجه وتلطيف التهديد، باللجوء إلى استراتيجيات التأدب:

← التأدب السلبي negative politeness: المنصب على صيانة الوجه السلبي.

← التأدب الإيجابي positive politeness: المنصب على صيانة الوجه الإيجابي.

يفيد القسم التطبيقي القادم من هذه المفاهيم والتصنيفات النظرية، انطلاقاً من حقيقة أن كلاً من فعلي الطلب والرفض له جانب مهدد لوجهي المرسل والمرسل إليه والكيانين الجمعيين اللذين يمثلانهما، ومن فرضية أن كلا الطرفين يسعى إلى التعامل مع ذلك التهديد بما يخدم مصالحه السياسية، فيستغله أو يتجنبه، ويدفعه عن نفسه أو يغض الطرف عنه وفقاً لتقديره لتلك المصالح، في إطار شكلي من التعاون يتعرض بدوره خلال التفاوض لانتهاكات تخرق مضمونه التعاوني في كثير من الأحيان.

<sup>1</sup> - Ibid., p. 69.

**القسم التطبيقي:**

• الرسالة الأولى (١٤/٧/١٩١٥م - ٢ رمضان ١٣٣٣هـ)<sup>(١)</sup>:

ضمت الرسالة الأولى (مذكرة الشريف الحسين الأولى إلى السير هنري مكماهون) عدة مطالب تباينت بين مطالب أساسية هي محور التفاوض بين الطرفين، ومطالب فرعية جاءت في سياق الحديث أو استجابة لحدث عابر.

أما المطالب الفرعية فقدمت بالشكلين: المباشر وغير المباشر، لكن المباشر منها جاء بصيغة مخففة، ليس فقط عن طريق الملطفات بل بالأساس عن طريق استعمال فعلٍ أدائي ذي دلالة مخففة في حد ذاتها هو فعل "الرجاء" بدلاً من فعل "الطلب"، وهو هنا ليس سوى تلطيف للكلام وتخفيف من نبرته؛ إذ لا يستدعي المحتوى أي نوع من الشدة؛ فجميعها إما مطالب عارضة ليس لها تأثير طويل الأمد، وإما تابعة لغيرها في التحقق:

- "وإني لأرجوكم هنا أن تفسحوا المجال أمام الحكومة المصرية، لترسل الهدايا المعروفة من الحنطة للأراضي المقدسة (مكة والمدينة) التي أوقف إرسالها منذ العام الماضي".

- "أرجو ألا تزعجوا أنفسكم بإرسال أي رسالة، قبل أن تروا نتائج أعمالنا هنا خلا الجواب على مذكرتنا وما تتضمنه".

- "ونرجو أن يكون هذا الجواب بواسطة رسولنا كما نرجو أن تعطوه بطاقة منكم ليسهل عليه الوصول إليكم عندما نجد حاجة لذلك".

اعتمد المطلب الفرعي الذي جاء في هيئة توجيه غير مباشر على صيغة النص على وجود سبب لأداء الفعل الواقعي المطلوب - هو هنا انتقاء الحاجة -، مع إيراد فعل أدائي إخباري يُعدُّ فعلاً إنجازياً ثانوياً، مؤدياً إلى الفعل التوجيهي الإنجازي الأولي، وهو هنا طلب تمهيدي يوطئ به الحسين لاضطلاع بتقديم المطالب الجوهرية نيابة عن الشعب العربي؛ بوصفه ممثلاً شرعياً له:

- "وأود بهذه المناسبة أن أصرح لحضرتكم ولحكومتكم أنه ليس هناك حاجة لأن تشغلوا أفكاركم بآراء الشعب هنا، لأنه بأجمعه ميال إلى حكومتكم بحكم

<sup>١</sup> - يوجد في تواريخ بعض الرسائل فرق يوم واحد بين التاريخ الميلادي والهجري المقابل له، ربما يرجع هذا إلى اختلاف يوم كتابة الرسالة عن يوم إرسالها.

## المصالح المشتركة".

وأما المطالب الأساسية فقد جاءت في هيئة تعداد للمحتويات القضائية المطلوب تحقيقها، مندرجة تحت صيغة طلب واحدة، هي صيغة غير مباشرة اعتمدت على تقنية السؤال عن وجود أسباب لأداء الفعل، وتحديدًا عن وجود رغبة لدى المخاطب لأدائه، وهو السبب الوحيد الذي رأى سيرل أنه لا يمكن إنجاز فعل توجيهي غير مباشر بالنص على وجوده، بل يمكن فقط عن طريق السؤال عنه. أرفق هذا السؤال بالنص على تحقق شرط الإخلاص متمثلًا في الفعل "يرى" مُسندًا إلى الشعب العربي الذي يُظهر الحسين نفسه نائبًا عنه، يقول:

- "إنه بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربي أنه من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبيها أو ممثليها على الاقتراحات الأساسية الآتية:

أولاً: أن تعترف إنجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين - أدنة (أضنة)، حتى الخليج الفارسي شمالاً ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً يُسْتَنْتَى من ذلك عدن التي تبقى كما هي - ومن البحر الأحمر، والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً.

على أن توافق إنجلترا أيضًا على إعلان خليفة عربي على المسلمين.  
ثانيًا: تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية إنجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية.

ثالثًا: تتعاون الحكومتان الإنجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين وذلك حفظًا لاستقلال البلاد العربية وتأمينًا لأفضلية إنجلترا الاقتصادية فيها... .

رابعًا: إذا تعدى أحد الفريقين على بلد ما ونشب بينه وبينها عراك وقتال، فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد. على أن هذا الفريق المعتدي إذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين أن يجتمعا معًا وأن يتفقا على الشروط.

خامسًا: مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة...".



بعد ذكر هذه المطالب المفصلة، قدم الحسين طلبًا داعمًا بسرعة الاستجابة، اعتمد فيه على الصيغة المباشرة لكنه أسند الفعل الأدائي المخفف بدوره ("يرجو") إلى الشعب العربي تأكيدًا لأصالة تمثيله السياسي والإجماع على مطالبه:

- "هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق - والحمد لله - على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلبًا أو إيجابًا في خلال ثلاثين يومًا من وصول هذا الاقتراح".

يُعدُّ الفعل الإنجازي الطلبي فعلًا مهددًا للوجه السلبي لمستقبل الطلب، ولوجهي مقدمه؛ فأَيُّ فعل توجيهي يهدد الوجه السلبي للطرف المستهدف منه لأنه يستدعي الامتثال، لكن الطلب بصورة خاصة أكثر تهديدًا لأنه ينفع مقدمه وحده ولا ينفع مستقبله في شيء. وهو كذلك يهدد وجهي مقدمه لأنه يوقعه في حرج حين يوحي بأنه غير قادر على التعامل مع مشكلاته الخاصة، وبخاصة وجهه السلبي (الدافع) إذا صاحب الطلب مخاطرة بتكبد ثمن أو دَيْن مستقبلي<sup>(1)</sup>. هذا التهديد المزدوج جعل مقدم الطلب - الشريف الحسين - يعزز رسالته بصنفين من العبارات:

← صنف يوظف لصيانة الوجه السلبي لمستقبل الطلب أو التخفيف من إهدار مائه، وقد أخذ شكلين:

الأول عبارات المدح والود التي افتتحت بها الرسالة - وغيرها من الرسائل -:

- "صاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله. أقدم لجنابكم العزيز أحسن تحياتي الودية واحتراماتي".

والثاني الإشارة الصريحة المؤكدة إلى المصلحة البريطانية من مساعدة العرب:

- "كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدكم وتعاونهم للوصول إلى أمنهم المشروعة".

← وصنف آخر يوظف لصيانة الوجه السلبي للمرسل نفسه، وقد تمثل في التعبير عن كفاءة المرسل وحرية تصرفه بمعزل عن استجابة المخاطب لمطالبه، عبر أسلوب الشرط

<sup>1</sup>- Cai, Deborah A., and Steven R. Wilson. "Identity implications of influence goals: A cross-cultural comparison of interaction goals and facework." *Communication Studies* 51, no. 4 (2000), p. 309.

الذي يقيد انتظار التعامل بمهلة زمنية محددة:

- "وإذا انقضت هذه المدة ولم يتلقَ من الحكومة جوابًا فإنه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء .

وفوق هذا فإننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا - إذا لم يصل الجواب - أحرارًا في القول والعمل من كل التصريحات، والوعود السابقة التي قدمناها...". غير أنها بدت كفاءة منتقصة منها أو منتقضة بسبب استعمال أسلوب الاختصاص الموحى بانفصال "عائلة الشريف" عن الشعب العربي الذي حرص الحسين على الحديث بلسانه وتقديم المطالب نيابة عنه، فيما بدا إقرارًا ضمنيًا بأن شرعية تمثيله للعرب لن تتحقق بغير الموافقة الإنجليزية.

كما أن الحسين قد أغفل في رسالته الأولى الاحتياط لعامل المخاطرة بتكبد دَيْن مستقبلي، وهو في الواقع عامل حاسم في الرسائل.

يمكن إذن اختصار الغرض الكلي من هذه الرسالة الأولى في أنها ضمت جوهر مطالب الحسين: الاستقلال والحدود، مع محاولات لتلطيفها وإبداء التعاون مع المرسل إليه.

#### • الرسالة الثانية (١٩١٥/٨/٣٠ م - ١٩ شوال ١٣٣٣هـ):

يصف جورج أنطونيوس هذه الرسالة بأنها تُعد "مثلًا طريفًا من أمثلة المراوغة الرسمية"<sup>(١)</sup>. لقد أجاب مكماهون بالقبول الصريح في نهاية هذه الرسالة الثانية (أي رد مكماهون على رسالة الحسين الأولى) عن مطلب فرعي واحد من مطالب الحسين هو مطلب المعونات الغذائية، وهو مطلب غير استراتيجي وغير بعيد الأثر. أخذ التعبير عن هذا القبول شكل فعل إعلاني أولي:

- "فإننا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد إشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه".

<sup>١</sup> - جورج أنطونيوس: "بِقِظَةُ الْعَرَبِ"، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص٢٥٣.

وجورج أنطونيوس (ت. ١٩٤٢م) هو مؤرخ لبناني، يعد كتابه The Arab Awakening الذي ألفه بالإنجليزية من أهم المراجع التي تناولت الأوضاع العربية إبان الحرب العالمية الأولى والثورة العربية ١٩١٦م.

أما المطالب الأساسية فجاء الرد عليها عبر تسلسل من مستويات التمويه والمراوغة؛ عبّر مكماهون في البداية عن قبول مبدئي جزئي لمطلب الاستقلال عن طريق استعمال الفعل الإخباري ("نؤكد" - "تصرح") والفعل التعبيري ("رغبنا" - "استصوابنا" - "يرحب")، مع تجنب أي فعل التزامي:

- "ولهذه النسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كيتشنر<sup>(١)</sup> التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي وهي التي كان موضعاً بها رغبنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها. وإنا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة".

يذكر المؤرخ الإنجليزي إيلي قدوري Elie Kedourie أن مكماهون هنا قد أهدم الاقتراح الذي نتج عن مشاورات الحكومة البريطانية فيما يخص موقف بريطانيا من الخلافة، والذي كان يوصي باستعمال تعبير ذي دلالة عامة، واستعمل بدلاً من ذلك تعبيراً يؤكد كلمات الحسين نفسه هو "الموافقة" (approval)، ويستدل قدوري على هذا بعبارة مقتبسة من الترجمة الإنجليزية للرسالة<sup>(٢)</sup>:

- **"we confirm to you the terms of Lord Kitchener's message...in which was stated clearly... our approval of the Arab Khalifate when it should be proclaimed".**

لكن هذا لم يرد قط في نص الرسالة العربي الذي وصل إلى الحسين بالفعل، بل إن اللفظ العربي المستعمل هو "استصواب"، وصحيح كونه يدل على وجهة نظر بريطانية من قضية الخلافة، لكنه لا يعبر على الإطلاق عن قبولها أو الاعتراف الرسمي بها، فهي محض وجهة نظر وجدانية يُعبّر عنها، لا تتضمن اتجاه مطابقة بين العالم والكلمات بالمصطلحات التداولية، أي إنها لا تغير شيئاً في العالم حتى وإن تحقق لها شرط الإخلاص، فهي ليست فعلاً التزامياً بالقبول الرسمي يترتب عليه مطابقة العالم للكلمات.

<sup>١</sup> - هوراشيو هيربرت كيتشنر Horatio Herbert Kitchener: القنصل البريطاني العام في مصر من ١٩١١ إلى ١٩١٤م.

<sup>٢</sup> - Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, pp. 69, 70.

يشير قدوري أيضًا إلى أن مكماهون قد أغفل صياغةً اقترحت عليه في مشاورات المسؤولين البريطانيين تشترط موافقة شركاء الحسين في الدين على خلافته؛ مراعاةً للعلاقات البريطانية مع ابن سعود<sup>(١)</sup> والإدريسي<sup>(٢)</sup>، وأتى بصيغة معبرة عن "الترحيب" المطلق<sup>(٣)</sup>. لكن هذا الترحيب ليس مطلقًا كما يدعي قدوري، بل هو مقيدٌ في حقيقته، صياغةً وواقعًا، بزمن مستقبلي مجهول عبر عنه الظرف المبهم المضاف إلى حدث معنوي لم يقع بعد ولم يحدّد له زمن معروف في عبارة "عند إعلانها".

وبكل الأحوال فقد عاد المفاوضات البريطاني مباشرة لينقض ذلك القبول البدائي الشكلي باستعمال تشابكات من وسائل الرفض غير المباشر في تصنيف بي بي وزميلها، فلجأ أولًا إلى آلية التأجيل والمماطلة في الرد على حدود الدولة التي أرادها الحسين، وهي من آليات التهرب من الطلب.

ثم اتجه إلى انتقاد الطرف الآخر وهو من آليات محاولة إثناء مقدم الطلب عن طلبه، إلى جانب محاولة تغيير الموضوع بتحويل دفة التفاوض إلى وجهة خارجية هي الخطر الألماني التركي المشترك، وهي من آليات التهرب اللفظي. يقول:

- "وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها، تصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رجاها ولأن الأتراك أيضًا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالًا فعليًا وعلى الأخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقيًا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها، وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان، نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الألمان والظالم العسوف وهو الأتراك".

بهذا التحويل في الموضوع يوظّف مكماهون في الوقت نفسه وسيلة من الوسائل البارزة في الخطاب التفاوضي. إن أطراف التفاوض يعملون على وضع تعريفات جديدة

١- عبد العزيز بن سعود: حاكم نجد آنذاك، ومؤسس المملكة العربية السعودية، توفي ١٩٥٣م.

٢- محمد بن علي الإدريسي: مؤسس الإمارة الإدريسية في عسير، توفي ١٩٢٠م.

٣- Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, pp. 68, 69.

للقضايا وجدول أعمال التفاوض، وإعادة تأطيرها، بما يغير تعريف المشكلة ونتائج النقاش. يشمل هذا التغيير طرق تسمية القضايا، واستكشاف أسبابها، وتقرير ما يجب فعله حيالها<sup>(1)</sup>. وهنا يستدعي مكماهون عنصرين من الخلفية السياقية لمطالب الحسين هما الحرب العالمية الدائرة والاحتلال التركي القائم، مبرراً تأجيل البحث بمواجهة العدو الألماني التركي ومعاونه، ومانحاً تلك المواجهة أولوية في النقاش والتحرك.

أما بقية المطالب مجتمعةً - بخلاف الاستقلال - فقد صمت عنها مكماهون تماماً ما تدرجه دراسة بي بي وزميلها ضمن آليات التهرب غير اللفظي.

يجدر بالذكر إشارة قدوري إلى أن مشاورات الحكومة البريطانية قد انتقلت إلى كون الرد على المقترحات المحددة من قبل الحسين بحدوث عام سيبعده عن الاشتراك في القضية البريطانية، كما قد ينمي لديه اعتقاداً بأن بريطانيا ليست جادة في انفتاحها تجاهه. واقترح في المشاورات دعوته لإرسال مندوب عنه للتفاوض، لكن مكماهون - الذي ترك له الرأي الأخير - استبعد هذا الاقتراح؛ بحجة أن فرص الحسين في إعلان الخلافة قد تتضرر في هذه المرحلة إذا أعلن عن تعامله مع بريطانيا<sup>(2)</sup>.

وبهذا، وعلى الرغم من تفصيل الحسين مطالبه وتقنيده إياها في نقاط ضمن صيغة الطلب الموحدة، فقد أغفل مكماهون الرد على أهمها، بلجونه إلى تقديم رد عام على مذكرة الحسين في مجملها دون تفصيل بنودها.

هذا التسلسل لآليات الرفض غير المباشر يجعل القبول المبدئي المصرح به مندرجاً فعلياً - من وجهة النظر التداولية - ضمن ما يُعدُّ قبولاً بمثابة الرفض، وهو مصنف بحد ذاته وسيلةً من وسائل الرفض، وهذا على الرغم من محاولات المفاوض البريطاني صيانة وجه بريطانيا الإيجابي/التضامني عبر تصريحه بتضامنها مع الحقوق العربية: "... وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الإنجليز والعكس بالعكس"، وانخراطه في التسليم الشكلي ببعض قيم مخاطبه (الحسين) العقدية والتاريخية، في مثل تعبيرات: "الخلافة العربية"، و"للبلاد العربية المقدسة"، و"... سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلاقات بيننا"،

1- Putnam, Linda L. "Negotiation and discourse analysis." *Negotiation journal* 26, no. 2 (2010), pp. 147, 148.

2- Ibid., p. 69.

ما يجعل مثل هذه الصيغ الدلالية تُفهم هنا بوصفها من وسائل الرفض الملحقة. عبر جورج أنطونيوس عن التناقض في هذه الرسالة بقوله إنها حاولت الجمع بين أمرين متناقضين، هما: اكتساب الحسين للدخول في تحالف فعّال، وفي الوقت نفسه منعه من الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن يجعل هذا التحالف فعّالاً<sup>(١)</sup>.

من اللافت أن سياسة المراوغة هذه انعكست على مقاربات مكماهون لوجه مخاطبه، فهو لم يكتف بتهديد الوجه السلبي للحسين الذي تسبب فيه إعاقة مطالبه الأساسية، لكنه أضاف إليه طعنًا في حقيقة التمثيل الذي يدعيه الحسين للعرب بأسرهم وجمع كلمتهم، بإشارته إلى العرب المعاونين للألمان والأتراك، وكأنه يقول له: اذهب وسيطر على من تدعي تمثيلهم أولاً، مهددًا بذلك كلاً من وجهي الحسين: السلبي بالانتقاص من قدره، والإيجابي بالانتقاص من كفاءته في التحالف مع بريطانيا.

لكن المفارقة تكمن في استغراق مكماهون في عبارات الثناء والمديح التي يكيلها بادئ ذي بدء للحسين نفسه ولنسبه ومكانته الدينية، وهي عبارات يرجح أنطونيوس أن أحد موظفي مكماهون كتبها ظناً منه أنها لاثقة بالمقام<sup>(٢)</sup>. فبدت في الرسالة مراوغة محيرة بين صيانة وجه المخاطب السلبي الشخصي، وتهديد وجهه السلبي الرسمي، أو ما يمكن فهمه بوصفه إنكارًا ضمنيًا لأحقية الشريف الحسين في تمثيل العرب وحكمهم. هذا التناقض يعزوه أنطونيوس إلى أن مكماهون ومستشاريه لم يكونوا آنذاك يعرفون شيئاً عن تحالفات الحسين والجمعيات المؤيدة له، وكانوا يعتقدون بالفعل أنه لا يمثل إلا نفسه، ولا يسعى إلا إلى أهدافه الشخصية<sup>(٣)</sup>.

وقد عضد إنكارُ أحقية الحسين في تمثيل العرب بدوره الرفض الضمني لمطلبي الخلافة والاستقلال اللذين عبر مكماهون - ظاهريًا - عن تضامن بريطانيا معهما، فلا هي وافقت في الحقيقة على حدود الدولة المطلوبة ولا اعترفت بوحدة شعبها ولا بالحاكم المقترح لها، وهو ما يفرغ قبولها الخلافة والاستقلال من أي مضمون عملي، ويعني بشكل ما أنها لم تأخذ رسالة الحسين الأولى ومطالبه فيها على محمل الجد، بل كان غرضها

١- جورج أنطونيوس: "بقظة العرب"، ص ٢٥٤.

٢- السابق، ص ٢٥٥.

٣- السابق، ص ٢٥٤.

الأساسي استدعاء السياق الخلفي المتمثل في حربها ضد الألمان والأترك إلى واجهة الخطاب.

• الرسالة الثالثة (١٩١٥/٩/٩م - ٢٩ شوال ١٣٣٣هـ):

يخلق رفض الطلب عقبات تعوق رغبات مقدمه، فتهدد وجهه السلبي أصيل في فعل الرفض؛ ومن ثم فهو يرتبط إيجاباً في معظم الأحوال برغبة صاحب الطلب في الإلحاح؛ لتوفير طرق بديلة يحقق بها رغباته. كذلك فإن رفض الطلب حين يقترن بتهديد الوجه الإيجابي لمقدمه يرتبط إيجاباً أيضاً بالرغبة في الإلحاح؛ فقد يكون هذا الإلحاح وسيلة لإعادة الاعتبار إذا نجح في نيل الموافقة؛ كما أن تقديم عروض ووعود وأسباب إضافية يعد وسيلة دارجة لمعالجة تهديدات الوجه الإيجابي<sup>(١)</sup>.

بأخذ هذا بالحسبان يتضح أنه لم يكن من الصعب على كفاءة الشريف الحسين التداولية إدراك مراوغات مكماهون ورفضه غير المباشر للمطالب العربية، فقد عبر تعبيراً صريحاً - وإن كان ملطفاً - عن استيائه من الغموض والبرود والتردد في الرد بقوله:

- "بمزيد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في ١٩ شوال وطالعه بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطةنا الأساسية، أعني نقطة الحدود".

- "ويعذرني فخامته إذا قلت إن هذا كله يدل على عدم الرضا أو على النفور أو على شيء من هذا القبيل".

وإلى جانب التعبير الصريح انعكس في إلحاحه في الطلب محاولات صيانة وجهه السلبي بشقيه الشخصي والرسمي، هذه المرة عبر آليتين هما: النص على وجود أسباب الفعل وتفصيلها وليس السؤال عن رغبة المخاطب في أدائه - بخلاف رسالته السابقة -، والنص على تحقق شرط الإخلاص مع الحرص مجدداً على إسناده إلى الشعب العربي أو نسبته إليه بالإضافة لا إلى شخص الحسين، مع تأكيد تحقق إجماعه مراراً وبطرق لغوية شتى منها الخبر ("وهو متفق") والفعل ("أجمع" - "يجمعون") والحال ("بأجمعه" - "بأسره")،

1- Johnson, Danette Ifert, Michael E. Roloff, and Melissa A. Riffiee. "Responses to refusals of requests: Face threat and persistence, persuasion and forgiving statements." *Communication Quarterly* 52, no. 4 (2004), pp. 349- 351.

والتوكيد ("كلها"):

- "ويجب أن أؤكد لكم أيضًا أن مصالح أتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم".
- "فإن هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من إرضائه ومفاوضته بعد الحرب بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد.
- وهذا ما جعل الشعب يعتقد أنه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويعلقون عليها كل الآمال وهي بريطانيا العظمى".
- "وإذا أجمع هؤلاء على ذلك فإنما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك. وهم يرون أنه من الضروري جدًا أن يتم تنظيم الأراضي المجزأة، ليعرفوا على أي أساس يؤسسون حياتهم كي لا تعارضهم إنجلترا أو إحدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي إلى نتيجة معاكسة، الأمر الذي حرمه الله.
- وفوق هذا فإن العرب لم يطلبوا - في تلك الحدود - مناطق يقطنها شعب أجنبي".
- "وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة، أنكم لا تشكون قط بأنني لست أنا شخصيًا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره، يعتقد بأنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية".
- جدير بالملاحظة أن الحسين يحاول في الوقت ذاته - مع محاولة صيانة وجهه السلبي - أن يستعيد ماء وجهه الإيجابي الذي أراقه رفض المطالب أو تجاهلها، محاولات حدثت به إلى بعض المبالغة والإسراف في التعبير عن الاندماج القائم بين المصالح العربية والبريطانية، إلى حد اعتباره أي خلاف محتمل بينهما مما "حرمه الله".
- وهو إسراف يفهم منه في بعض الأحيان حصول الانقياد التام للراغبين البريطانية أيًا كانت، حيث ورد في هيئة عدد من الأفعال الإنجازية الإخبارية الأدائية وغير الأدائية، التي تطابق فيها الكلمات جانبًا متحققًا سلفًا من العالم، مع النص غالبًا على تحقق شرط الإخلاص مبالغة في التعبير عن حسن النوايا، ما يوحي بالولاء التام، كما في:



- "وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم إخلاصنا نحو بريطانيا العظمى واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشؤون وفي أي شكل وفي أية ظروف".
- "فإننا ثابتون في إخلاصنا نصرح بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع أكنتم راضين عنا - كما قيل - أو غاضبين".
- "وأود هنا يا صاحب الفخامة أن أؤكد لكم بصراحة أن كل الشعب - ومن جملته هؤلاء الذين تقولون إنهم يعملون لصالح تركيا وألمانيا - ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم أو رفضكم قضية الحدود، وقضية المحافظة على ديانتهم، وحمايتهم من كل أذى أو خطر.
- وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقاً لسياستها، في هذا الموضوع، فما عليها إلا أن تعلمنا به وأن تدلنا على الطريق التي يجب أن نسلكها".
- "ولست أرى حاجة هنا لأن ألفت نظركم إلى أن خطتنا هي آمن على مصالح إنجلترا من خطة إنجلترا على مصالحنا".
- الواقع أن هذا الإسراف في إظهار الحالة التعاونية شكّل ما يُعدّ ثغرة في خطاب الحسين استدعت مزيداً من المساومة، وتركت الباب مفتوحاً أمام العدول عن المطالب الجوهرية وتركت قرار مسألة الحدود بالكامل "بين يدي بريطانيا"<sup>(1)</sup>.
- عمد الحسين إلى تحديد بعض المناطق المتوقع النزاع حولها بدقة، لكنه على الرغم من ذلك لم يتقدم بهذا التحديد بصيغ قطعية صارمة، بل بصيغ مستقبلية تحتفظ له بحق الطلب، في محاولة منه لإظهار التعاون:
- "ولذلك نرى أن من واجبنا أن نؤكد لكم أننا سنطلب إليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها".
- واستبق الطلب المفصل هذه المرة بإبداء الأسباب والعواقب تحاشياً للرفض، أو ما يمكن عده رفضاً للرفض الضمني السابق، وللرفض الصريح المتوقع:
- "ونعتقد أن وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق أفكارنا كما يقلق أفكارها"، يعني الفرنسيين.

<sup>1</sup>- Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, p. 72.

وقد عبّر عن رفض الرفض هذا بفعل أدائي مباشر، مسند كالعادة إلى الشعب نفسه عبر صيغة الغائب، ومصحوب بالتحذير من العواقب، ثم بصيغة غير أدائية بنفي إمكانية الحدوث:

- فوق هذا فإن الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء وقد يضطروننا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة. وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة".

تتبعي الإشارة إلى أن سؤالاً جوهرياً يفرض العودة إلى هذه الرسالة عند تحليل الرسائل التالية؛ فعلى الرغم من انتباه الحسين إلى مواطن النزاع المحتملة، وتحديد الصريح لبيروت في هذه الرسالة - حتى دون أن يذكرها مكماهون -، ولبعض المناطق العراقية في رسائل أخرى، يثير الحيرة سكوته عن أي ذكر صريح لفلسطين في مطالبه وهي التي أصبحت نقطة الخلاف الأساسية في تفسير الرسائل بين العرب والإنجليز؛ فليس لفلسطين أي ذكر في الرسائل إلا ما يفهم ضرورةً عن طريق اللزوم المنطقي entailment من الحدود التي طلبها بدايةً في رسالته الأولى، وضمناً عن طريق الاستلزام الحواري implicature<sup>(١)</sup> من قوله شديد العموم في هذه الرسالة بأن "مصالح أتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم".

١ - المصطلح الأجنبي entailment يدل على علاقة منطقية بين القضايا، تعني أن القضية الحرفية في الجملة حين تكون صحيحة تستلزم بالضرورة أن تكون قضية أخرى غير مذكورة حرفياً صحيحة بدورها، وهي تعتمد على معنى الجملة نفسها بغض النظر عن اختلاف السياق.

(Cruse, Alan. *A glossary of semantics and pragmatics*. Edinburgh University Press, 2006, p.55)

أما مصطلح implicature فيدل على أجزاء من معاني المنطوق، مقصودة لكنها ليست جزءاً أصيلاً فيما قيل بالفعل، ولا هو يقتضيه منطقياً. ومنها ما هو عُرفي conventional له ارتباط ثابت بتعابير لغوية معينة، وما هو حواري conversational ينبغي استنتاجه من المعلومات السياقية.

(Cruse, Alan. *A glossary of semantics and pragmatics*, p.85)

تشهد الترجمة العربية للمصطلحين لبساً واختلافاً كبيرين، ما بين "الاستلزام" و"الافتضاء" و"اللزوم" و"التضمنين" و"المضمّر" و"المفهوم".... لكن الشائع في ترجمة conversational implicature - وهو مفهوم جرايس - مصطلح "الاستلزام الحواري"؛ لذلك التزمت به هذه الدراسة على الرغم من أنه غير دقيق تماماً؛ إذ يُقصد به الدلالة على معنى غير لزومي ومن سماته قابلية الإلغاء. أما entailment فقد استخدمت الدراسة في ترجمته "اللزوم المنطقي"؛ لأنه يفهم بالضرورة من لفظ العبارة.

وهذا على الرغم من كون فلسطين في ذلك الوقت موضع أطماع فرنسية- إنجليزية، وعلى الرغم من نشاط الحركة الصهيونية العالمية منذ القرن التاسع عشر. فهل كان الحسين يُعدُّ فلسطين حقًا عربيًا جليًا لا يستدعي حاجةً للنقاش، أم لم يكن يأخذ نزاع القوى حولها بشكل جدي، أم أنه توقع خلًا حادًا في التفاوض إن هو ذكرها فأثر أن يُسقط تحديدها في مطالبه عمدًا، أملًا أن يحصل على وعود غير محددة بدورها يستطيع تأويلها بما يفيد مصالحه وقت الحاجة؟ لعله مما يدعم الاحتمال الأخير ملاحظة جورج أنطونيوس حول الأسلوب الحذر الذي تتسم به رسائل الحسين، والذي كان قد ثقفه بحكم تجربته في القسطنطينية أثناء حكم السلطان عبد الحميد "حينما كان لا بد للمرء من أن يلجأ إلى الحذر إذا ما اضطر إلى التعبير عن آرائه، فيعبر عنها بأسلوب مبهم غير مفهوم"<sup>(١)</sup>.

#### • الرسالة الرابعة (٢٤/١٠/١٩١٥م - ١٥ ذي الحجة ١٣٣٣هـ):

تعد هذه الرسالة الرابعة (جواب مكماهون الثاني) أهم وثيقة تاريخية ضمن المكاتبات العشرة؛ فقد اشتملت على العهود التي دعت العرب إلى إعلان اشتراكهم في الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها، وقد أصبحت خلال السنوات التي أعقبت الحرب ماثراً للنزاع، وهي الوثيقة الرئيسية التي استدلت بها العرب في اتهام بريطانيا بنقض عهدها معهم<sup>(٢)</sup>.

إن إدراك الحسين كلاً من الرفض الضمني لمطالبه وتهديد وجهيه السلبي والإيجابي في الرد البريطاني السابق، اضطر مكماهون إلى التعبير عن أسفه لما عدّه مجرد استنتاج من الحسين:

- "إني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أنني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي قط".

كما دفعه ذلك إلى الحرص في رده الثاني على التخفيف الظاهري من تهديد الأوجه الأربعة في عملية التفاوض: وجهي المتلقي السلبي والإيجابي، ووجهي المرسل نفسه السلبي والإيجابي.

من أجل صيانة وجه المتلقي السلبي واصل مكماهون حشده المعتاد لألفاظ المديح والثناء والدعاء والأفعال التعبيرية المرتبطة بالتحية والمحبة في بداية رسالته ونهايتها:

<sup>١</sup> - جورج أنطونيوس: "يقظة العرب"، ص ٢٥٥.

<sup>٢</sup> - السابق، ص ٢٥٩.

- "إلى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين...".

- "وفي الختام أثبت دولة الشريف ذا الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحيتي وخالص مودتي وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة".

ومن أجل صيانة وجه المتلقي الإيجابي، وكى لا يُشعر الحسين بمزيد من تهديده، ولضمان بريطانيا في الوقت نفسه عدم تورطها في تعهدات لا ترغب بها، اضطر مكماهون في رده إلى الخوض في التفاصيل، لكن مع الحرص على تمويه أجوبته، بتوظيف الوسائل التداولية في الرفض وتويعها.

لقد اعتيد القول بأن وسائل الرفض غير المباشر تهدف إلى التأديب، لكنها - على تنوعها - لا تؤدي هذا الهدف بالطريقة نفسها، كما أن الرفض غير الأدائي الذي يُصنّف رفضاً مباشراً قد يكون له أيضاً دور تأديبي أو تلطيفي، وفي بعض الأحيان دور مراوغ إذا ساندته عناصر مراوغة أخرى.

فمثلاً اللجوء إلى التعبير عن انعدام إمكانية الفعل يعزو الرفض إلى طبيعة الأشياء وحقائق وجودها، لا إلى موقف الطرف الراض ورجباته، ما يبرئه من محاولته تهديد وجه مخاطبه من ناحية، ويخفض من احتمالية الإلحاح من ناحية أخرى؛ فلا يمكن منطقيًا معارضة طبيعة الأشياء. من ذلك قول مكماهون:

- "إن ولايتي مرسين وإسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة".

فعلى الرغم من صيغة الرفض المباشر غير الأدائي في هذا المقتبس السابق، فإن ما يرفضه مكماهون بالضبط غير محدد. إن عبارة "أجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب" تعد الإشكالية الكبرى في نصوص الرسائل العشرة، وأكثر ما شهد شدةً وجذباً في التأويل بين العرب والإنجليز حول وضع فلسطين؛ إذ تبين في مؤتمر لندن ١٩٣٩ الذي نظّمته بريطانيا للتداول حول القضية الفلسطينية أن هذه العبارة - بنص تعبير ممثلي الوفد البريطاني - "لها من القوة أكثر مما

كان يبدو من قبل" (١).

لم يختلف المندوبون العرب والإنجليز في أن فلسطين كانت داخلة ضمن المنطقة التي طالب بها الحسين للدولة العربية في رسالته الأولى. لكن الوفد العربي تمسك بأن تحفظات مكماهون هنا كانت تقتصر على المناطق الساحلية من سوريا الشمالية، في حين تمسك البريطانيون بأن هذه العبارة تُخرج سوريا الجنوبية وبيروت ولواء القدس ("سنجق القدس") - بحسب التقسيم الإداري العثماني -، وأن المقصود هو غربي الحد الممتد من كيليكيا (قيليقية، جنوب الأناضول) على خليج العقبة، وإن كانوا مع ذلك يُقرون بأن العبارة التي تضمنت هذا الاستثناء "لم تكن محددة صريحة ولا غير قابلة للخطأ كما ظُن في وقتها" (٢).

إن عدم التحديد في العبارة وقابليتها لأكثر من تأويل يعنيان بالمصطلحات التداولية أن العبارة **تخرق قاعدة الطريقة**، القاعدة الرابعة في مبدأ التعاون لجرايس، فهي تمثل ما يُعرّف بالمصطلحات المنطقية بـ"مغالطة التباس المبنى" أو "اشتراك التركيب" أو "الغموض التركيبي" Amphiboly، وهي مغالطة تنتج عن تفكك مبنى العبارة وتعرثر الطريقة التي تتضام بها ألفاظها، بحيث تكون قابلة بسبب تركيبها لأكثر من تفسير واحد، وقد تكون صادقة وفقاً لتأويل معين وكاذبة وفقاً لتأويل آخر (٣).

ينبع هذا الغموض أو الالتباس من عدة عناصر داخل العبارة، منها التكرير في كلمة "أجزاء"؛ فإن التكرير دلاليًا قد يفيد العموم أي عدم التحديد، وقد يفيد التكرير أو التقليل فيما يحيل إليه اللفظ، لكنه لا يفيد الشمول. وهذا ما يفتح الباب لتأويل "الأجزاء" المقصودة - مهما قلت أو كثرت - في ضوء كفاءة المتلقي التواصلية ومقدار معلوماته السياقية؛ لهذا فسرها أعضاء الوفد الإنجليزي في ضوء قيد - لاحق ذكره - متعلق بمراعاة المصالح الفرنسية المتفق عليها، وهو ما صرح كلايتن Gilbert Clayton (٤) مساعد مكماهون بأنه كان المقصود. أما أعضاء الوفد العربي فقد فهموا أن بريطانيا لا تعترف

١- تقرير اللجنة المؤلفة لدرس مراسلات حسين- مكماهون في مؤتمر لندن ١٩٣٩، من الموقع الإلكتروني لمؤسسة الدراسات الفلسطينية: [www.palestine-studies.org](http://www.palestine-studies.org).

٢- المرجع السابق.  
٣- عادل مصطفي: المغالطات المنطقية- طبيعتها الثاقبة وخيزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص١٩٩.

٤- ضابط مخابرات بريطاني، كان من ضمن مهامه الإشراف على المقاتلين العرب المنضمين إلى الثورة ضد العثمانيين، توفي ١٩٢٩م.

لفرنسا إلا بأجزاء من سوريا الشمالية وفقاً لقراءتهم التحفظ في ضوء الموقف المعلن الذي كانت تتخذه وزارة الخارجية البريطانية آنذاك - على حد تعبيرهم الرسمي<sup>(١)</sup> -.

عنصر آخر يسبب الغموض والالتباس في العبارة يكمن في تحديد المساحة الجغرافية المقصودة من قيد "الجهة الغربية". إن كلا التأويلين السابق ذكرهما للمنطقة المقصودة من تحفظ مكماهون (سواحل سوريا الشمالية في التأويل العربي، وسوريا الجنوبية وبيروت ولواء القدس في التأويل البريطاني) غير مصرح بهما في نص العبارة على الإطلاق. أحدهما يدور حول الشمال والآخر حول الجنوب، في حين أن نص العبارة لا يذكر سوى الغرب.

المعنى المباشر لنص العبارة هو الغرب الممتد على خطوط عرض المدن الأربعة المحددة نفسها، وهو ما يعني تقريباً - بالنظر إلى الخارطة - منطقة بيروت وما فوقها، أما النية الإنجليزية كما حددها ممثلو بريطانيا فهي غربي الحد الممتد - طولياً - من كيليكيا إلى خليج العقبة. وهو ما يسم عبارة مكماهون بخرق آخر لمبدأ التعاون يمس قاعدة الكم، وليس فقط قاعدة الطريقة؛ إذ أغفلت التحديد الطولي للمناطق المتحفظ عليها إغفالاً تاماً على الرغم من كونها محددة على هذا النحو الدقيق لدى السياسيين البريطانيين.

لكن يبدو أن عنصراً ثالثاً أسهم أيضاً في هذا الالتباس - ربما عند مكماهون نفسه - يكمن هذه المرة في لفظ "ولايات"؛ فبحسب التقسيم الإداري العثماني لم يكن ثمة شيء اسمه "ولاية دمشق"، و"ولاية حمص"، و"ولاية حماة"، بل كان يضم الثلاثة ولاية واحدة هي "ولاية سورية"<sup>(٢)</sup>. ومن ثم فإن عبارة مكماهون لا تدل على أي معنى إلا إذا فُهمت الكلمة على أنها تعني "مناطق"<sup>(٣)</sup>.

يزعم إيلي قدوري أن كلمة "ولاية" (wilāya) في العامية العربية يمكن أن تعني بلدة/مدينة (town)، ويستدل على هذا بأن الحسين نفسه استخدم الكلمة لوصف مدينة

١- تقرير اللجنة المؤلفة لدرس مراسلات حسين- مكماهون في مؤتمر لندن ١٩٣٩.

٢- جورج أنطونيوس: "نيظة العرب"، ص ٢٦٨.

٣- السابق، ص ٢٦٩.

مرسين في رسالة تالية (١٩١٥/١١/٥)<sup>(١)</sup>، لكن هذا لا ينفي أن ما قصده مكماهون بـ"ولايات دمشق وحمص وحماة" يبقى غير ذي دلالة محددة، سواء كان هذا الغموض مقصودًا أو ناجمًا عن سوء ترجمة بين الإنجليزية والعربية لدى مكماهون وفريقه، وحتى مع انخراط الحسين فيه وتسليمه بهذا الاستعمال للكلمة؛ فالابتعاد عن الاصطلاح الرسمي للكلمة يعني أنه لا حدود رسمية تُعَيَّن أين تبدأ المساحة الجغرافية المقصودة، وأين تنتهي، وما يقع غربها أو شرقها أو شمالها أو جنوبها.

من وسائل الرفض غير المباشر المتجلية في هذه الرسالة الرفض بالتعبير عن مبدأ. يكتسب الرفض بالتعبير عن مبدأ طابعًا أخلاقيًا مما يجرح صاحب الطلب ويدفعه إلى الانصياع للرفض، وإلا أهدر ماء وجهه السلبي. وهذا ما حاول مكماهون فعله في استناده على مبدأي احترام مصالح الحلفاء، واحترام المعاهدات، يقول:

- "وأما من خصوص الأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفاتها فرنسا فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية".
- "مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود".

يرد تبني هذين المبدئين في حد ذاته كأنه حجة وافية ونهائية لا تحتاج إلى تفسير ولا تحتتمل نقاشًا، على الرغم من أن ما يستبعده تمامًا مما تقبله بريطانيا وتقدم الموائيق بشأنه غير واضح، وكأن تحديده تُرك عمدًا لتأويلات الحسين، الذي لم يدرك بالنهاية مقدار المصالح الفرنسية، إلى جانب استنتاجه اقتصار المعاهدات المقصودة على بعض مناطق العراق كما يتضح من جوابه التالي.

أما الرفض عبر اقتراح البديل فيقلل من تهديد الوجه الإيجابي لكل من صاحب

<sup>1</sup> - Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, p. 101.

والغالب أن هذا الاستعمال من الحسين لم يكن سوى تأثر باللبس السابق في استعمال الكلمة خلال الرسائل؛ فالاستعمال الأوسع انتشارًا وتداولًا لكلمة "ولاية" لدى أبناء العربية بمختلف لهجاتها وفي عدة مجالات (فقهية وقانونية واجتماعية وسياسية تاريخية) يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجوانب السلطوية في دلالاتها المنصبة على جهة الحكم أو الملك أو أحقية التصرف في الأمر، وليس الجانب المكاني، حتى إنها تنتقل في بعض الاستعمالات إلى الدلالة الزمنية ("فترة ولاية فلان") أكثر من انتقالها إلى الدلالة المكانية.

الطلب ورفضه؛ فهو يوحي بأن الطرف الراض لا يرفض التعاون مع مخاطبه بالملق، بل يهتم بمصلحته ويعرض عليه أفضل ما يمكن تئله، وهو ما يرفع من احتمال تراجعته عن طلبه الأساسي. وعمد إليه مكماهون في:

- "أن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجود منع التعدي عليها".

ليس من السهل إدراك الرفض الضمني في مثل هذه العبارة - وهو بالفعل ما لم يحدث -. لقد اعتمد مكماهون في صوغها على وسيلتي اللزوم المنطقي *entailment* والاستلزام الحواري *implicature*، فوضع المعنى الذي يريد للحسين أن يفهمه لزومًا عبر علاقة اشتغال بقوله "الأماكن المقدسة"، فهو يعني بالضرورة أن بريطانيا تضمن موضع المسجد الحرام، وتضمن موضع المسجد النبوي، وتضمن موضع المسجد الأقصى. هذا اللزوم المنطقي فهمه الحسين وفيما بعد مفاوضو الوفد العربي؛ فقد استدلو بهذا المقتبس "لإثبات أن مكماهون كان يفكر في فلسطين ويعنيها حين قطع العهود البريطانية للشريف الحسين"<sup>(١)</sup>.

لكن ما لم يدركه المؤولون العرب، وما منح ذريعة التنصل للبريطانيين هو أن مكماهون في الواقع قدم اقتراحًا بديلاً للطلب العربي عن طريق استلزام حواري لا يفهم إلا عبر سلسلة من الاستدلالات المتعلقة بالمعلومات السياقية وطريقة تأطيرها، علاوة على أنه يمكن ببساطة إلغاؤه صراحةً بالامتناع عن التعاون، أو سياقًا بإعادة وضع المنطوق في سياق يُبطل التعاون<sup>(٢)</sup>. يؤدي هذا الاستلزام الحواري من جديد إلى ما يمكن عده مغالطة التباس؛ فلفظ "تضمن" لا يعني في لغة السياسة اعترافًا بالاستقلال، كما أن تعبير "اعتداء خارجي" يتوقف فهمه على تفسير كل من الممارسة التي تعدها الحكومة البريطانية "اعتداءً"، والطرف الذي تعده "خارجيًا"، وهو ما يوقع مُفسّر الخطاب - ومحلله - في شَرَكٍ تاريخي وعالمي عميق من السجال حول الهويات العرقية والدينية، والادعاءات حول حق امتلاك الأرض والوجود التاريخي، وشرعية فرض "الحماية" و"الانتداب" بحد ذاتها. وهو الشَرَك الذي فتحه ممثلو بريطانيا في مؤتمر لندن بالفعل، فجاء نص ردهم: "كانت

<sup>١</sup> - تقرير اللجنة المؤلفة لدرس مراسلات حسين- مكماهون في مؤتمر لندن ١٩٣٩.

<sup>٢</sup> - Grice, H. P. *Studies in the Way of Words*, p. 39.



فلسطين في مركز خاص جدًا في الوقت الذي دارت فيه المكاتبات نظرًا لكونها بلادًا مقدسة لديانات ثلاث كبرى، ولاهتمام المسيحيين والمسلمين واليهود بها في العالم كله، ولكثرة عدد المباني الدينية وغيرها فيها، والمعاهد التابعة لغير العرب، وللمصالح العملية الواضحة لبريطانيا العظمى في بلاد مثلها مجاورة لمصر وقناة السويس. ويذهب مندوبو المملكة المتحدة أيضًا إلى أن فلسطين ليست بلادًا عربية صرفًا<sup>(١)</sup>.

وأما الرفض عن طريق التأجيل فهو يحمل رسالة مفادها أن الطلب المقصود ليس ذا أولوية كما يبدو لصاحبه، ما قد يدفعه إلى إعادة النظر فيه، ويمهد للرفض الطريق لرفع قضية أخرى إلى مقدمة الأولويات، أو على الأقل يُكسبه فسحة من الوقت للتفكير وقراءة الأحداث المستجدة، كما في:

- "ولقد اقتصررت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى وإن كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل".

ويأتي - مرة أخرى - بعد تنوع وسائل الرفض، الوسيلة الأكثر مراوغة، القبول الذي يعد بمثابة الرفض، ليخبر مكماهون عن قبول وتوافق ظاهريين بعد إفراغ المطالب من مضمونها:

- "أنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة".

ليس تمويه الرفض السمة الوحيدة في رد مكماهون الثاني خلال مراسلات التفاوض، بل تظهر فيه بجلاء سمة أخرى يمكن تسميتها لبس الطلب بالاستجابة.

لقد عمد مكماهون في رده الأول إلى تهديد وجهي الحسين السلبي والإيجابي، فدفعه بذلك إلى المبالغة في محاولة إزالة ذلك التهديد بالإسهاب في تبرير مطالبه والغلو في إظهار الولاء لبريطانيا، ومن ثم استغل في رده الثاني هذه المبالغات، ليقدّم بدوره المطالب البريطانية، لكن في مناورة تجعلها تبدو كأنها استجابة للمطالب العربية نفسها أو نتيجة

١- تقرير اللجنة المؤلفة لدرس مراسلات حسين- مكماهون في مؤتمر لندن ١٩٣٩.

تلقائية لها، غير أنها في الواقع مطالب لم يطلبها الحسين قط:

- "هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الأوروبيين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قومية يكونون من الإنجليز".

- "أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة".

- "وإني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال".

ينبغي هنا ملاحظة أن هذه المقتبسات الثلاثة وردت تحت اسم "مواثيق" يقدمها مكماهون بالتفويض من حكومة بريطانيا، وهي في حقيقتها إما أفعال توجيهية مبطنة يُنتظر أداؤها من المخاطب وليست التزاماً من المخاطب، وإما أفعال إخبارية تعبر عن واقع سابق وليست عملاً مستقبلياً.

يحمل المقتبسان الأول والثاني منها طلباً معكوساً مفاده إطلاق يد بريطانيا في مناطق الدولة العربية المفترضة، وظف فيه مكماهون فعلاً إخبارياً أولياً (primary) يبدو كأنه نقل لوقائع - أي مطابقة من الكلمات للعالم -، لكنه يفتقد حقيقة شرط الإخلاص المتمثل في صدق الاعتقاد، وذلك في قوله "العرب قد قرروا..." و"العرب تعترف..."; إذ إن كلام الحسين السابق ليس فيه أي التزام من العرب باقتصار أخذ الإرشادات على بريطانيا وموظفيها وحدهم، ولا بحرية بريطانيا في اتخاذ ما تريده من إجراءات لحماية مركزها بالعراق. وتظهر معالم الطلب في المقتبس الثاني على استحياء عبر النص على السبب والضرورة في "تستلزم".

وقد حرص مكماهون في صياغة هذا المقتبس - كما أفاد بنفسه - على أن يضمن لبريطانيا كل ما هو دون الضم العسكري الصارخ والمفتوح، أي حرية التصرف في

الإجراءات العسكرية وإدارة المشاريع التجارية والصناعية<sup>(1)</sup>. وهو ما يضمنه التأكيد وانفتاح الدلالات في صياغة تعبير "تدابير إدارية مخصصة".

كذلك يحمل المقتبس الثالث طلبًا مبطنًا في قوله "يكون من نتائجها المستعجلة..."، نصّ فيه مكماهون على المحتوى القضوي المطلوب لكن في هيئة افتراض تداولي أخذ صيغة جملة جانبية، لا ركنٍ أساسي من أركان الجملة.

بهذا التخطيط نجح مكماهون في صيانة وجهه السلبي - أو وجه بريطانيا السلبي - ؛ فهو ظاهريًا لم يطلب شيئًا من مخاطبه، لا بالشكل اللغوي المباشر، ولا غير المباشر، لكنه في الآن نفسه بدأ بإعادة ترتيب موضوعات التخاطب وتشكيل رقعة التفاوض كاملة وفقًا لمصلحته، وأرسل تهديدًا مبطنًا لوجه الحسين الإيجابي، الذي سيدرك بالضرورة أنه في مأزق تفاوضي يواجه فيه التزامات تُنسب إليه، لكنها قد لا تتاسبه، ولا هو أنجز في الحقيقة أي فعل كلامي التزامي بأدائها.

#### • الرسالة الخامسة (١١/٥/١٩١٥م - ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٣هـ):

وجد الحسين نفسه أمام معضلتين يهدد كل منهما وجهه: حاجات له لا يستطيع نيلها، والتزامات تورط في نسبتها إليه. ولم يجد بُدًا من التمسك بصيانة وجهه الإيجابي والانخراط في التعاون الذي أظهره مكماهون، فترجع خطوة في مطالبه و"ترك الإلحاح" - بتعبيره -، وأنجز أفعالًا إعلانية بالتخلي عن بعض المناطق المختلف بشأنها تجاوبًا مع الرغبات البريطانية:

- "تسهيلًا للوفاق وخدمةً للإسلامية فرارًا مما يكلفها المشاق والإحْن ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا نترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأطنة (أضنة) في أقسام المملكة العربية".

وبقبول إرجاء المطالبة ببعضها إلى أجل مستقبلي غير مسمى، لكنه احتفظ بحقه في رفض التخلي التام عنها لانعدام إمكانية ذلك، على أساس طبيعة الأشياء، مع النص على الأعدار والأسباب التاريخية، إلى جانب تقييد قبول هذا الترك المؤقت بالحصول على مقابل مادي:

<sup>1</sup>- Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, p. 105.

- "حيث إن الولايات العراقية هي من أجزاء المملكة العربية المحضة، بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده، وبها قامت مدنية العرب وأول ما اختطوه من المدن والأمصار واستفحلت دولهم فلها لدى العرب أقصاهم وأدناهم القيمة الثمينة والآثار التي لا تنسى، فلا يمكننا إرضاء الأمة العربية وإرضاخها لتترك ذلك الشرف، ولكن تسهياً للوفاق سيما والمحاذير التي أشرتم إليها في المادة الخامسة من رقيمكم آنف الذكر... فإن أهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا بصورة كأنها الجوهر الفرد يمكننا الرضا بترك الجهات التي هي الآن تحت الإشغال البريطاني إلى مدة يسيرة... دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرة أو خلل... وأن يُدفع للمملكة العربية في مدة الإشغال المقدار المناسب من المال لضرورة تتركبه كل مملكة حديثة الوجود. مع احترامنا لوفقاتكم المشار عليها مع مشايخ تلك الجهات وبالأخص ما كان منها جوهرياً".

وعاد ليعبر عن تمسكه ببعض ثالث كان قد قبل سابقاً التخلي المؤقت عنه أيضاً إلى مستقبل غير مسمى، فرفض التخلي التام وعبر عما يمكن عدّه اقتراحاً بديلاً بأفعال التزامية تضمن حقوق الأقليات في تلك المناطق، جاءت بصيغ حاسمة ممعنة في ضمان وقوع الفعل، أولها استعمال لام الأمر في "لتقوم فيهم"، وثانيها بصيغة غير مباشرة تقوم على النص على تحقق المحتوى القضوي<sup>(١)</sup>، وثالثها تناص مع القاعدة الفقهية في معاملة أهل الذمة يقوم بذاته على النص على المحتوى القضوي:

- "وأما ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فإنهما ابنا جد واحد، ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الإسلامي ومن تبعه من الخلفاء أن يعاملوا المسيحيين كمعاملاتهم لأنفسهم بقوله "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به".

<sup>١</sup> - النص على تحقق المحتوى القضوي من الوسائل التي شرحها سيرل لإنجاز فعل التزامي غير مباشر. Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, p. 56.

بهذا القبول المؤقت والرفض المؤجل وتقديم الضمانات يحاول الحسين أن يوازن بين صيانة وجهه السلبي بتمسكه بحقوق العرب الذين يمثلهم مع شيء من الفخر بالتاريخ العربي، ووجهه الإيجابي باندماجه في التعاون مع مفاوضه ورغبته في الوفاق. كما أنه اضطر صيانةً لوجهه السلبي إلى الالتزام الأخلاقي باحترام الاتفاقات التي أشار إليها مكماهون لبريطانيا مع مشايخ بعض المناطق العربية، على الرغم من كونها اتفاقات لم تُحدّد أو يُذكر مضمونها أو عددها، وإن كان رد الحسين يقصرها على الجهات العراقية.

وبهذا خسر الحسين فعلياً أجزاءً من مطالب قيام دولته، وترك ثغرة تفتح مجالاً لخسارات أخرى محتملة؛ فلا هو انتزع موافقة على الحدود التي طلبها، ولا ضماناً للحدود التي اقترحها مكماهون.

على الرغم من ذلك أوقف الحسين الخوض في مطالبه الأولى أملاً منه في أن ينتهي التفاوض حولها بالتنازل الجزئي الذي قدمه، وانشغلاً بوضع ثقله لمواجهة الالتزامات التي حول مكماهون دفة التفاوض إليها.

لم يكن من مصلحة الحسين بطبيعة الحال خسارة الدعم البريطاني، فلم يُتَّح له خيار إنكار الالتزامات المفروضة عليه لأن ذلك يهدد وجهي مخاطبه باتهامه بالكذب أو سوء الفهم، والتتصل من العلاقة التعاونية معه. لذلك لجأ الحسين إلى منفذين وظف فيهما استراتيجيات التآدب عبر الرفض غير المباشر - ويُعد هنا مرة أخرى رفضاً مؤقتاً، وربما قبولاً مقيداً:

أولهما: أنه عمد في رده على مطلب استعجال التحرك المسلح ضد الأتراك، الذي قدمه مكماهون بوصفه نتيجة لتحالف المطلوب بين الجانبين العربي والبريطاني، إلى ذكر الأعذار والتحذير من العواقب، وهما من وسائل إثراء صاحب الطلب عن طلبه، لكنه أشار من طرف خفي إلى انتباهه إلى كونها رغبة بريطانية لا مطلباً عربياً، عبر الإضافة الصريحة إلى ضمير المخاطب في تعبير "رغبتكم":

- "رغبتكم في الإسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد بقدر ما نرى فيه من المحاذير، أوله خشية لوم الإسلامية كما سبق الجاهل عن حقائق الحالة بأننا شققنا عصاها وأبدنا قواها، الثاني المقام تركيا معاضدتها جميع معاني قوى

## جرمانيا لجهلنا عما إذا حصل وهن إحدى دول الائتلاف وأوجبها على صلح دول الاتفاق".

وثانيهما: اللجوء إلى التقييد بشرط مستقبلي، فاستعمل أسلوب الشرط بقوله:

- "متى علمت العرب أن حكومة بريطانيا حلفائهم لا يتركونهم عند الصلح على حالهم أمام تركيا وجرمانيا وأنهم يدافعون عنهم ويعاضدونهم ويدافعون عنهم الدفاع الفعلي فالدخول في الحرب من الساعة لا شك أنه مما يوافق المصالح العربية".

إن التقييد بشرط في الماضي (مثل: "لو أنك سألتني سابقاً") يعد غالباً رفضاً قاطعاً إذ لا يمكن تغيير الماضي، أما التقييد بشرط في المستقبل فهو رفض قابل لإعادة النظر فيه وفق ضمانات أو تعهدات يمكن لصاحب الطلب أن يؤديها، فيما يعد بحد ذاته فعلاً توجيهياً غير مباشر بطلب عون بريطانيا يمكن إدراجه ضمن آلية النص على تحقق أسباب الفعل؛ فإسراع التحرك المسلح يقتضي الدعم البريطاني. وهو طلب عضده الحسين قَبلاً عبر آلية السؤال عن تحقق المحتوى القضوي في:

- "فكيف تكون خطة بريطانيا العظمى وحلفائها لئلا تكن<sup>(١)</sup> الأمة العربية أمام تركيا وحلفائها معاً؟ إذ لا يهمننا ما إذا كنا والعثمانية رأساً لرأس".  
ثم بصيغة السبب الإلزامي في:

- "وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الأوجه ولا سيما عقد صلح اشتركنا في حربيه بصورة غير رسمية يخول للمتصالحين البحث فيه عن شؤوننا...".

وبهذا عُدَّ الحسين موافقاً بشكل جزئي على المطالب البريطانية، ومتقبلاً بشكل جزئي لرفض مطالبه السابقة.

لكنه مع ذلك حرص على إرسال طلب أخير يحفظ به وجهه السلبي، وبلغت إلى انتباهه إلى المراوغات البريطانية واستيائه منها، ويثمن التنازل الذي قدمه، ويكرر تأكيد تفويضه من الشعب وعدم سعيه إلى مصلحة شخصية. وظف لذلك الطلب صيغة النص على المحتوى القضوي مع النص السالف على الضرورة، وهي صيغة توحى بحتمية أداء

١- هكذا في نص الرسالة، والصواب "تكون".

الفعل المطلوب، وعدّه حقيقة لا سبيل إلى تجاهلها، يقول:

- "وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الأوجه...: سابقاً - وصول الجواب الصريح القطعي في أقرب زمن على ذكر أعلاه من الطلبات إذ أننا استعملنا كل ما يقربنا إليكم من التساهل الجدي الذي لا يراد به حقيقة جوهرية فإننا نعلم أن نصيبنا من هذه الحروب إما سعادة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم أو الاضمحلال في سبيلها. ولولا ما رأيتم ورأيت ما في عزمهم لاخترت العزلة في شواهد السراة، ولكن أبوا عليّ يا عزيزي - أعزك الباري بمرضاته - إلا أن يقودني إلى هذه المواقف".

بهذه الرسالة كان النقاش قد بدأ ينحرف بشكل تام باتجاه مشاركة العرب في القتال وضماناتها ومحاذيرها، مع اعتقاد الحسين بأن عروضه بشأن الدولة والحدود ستلقى القبول البريطاني.

• الرسالة السادسة (١٤/١٢/١٩١٥م - ٨ صفر ١٣٣٤هـ):

لقد حقق مكماهون تقدماً على الحسين عبر استراتيجيته في التمويه والمراوغة والموازنة بين الصيانة الظاهرة لوجهي مخاطبه والتهديد الباطن لهما، لذلك واصل في رده الثالث الوسيطتين اللتين لجأ إليهما في رده الثاني: تمويه الرفض، ولبس الطلب بالاستجابة. فعلى الرغم من أن الحسين لم يقدم مطالب جديدة، أعاد مكماهون مناقشة بعض المطالب التي ظن الحسين أنها قُبِلت؛ من أجل توسعة مساحة الرفض بعد استجابة الحسين للمساحة السابقة، فحاول اختزال تلك المطالب وتفريغها.

لقد أنجز أولاً فعلاً تعبيرياً عن سروره لتخلي الحسين عن مرسين وأضنة:

- "وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأضنة (أضنة) من حدود البلاد العربية".

لكنه فعلياً لم يُنمّن هذا التخلي بالقدر الذي رجاه الحسين، ولا اكتفى بتعهده باحترام معاهدات بريطانيا مع بعض زعماء المناطق العراقية، بل حاول تمديد الاستثناء باستثناء آخر أكثر اتساعاً وأقل تحديداً، فتحول من "بعض رؤساء العرب" في رده السابق إلى "جميع معاهدتنا مع رؤساء العرب الآخرين" و"جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية" في هذه الرسالة، فيحول البعض إلى الكل والمخصص إلى العام، مستغلاً انخراط

الحسين في مبدأ احترام المعاهدات الذي رفعه سابقاً واتخذه وسيلة متجددة للرفض صالحة لإعادة الاستعمال كلما دعت الحاجة، يقول:

- "وفي قولكم إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يُعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء".

يرى قدوري أن ما كان يدور في ذهن مكماهون هو المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع ابن سعود والإدريسي وحاكم الكويت وشيوخ ساحل عُمان، مشيراً إلى الصيغة الحرجة والمضللة في الاعتراف غير المقصود بمصطلح "المملكة العربية" الذي استغله الحسين فيما بعد<sup>(١)</sup>.

ومرة أخرى لم يؤدِّ هذا الفعل الطلبي التوجيهي بشكل مباشر، لكن بألية النص على تحقق المحتوى القضوي، بل بإظهار هذا المحتوى مآلاً حتمياً يلتزم به ملفوظ الحسين نفسه ("يُعلم منه").

علاوة على ذلك عبر مكماهون عن رفض مُتَّع جديد لمحاولة الحسين التمسك بمناطق "حلب" و"بيروت وسواحلها"، ووظف لهذا الرفض عدداً من الوسائل غير المباشرة، منها تكرار محاولة صيانة الوجه السلبي الخاص به بالتعبير عن مبدأ أخلاقي، مع التأجيل الرامي إلى التهرب:

- "أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة، ولكن لما كانت مصالح حليفاتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب".

استُعملت في هذا المقتبس أيضاً ألفاظ للطمأنة والاستمالة تؤدي في واقع الأمر فعلاً إخبارياً ولا تعبر عن أي فعل التزامي حقيقي مثل "قد فهمت... ودونت"، فثوهم المخاطب بما قد يعده قبولاً وهو في حقيقته رفض. لا سيما وقد ألحق هذا باستدراك للتعبير عن مبدأ

<sup>1</sup>- Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, p. 116.



والتعذر به، ثم بتأجيل يُقْصِي مسألة حلب وبيروت من التفاوض الحالي. لقد أقر مكماهون نفسه بأنه لم يكن على علم بمقدار المطامح الفرنسية في سوريا، ولا إلى أي مدى تقبل بها الحكومة البريطانية؛ لذا فقد حاول أن يقدم صيغة عامة خالية من أية تأكيدات يمكن أن تضر بمصالح فرنسا<sup>(١)</sup>. كانت المفاوضات البريطانية مع فرنسا حول تقسيم التركة العثمانية - التي انتهت باتفاقية ساكس-بيكو - جارية بالفعل بالتوازي مع مراسلات الحسين، ومع نهاية أبريل ١٩١٥ كانت الاتفاقية قد اكتملت، لكن الإنجليز قرروا إبقاءها سرية عن الحسين نظرًا لارتياحه من التدخل الفرنسي. وعلى الرغم من أنها - كما رأوا - لم تتعارض مع ارتباطاتهم معه، فقد آثروا تجنب سوء التفسير المحتمل لاقتسام مناطق النفوذ، وعولوا على أن مرور الزمن قد يجعل ما هو غير مستساغ آنذاك مقبولًا في المستقبل<sup>(٢)</sup>.

التسلسل نفسه تقريبًا لوسائل الرفض وظفه مكماهون في تقنيع رفضه لتمسك الحسين بولاية بغداد: فعل إخباري غير ملزم، ثم استدراك بذكر عذر ضروري، ثم التجميد بالتأجيل، وذلك مع تجاهل مطلب الحسين بخصوص دفع تعويض مقابل الترك المؤقت لهذه المناطق، والسكوت التام عنه - للمرة الثانية -:

- "إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرًا أدق وأتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات".

ووفقًا لإيلي قدوري كان مكماهون قد وُجِّه إلى استبعاد المطلب المالي الذي قدمه الحسين، وإلى النص على أن مصالح بريطانيا تستلزم النظر بتفصيل وعناية فيما يخص بغداد والبصرة، لكن الرد الفعلي من مكماهون على الحسين أغفل ذكر البصرة، وجعل ما تعرضه بريطانيا بالفعل على الحسين غامضًا بدرجة كبيرة<sup>(٣)</sup>.

<sup>1</sup>- Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, pp. 98- 99.

<sup>2</sup>- Ibid., p. 124.

<sup>3</sup>- Ibid., p. 116.

وينقل قدوري عن مكماهون قوله بأنه لم يذكر في رسالته المكتوبة إلى الحسين رفض المطلب المالي، لكنه ألمح إلى رسوله بهذا المعنى، ويعلق بأن ما قاله مكماهون وما فهمه الرسول وما نُقل إلى الحسين في هذا الشأن يبقى مجهولاً<sup>(١)</sup>؛ في انتقالٍ متعمدٍ إلى استعمال لغة منطوقة لا تعرف التسجيل يصعب إثبات ما جاء فيها، ويسهل إنكاره أو تحويره، عوضاً عن اللغة المكتوبة الموثقة.

بعد هذا يوظف مكماهون للمرة الثالثة على التوالي تسلسل وسائل الرفض في إبداء استجابة منقوصة لرفض الحسين العجلة في التحرك، فمن جديد: فعل إخباري لا يترتب عليه تغيير في الواقع، ثم استدراك لأداء طلب غير مباشر يعتمد على ذكر شرط الإخلاص والسبب الأخلاقي، ثم تقييد الاتفاق كاملاً بهذا الطلب المستقبلي الذي يعود بحد ذاته للانتقاص من قيمة الوجه السلبي للحسين، فيدعوه إلى تحقيق محتوى قضوي، يدعي هو أنه متحقق، بل يتخذ مصدرًا لشرعية تحركه:

- "وإننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جدًا أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة وأن تحثوهم على ألا يمدوا يد المساعدة إلى أعدائنا بأي وجه كان. فإنهم على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته".

كأن مكماهون بعد أن ضمن تراجع الحسين في بعض مطالبه وانخراطه في الالتزام بالمطالب البريطانية، يعود إلى سياسة تهديد الوجه التي اتبعها في رده الأول، فيشكك بشكل ضمني في شرعية التمثيل الرسمي للحسين، ويتهمه في الوقت نفسه إما بالكذب وإما بالجهل بحقائق الأوضاع في منطقتة التي يدعي تمثيلها.

أما الرد على شرط الحسين وضع خطة بريطانية لدعم العرب ضد الأتراك بعد الحرب فقد جاء أكثر وضوحًا وتحديداً من غيره وإن لم يكن مباشرًا، فبدلاً من إنجاز فعل التزامي مباشر لجأ مكماهون إلى الصيغة غير المباشرة القائمة على النص على تحقق

<sup>1</sup> - Ibid., p. 117.

شرط الإخلاص ("لا تنوي... إلا")<sup>(١)</sup>:

- "وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من سلطة الألمان والأتراك".

ويكاد يكون هذا الالتزام الوحيد الذي نجح الحسين في انتزاعه من مكماهون: الحرية والخلص من سلطة الألمان والأتراك - أعداء بريطانيا - وليس من سلطة أي طرف آخر.

جدير بالذكر أن مكماهون قد أنهى رسالته بمراوحة متقنة بين تهديد الوجه السلبي للحسين وصيانة وجهه الإيجابي، فهو يعلن إرساله مبلغًا ماليًا لدعم الحسين، في ممارسة ظاهرها إبداء التضامن والاستجابة للدعم المرجو من بريطانيا، لكنها ممارسة لم يطلبها الحسين ولم يشير في مکتوبه إلى حاجته السياسية إليها:

- "هذا وعربون على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين ألف جنيه".

فحصر بذلك الحسين بين خيارين: إما قبول المال وإهدار ماء وجهه السلبي، وإما رفضه وإهدار ماء وجهه الإيجابي. فكيف انعكس هذا الحصار في رد الحسين؟

• الرسالة السابعة (١/١/١٩١٦م - ٢٥ صفر ١٣٣٤هـ):

ضمنت استراتيجية المراوغة لمكماهون عدم الالتزام البريطاني بأي شيء تقريبًا تجاه التحرك العربي، لكنها لم تفلح في الانتزاع الرسمي لمزيد من التنازلات من قبل الحسين، لا سيما أن توقيت هذه الرسالة جاء مع أخبار هزيمة بريطانيا أمام الأتراك في معركة جنق القلعة التي كانت تهدف إلى احتلال إسطنبول<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن عودة مكماهون لتهديد وجهي مخاطبه وعدم تقدير تنازلاته قد أسفرا

<sup>١</sup> - والنص على تحقق شرط الإخلاص أيضًا من الوسائل التي شرحها سيرل لإنجاز فعل التزامي غير مباشر.

Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, p. 56.

<sup>٢</sup> - إحدى معارك الحرب العالمية الأولى وتُعرف أيضًا بـ "حملة جاليبولي" أو "حملة الدردنيل"، بدأتها القوات البريطانية والفرنسية في فبراير ١٩١٥م بهدف احتلال إسطنبول وفتح ممر للوصول إلى البحر الأسود ومساندة القوات الروسية، وانتهت بهزيمة بريطانيا وفرنسا مع نهايات ١٩١٥م وبدايات ١٩١٦م.

عن غضب شديد من الحسين، ظهر بوضوح في رده، وهو ما جعل قدوري - وربما غيره - يعده ردًا عدائيًا ووقحًا<sup>(١)</sup>.

فعلى الرغم من بدئه رسالته بالتعبير عن الارتياح والانشراح - غير المبررين - يتحول مباشرة في الجملة التالية إلى حالة من الدفاع عن النفس، وبتعبير تداولي الدفاع عن وجهه السلبي، فينفي عن نفسه السعي إلى مصالح شخصية، ويؤكد تمثيله السياسي للمصالح العربية العامة بنسبة الرغبة والإلزام للشعوب العربية ("أقوام") واستعمال المؤكد الحرفي ("إن") والمؤكد الأسلوب (النفي والاستثناء):

- "بأنامل الإجمال والتوقير تلقينا رقيمكم ٩ صفر الجاري برفق حاملهم وعلمت مضمونيهما وأدخلا علينا من الانشراح والارتياح ما لا مزيد لإزالتهما ما يختلج بصدري ألا وهو وقوف حضرتك بعد وصول أحمد شريف وحظوته بالجناب بأن كلما أتينا به في الحال والشأن ليس بنا شيء عن عواطف شخصية أو ما هو في معناها مما لا يعقل، وإنها قرارات ورغائب أقوام وإنا لسنا إلا مبلغين أو منفذين لها بصفتنا التي ألزمتنا بها إذ هذا عندي من أهم ما يجب وقوف شهامة الجناب عليه وعلمه به".

يُعدّ الدفاع عن النفس من وسائل الرفض التي تهدف إلى إثراء المحاور عن طلبه، وهو هنا طلب مكماهون جمع كلمة الشعوب العربية الذي حمل ضمناً اتهامًا بتقصير الحسين أو عدم أهليته.

مباشرةً ينتقل الحسين إلى تأكيد مطلبه السابق حول التعويض عن احتلال المناطق العراقية المتفاوض عليها بفعل إعلان مفاذه ترك تقدير مبلغ التعويض إلى الحكومة البريطانية، ما يحمل بدوره افتراضاً سابقاً Presupposition باتفاق طرفي التفاوض على وجود التعويض وتسليمهما به؛ إذ يتجاوز الافتراض السابق ما يُعرّف باختبار النفي<sup>(٢)</sup>؛ فتترك تقدير المبلغ أو عدم تركه يُبقي قضية وجود مبلغ للتعويض بحد ذاتها مثبتة، يقول:

- "أما ما جاء بالمحركات الموقرة فيما يتعلق بالعراق من أمر التعويض مدة

<sup>1</sup>- Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahon-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*, p. 119.

<sup>2</sup>- مانغونو، دومينيك: المصطلحات المفتاحية لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)/ منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٠٥.

الإشغال فزيادة إيضاح وقول بريطانيا العظمى بصفاتنا في القول والعمل في المادة والمعنى وإعلامها بأكيد اطمئناناً باعتماد حكومتها المفخمة نترك أمر تقدير مبلغه لمدارك حكمتها ونصفتها".

وهو المطلب الذي أغفله مكماهون تماماً بالسكوت عنه؛ فدفع الحسين - عمداً أو عن سوء فهم - إلى هذا الافتراض بقبول بريطانيا دفع تعويضات للمدة التي يؤجل فيها تسليم هذه المناطق للحكم العربي، إذ يُروى أن الحسين عدّ الدعم المالي البريطاني الذي كان يقدم إليه جزءاً من هذا التعويض<sup>(1)</sup>. وربما أسهم المبلغ الذي أعلن مكماهون إرساله "عربوناً" على صدق النية في تقوية هذا الافتراض، أو أن هذا التأويل كان المخرَج الذي وجده الحسين لصيانة وجهيه.

أيضاً فيما يخص بيروت وسواحلها أعاد الحسين موقفه في التخلي المؤقت - وليس الدائم - عنها، فأكد حق العرب في طلب استعادتها مستقبلاً، معبراً بهذا عن عدم إمكانية تزحزحه مسافة أكبر عن تنازلاته السابقة، ورفضه مزيداً من التراجع، الرفض الذي وظف لأجله وسيلة مباشرة غير أدائية هي نفي إمكانية الحدث، لكنه أتبعها بوسيلة غير مباشرة حفاظاً على وجهه الإيجابي الخاص بتأكيد انخراطه في الحالة التعاونية الدبلوماسية بين الطرفين، هي التحذير من العواقب، يقول:

- "أما الجهات الشمالية وسواحلها فما كان في الإمكان من تعديل أتينا به في رقيمنا السابق هذا، وما ذاك إلا للحرص على الأمنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى وعن هذا الحس والرغبة هما التي ألزمتنا بملاحظة اجتناب ما ربما أنه يمس حلف بريطانيا العظمى لفرنسا واتفاقهما إبان هذه الحروب والنوازل إلا أننا مع هذا نرى من الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرياسة أن يتيقنها بأن عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب سنطالبكم بما نعص الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها ولا أرى لزوماً بأن نحيطكم بما في هذا أيضاً من تأمين المنافع البريطانية وصيانة حقوقها هو أهم وأكبر مما يعود إلينا، وأن لا بد من هذا على أي حالة كانت

<sup>1</sup> - Ibid., p. 152.

ليتم للعظمة البريطانية أن ترى أخصاءها في البهجة والرونق التي تهتم أن تراهم فيه سيما وأن جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التي لا يمكن معها استقرار الحالة عدا أن البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ويلجئونا على حالات جديدة تهم وتشغل بريطانيا بصورة لا تكون بأقل من اشتغالنا الحالي بالنظر لما نعتقده ونتيقنه من اشتراك المنفعة ووحدها وحدها وهي الداعية الوحيدة لعدم التفاتنا لسواكم في المخابرات وعليه يستحيل إمكان أي تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبرًا من أراضي تلك الجهات".

فهو بنفي إمكانية الحدث يتصل خطابيًا من إبداء رغبة شخصية في الرفض، مُرجعًا إياه إلى عدم امتلاكه حرية التصرف في الأمر، فخير قبول التنازل المطلوب منه ليس بيده. كما يوازن في تحذيره بين الترغيب والترهيب - أو كما عدّه قدوري استبدالاً لنبرة السماحة بنبرة التهديد<sup>(١)</sup> -.

على الرغم من انفعال الحسين وتصديه للدفاع عن وجهه السليبي، وعلى الرغم من رفضه الحاسم للتنازل التام عن المطالبة بالمناطق الشامية والعراقية التي أرادها مكماهون ونفاد رصيد تراجعاته، فإن ما لم يكن بمقدور الحسين هو إغضاب المفاوض البريطاني، ليس فقط لأن بريطانيا كانت القوة العظمى الرئيسة في ذلك الزمان، بل أيضًا بسبب آليات المراوغة التي وظفها مكماهون في تفاوضه معه، والتي أوحى إلى الحسين بأنه ليس لديه الكثير ليفاوض عليه، وضمنت لبريطانيا اليد العليا في هذا التفاوض، فهي لا تطلب شيئاً من العرب ولا تدفعهم إلى تحرك لا يستفيدون منه، وإنما كل ما تقوم به هو الاستجابة والدعم لمطالبهم، ومن ثم فإن الحسين بحاجة إلى بريطانيا، لكن بريطانيا ليست بحاجة إليه.

إذن لم يجد الحسين بُدًا من تكرار تأكيد انخراطه في التعاون والمنافع المشتركة، وحتى استجابته للرغبة البريطانية في الإسراع بالتحرك المسلح، ليختم رسالته بالتهئية لطلبه الجديد الذي عبر عنه بالصيغة المباشرة عبر مصدر الفعل الأدائي للطلب:

- "فليعتقد جناب الوزير الخطير ولتعتقد بريطانيا الكبرى أننا على العزم الذي أشير

<sup>1</sup> - Ibid., p. 118.

إليه ويعلمه منا جناب الأريب الكامل استورس منذ عامين ولا نناظر فيه إلا الفرص المناسبة لأحوالنا وأخصها داعيته ووسيلته التي اقترب وقتها مما تسوقه الأقدار إلينا بكل سرعة ووضوح لتكن حجة لنا وعن رأينا على الاعتراضات والمسؤوليات المقدره وفي تصريحاتكم بقولكم "وإننا لسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم" يعني عن زيادة الإيضاح، ما عدا طلب ما نرى لزومه عند الحاجة من الأسلحة وذخائرها الحربية وما هو في معناها".

• الرسالة الثامنة (٣٠/١/١٩١٦م - ٢٤ ربيع الأول ١٣٣٤هـ):

لم يعد لدى المفاوض البريطاني ما يدفعه إلى الاستمرار في التفاوض بعد أن حقق غرضه في دفع العرب إلى الإعداد لتحرك مسلح أقنعهم بأنه مطلب حتمي لهم، وحتى جعلهم يلتزمون الدعم البريطاني لإتمامه.

لذلك لم يبق أمامه سوى أن يحافظ على هذا المكسب، بالمحافظة على حالة التعاون العربي مع بريطانيا. ولا سبيل إلى هذا سوى العودة إلى صيانة وجهي المفاوض العربي: السلبي بتأييد محاولاته في الدفاع عن صورته الاستقلالية وتقدير القيم التي عبر عنها لنفسه، والإيجابي بعدم الرفض الصريح لمطالبه التعاونية، وهذا على الرغم من الحدة التي بدا عليها خطاب الحسين. ولعل النظرة التداولية المرتكزة على مبدأ صيانة وجه المخاطب هي ما يفسر ما عدّه بعض الإنجليز آنذاك اندفاعاً من مكماهون تجاه الحسين قد يعطيه انطباعاً غير مرغوب فيه بأن أهميته بالنسبة إلى بريطانيا أكبر من أهميتها بالنسبة إليه، وهو ما برره مكماهون نفسه بقوله إنه كان مضطراً إلى تقديم ضمانات عاجلة تدفع العرب إلى الوقوف في صف بريطانيا بدلاً من عدوها<sup>(١)</sup>. وقد كان مكماهون بكل الأحوال في سعة من أمره لإبداء بعض التجاوب الشكلي بعد أن حقق ما يرجوه من التفاوض وبقي عليه فقط الحفاظ عليه.

وفي الوقت نفسه كان عليه أن يُنهي التفاوض الذي لن يُدرّ عليها نفعاً بعد؛ فالحسين لا يملك مزيداً من التنازلات. وإذ أدرك أن آليات الموافقة الزائفة أو الرفض المُقنّع

<sup>1</sup> - Ibid., p. 119.

وحدها تدفع الحسين إلى مزيد من الجدل، فقد قرر أن يقوم بمناورة جديدة، تمثلت في صرف النظر بشكل تام إلى العنصر الذي قدمه تدريجيًا من خلفية السياق إلى واجهة التفاوض، وهو المعركة المسلحة ضد الأتراك، وفرضها أولويةً وحيدةً لأجندة المراسلات، وتعليق كل قضايا التفاوض بالانتصار فيها عبر فعل التزامي مقيد، فيجمد بذلك التفاوض على حالة من التأجيل والغموض:

- "وإننا لنقدر حق التقدير الدوافع التي تقودكم في هذه القضية الهامة ونعرف جيدًا أنكم تعملون في صالح العرب وأنكم لا ترمون إلى شيء في عملكم غير صالحهم وحریتهم وقد عنيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد، وسنبحث هذا الموضوع باهتمام وعناية زائدين عندما تتم هزيمة الأعداء ونصل إلى التسويات السلمية.

أما ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى تحالف إنكلترا وفرنسا وسررت جدًا بإبداء مثل هذه الرغبة".

أكثر الأفعال الموظفة في هذا المقتبس لا تؤول إلى تغيير في العالم، فهي إما أفعال إخبارية تطابق فيها الكلمات العالم (نعرف- عنيت- كتبت) وإما أفعال تعبيرية لا اتجاه مطابقة لها (نقدر- سررت)، والفعل الالتزامي الوحيد هنا المنتظر أن يؤدي إلى استجابة في العالم هو المقيد بالأولوية البريطانية في الانتصار في المعركة (سنبحث)، الذي يرفق من خلاله مكماهون تطميناته الغامضة بمحاولة حفظ الوجه السلبي لبريطانيا أمام تشكيك الحسين الضمني في انتصارها بعد معركة جنق القلعة بتهديد ضمني آخر مفاده أن عدم انتصار بريطانيا وحلفائها يعني بالضرورة عدم تحقق المطالب العربية.

وقد أشار إيلي قدوري إلى الغموض وعدم المباشرة في كلمات مكماهون هذه التي كتبها دون الرجوع للحكومة البريطانية - وفقًا لقدوري<sup>(١)</sup> -، الغموض الذي برره مكماهون أيضًا بقوله: إنه كان غموضًا ضروريًا؛ لأن حكومة جلالة الملك لم تكن راغبةً في الالتزام بعملٍ مستقبليٍّ محدد، كما أن أي تعريف مفصل للشروط البريطانية كان سيخيف

<sup>1</sup> - Ibid., p. 118.



العرب<sup>(١)</sup>، وإنه لم يكن يتخيل للحظة أن هذه المفاوضات ستشكل حقاً الوجه المستقبلي للمنطقة، فكل ما كان يسعى إليه هو استمالة الشعب العربي إلى الطريق "الصحيح" وفصله عن "العدو"، وهذه بالنسبة إليه آنذاك كانت "مسألة كلمات" يتطلب النجاح فيها استخدام مفردات مُقنَّعة والامتناع عن المساومة على الشروط، سواء حول بغداد أو أي مكان آخر<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك يتوجه مكماهون إلى مقصده الرئيس في تحويل كل الاهتمام والجهد العربي باتجاه المشاركة في الحرب إلى جانب بريطانيا، معتمداً في أداء طلبه على صيغة شاذة غير معتادة، يقول:

- "والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق وتعمل معنا في سبيل هذه القضية الهامة فإننا لنرجو الله أن تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة وهذا التعاون الوطيد، صداقة دائمة، تعود على الجميع بالسرور والغبطة.

وقد سررنا جداً للحركة التي تقومون بها لإقناع الشعب بضرورة الانضمام إلى حركتنا والكف عن مساعدة أعدائنا، ونترك لفطنتكم وتقديراتكم تقرير الوقت المناسب، لاتخاذ تدابير أوسع من هذه".

لقد أشار جون سيرل أنه لا يمكن إنجاز فعل توجيهي طلبني بالنص على وجود سبب إذا كان هذا السبب رغبة المخاطب، فحينها يمكن إنجاز الطلب بالسؤال فقط<sup>(٣)</sup>. فيمكن للمتحدث أن يؤدي فعلاً إنجازياً غير مباشر عن طريق تأكيد وضع نفسي خاص به لكن لا يمكنه ذلك بالسؤال عنه، بالمقابل يمكنه أن يؤدي فعلاً إنجازياً غير مباشر بالسؤال عن وضع نفسي خاص بمخاطبه، ولا يمكن بتأكيد<sup>(٤)</sup>؛ وذلك لأنه من الغريب في الظروف العادية أن يسأل المرء الآخرين عن وضع نفسي خاص به هو، أو أن يؤكد لهم وضعا نفسياً خاصاً بهم، فلا أحد يعرف ما يريده المرء أو يؤمن به أو ينيوه أفضل مما يعرف هو نفسه، ولا يمكن لأحد أن يعرف ما يريده الآخرون أو يؤمنون به أو ينيونه أفضل مما

<sup>1</sup> - Ibid., p. 119.

<sup>2</sup> - Ibid., p. 120.

<sup>3</sup> - Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, p. 45.

<sup>4</sup> - Ibid., p. 55.

يعرفون هم<sup>(١)</sup>.

هذا الذي عدّه سيرل غريبًا أو شاذًا (odd) وظفه بالفعل المفاوض البريطاني، فخرق القاعدة ونص على "قرار" من قِبل العرب، ليعبر عما هو في الواقع توجيه بريطاني دُفعوا إليه، في إحياء بأنه قرار عربي ذاتي، لم يطلبه البريطانيون لغويًا بأي صيغة من صيغ الطلب المعتادة المباشرة أو غير المباشرة، بل بفرض أن بريطانيا تعرف ما يريد العرب أكثر من العرب أنفسهم.

يمكن إذن وسم هذه الرسالة بسمتين رئيسيتين هما: فرض الأولويات البريطانية وتجميد التفاوض.

#### • الرسالة التاسعة (١٤/٢/١٩١٦م - ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤هـ):

استجاب الحسين للأولوية البريطانية بضرورة بدء القتال، ولعله عدّ تقييد مطالبه المتعلقة بالدولة العربية وحدودها بالانتصار في الحرب وعدًا بتحقيقها، حتى إنه قد رأى في رد مكماهون السابق "حصولًا للتفاهم المطلوب والتقارب المرغوب" وفقًا لتعبيره، على الرغم من أن مكماهون لم ينجز في رسالته كلها أي فعل التزامي بهذا المحتوى القضوي. من ثمّ أنهى الحسين بدوره التفاوض ولم يعد إلى الحديث عن أي من مطالبه السابقة بلا أي ضمانات لتحقيقها، وانتقل إلى مناقشة الإعداد للمعركة المسلحة التي أكسبتها بريطانيا الأولوية:

- "بعد فبايدي التوقيع والاحتشام تلقينا رقيم الفخامة المؤرخ ٢٥ ربيع أول، وإن مضامينه أدخلت علينا مزيد الارتياح والسرور لحصول التفاهم المطلوب والتقارب المرغوب أسأل الله أن يسهل المقاصد وينجح المساعي. ومن الإيضاحات الآتية نفهم الفخامة الأعمال الجارية والأسباب المقتضية...".

انتقل الحسين إذن إلى تقديم مطالبه الجديدة الخاصة بهذا الإعداد للمعركة المرتقبة، مهد لها بما يشبه التقرير عن الخطوات الفعلية التي اتخذها صيانةً لوجهيه، وبخاصة وجهه الإيجابي التعاوني أمام المفاوض البريطاني الذي يصر عليه من أجل التحرك، فذكر

<sup>1</sup> - Ibid., p. 51.

توزيعه للمهام القتالية بين ولديه<sup>(١)</sup>، وقدم معلومات عن الأعداد والمواقع واحتمالات سير المعارك.

ثم قدم بعدها مطالبه العسكرية، في صيغة طلب غير مباشر، واضح، لكنه تأدبي، بقوله: "بقي علينا بيان ما نحتاجه". اعتمدت هذه الصيغة وجميع ما أدرج تحتها من نقاط على آلية النص على أسباب الفعل المطلوب، وغالبًا ما تعد الأسباب من الحاجات والضرورات والواجبات:

- "مبلغ خمسين ألف جنيه ذهبًا لمشاهدة القوات المجندة ونحوها مما ضرورته تغني عن بيانه".

- "إحضار عشرين ألف كيس أرز وخمسة عشر ألف دقيق وثلاثة آلاف شعير ومائة وخمسين كيس بن قهوة ومثلها سكر ومقدار خمسة آلاف بندقية من الطرز الجديد وما تحتاجه النسبة لها من المرميات...".

- "بالنظر لكون المواد الغذائية واللوازم الحربية الموضحة أعلاه لا حاجة لنا بها إلا عند ابتداء الحركة، وسنبلغكم إياها بصورة رسمية تبقى في الموضع المذكور وعند الحاجة إليها يبلغ أمير الجهة المذكورة...".

- "تعهد الحكومة البريطانية العظمى قبول هذه المصاريف الحربية بموجب الدفاتر التي تقدم إليها ببيان الوجهة التي صرفت فيها".

ومن الضروري الالتفات إلى طلب الحسين الأخير في رسالته الأخيرة إلى مكماهون؛ إذ طلب منه بوضوح إنجاز فعل التزامي بتحمل المصروفات الحربية، ما يعني - بشكلٍ ما - أنه لا يتوقع ممانعة لهذا الطلب، وأنه يدرك - بالرغم من تجاوبه مع التشكيل الجديد للأولويات - أن اشتراكه في الحرب أولوية بريطانية تنتفع منها بريطانيا قبل العرب، وعليها تحمل تكاليفها.

• الرسالة العاشرة (١٠/٣/١٩٣٤م - ٦ جمادى الأولى ١٣٣٤هـ):

حصل المفاوض البريطاني على كل ما رجاه من التفاوض بانخراط العرب في معركة لمصلحة بريطانيا دون أن تتكلف بريطانيا أية التزامات استراتيجية، ومع احتفاظه

<sup>١</sup> - نجله الأكبر علي بن الحسين (ت ١٩٣٥م) ملك المملكة الحجازية الهاشمية لاحقًا، والثالث فيصل بن الحسين (ت ١٩٣٣م) ملك العراق لاحقًا.

حتى الرسالة الأخيرة بإعلاء وجهيه السلبي والإيجابي، بتصوير تحريضه على هذه المعركة وارتفاعه منها كأنهما مجرد استجابة للرغبة العربية، لم يعبر عنها فقط عن طريق الأفعال الكلامية الإخبارية (أخبركم - ستحضر - أعلمنا) والتعبيرية (يسرني) والتصريحية (صادقت)، بل بأفعال التزامية غير مباشرة واضحة تعتمد النص على تحقق المحتوى القضوي الذي يمثل بوصفه رغبة عربية (فهو مُرسَل - ستحضر - سيجريها):

- "وقد يسرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم وأن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بور سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وإبلاغنا إياها بصورة رسمية كما ذكرتم، وبالمواقع التي يقتضي سوقها إليها والوسائط التي يكونون حاملين الوثائق بتسليمها إليهم. إن كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورسودان وهو سيجريها حسب رغبتكم".

هذا على الرغم من أن "جميع" تلك المطالب المذكورة هي فعليًا استجابة للإرادة والتوجيه البريطانيين، وليست بأية حال المطالب العربية التي بدأ التفاوض على أساسها، فكأن بريطانيا في واقع الأمر "تستجيب لنفسها".

لا يختم مكماهون رسالته قبل أن يستغل قبول الحسين الانخراط في المعركة، فيوجهه من جديد إلى الاصطدام ببعض العرب الموالين للأتراك اصطدامًا مسلحًا هذه المرة، غير عابئ بتقنيع طلبه بعد أن حصل على ما يريد، فوظف - ربما للمرة الأولى، والأخيرة - النص على شرط الإخلاص عبر فعل إنجازي ثانوي صريح في التعبير عن الرغبة البريطاني هو الفعل "تأمل"، وليس "نرى" كما في مرات سابقة، وإلى جانبه وظف النص على تحقق الشرط التمهيدي وليس السؤال عنه، ما يعني أن إمكانية الفعل أو انعدامها تحددتهما بريطانيا وتملك إتاحتها ومنعهما. يقول مكماهون:

- "وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عددًا عظيمًا من الجمال، وقد أرسلت إلى دمشق الشام. ونأمل أن تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك، وإذا صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها، ولا شك أن في ذلك صالح

لمصلحتنا المتبادلة".

## خاتمة:

سعى هذا البحث إلى التحليل التداولي للوسائل اللغوية التي وظفها كلٌّ من الحسين بن علي وهنري مكماهون في تفاوضهما حول قيام دولة عربية مستقلة، الأول بغرض نيل الدعم البريطاني للدولة وحدودها وحكمه لها، والثاني بغرض نيل الدعم العربي في الحرب العالمية مع التملص من أية التزامات لا تلائم السياسة البريطانية، ومع حرص كليهما على الاحتفاظ بحالة تخاطبية تعاونية.

يمكن استخلاص أهم نتائج البحث كما يلي:

١. كلٌّ من فعل الطلب وفعل الرفض في التداول السياسي يعتمد بالأكثر على الصيغ غير المباشرة. أما الطلب فيلجأ فيه إلى الصيغ غير المباشرة - لا سيما في المطالب الجوهرية - بهدف التقليل من تهديد الوجه السلبي للمخاطب، وبخاصة إذا كان ميزان القوة يميل لصالحه.

وأما الرفض فقد يعتمد على الصيغ غير المباشرة بهدف التقليل من تهديد الوجه الإيجابي لصاحبه، لكنه كثيرًا ما يعتمد عليها للمراوغة وعدم الالتزام بإجابة الطلب.

وحتى حين يلجأ في الرفض إلى صيغة مباشرة، تكون في الغالب صيغة التعبير عن انعدام الإمكانية التي تعزو الرفض إلى طبيعة الأشياء، لا إلى رغبة الرفض. ٢. في التفاوض لا يقع الطلب والرفض أو القبول بشكل نهائي ولا موضعي، بل وسط تأرجح ومد وجزر من الاستجابات والقبول المنقوص وتكرار الطلب وتوسعة الرفض؛ ما يخلق فوضى تُعفي الطرف المُوجّه إليه الطلب من المسؤولية، وتُعجز صاحب الطلب عن القبض على حجة تضمن تحقق طلبه، حتى ليتمكن القول إن كل ما هو ليس موافقة صريحة ومباشرة قد يُعدُّ رفضًا غير مباشر.

٣. لم يقتصر توظيف الصيغ غير المباشرة في الطلب والرفض على أحد الطرفين دون الآخر، لكن توظيفها وأثرها اختلف فيما بينهما.

وظفها مكماهون لتقنين مطالبه، وتمويه رفضه، ضمانًا ليد بريطانيا العليا في

- التفاوض وتلافياً لتقديم أي التزامات لا تتناسب مع خططها الاستراتيجية.
- أما الحسين فلجأ إليها في محاولته تجنب أي حدة في الخلاف من شأنها أن تغضب الحليف البريطاني وتفقده دعمه، وظننا منه أن العبارات الفضاضة قد تكسبه مساحة تأويل واسعة لصالحه، الأسلوب الذي لم يؤت ثماره المرجوة وانقلب على ساحره، لأنه كان باستمرار خلال التفاوض الطرف الذي يحتاج إلى الآخر لتحقيق مطالب واضحة لكنه لم يصر على تلقي موافقات واضحة، في حين حقق الطرف الآخر مطالبه بغير حتى أن يطلبها.
٤. الإسراف في محاولات صيانة وجهي المخاطب ووجه المخاطب الإيجابي بالتعبيرات اللطيفة والتعاونية قد توهي بالانقياد التام لسلطة المخاطب، وتمهد أمامه الطريق للاستهانة بالطلب أو تجاهله.
- هذا تماماً ما بدا من مجاملات الحسين بوضعه كل مفاتيح التحرك بأيدي المفاوض البريطاني، ما أوحى بنفاد كل الطرق الرامية لإنشاء دولة عربية بغير موافقة بريطانيا، على الرغم من أن السياسيين البريطانيين أنفسهم كانوا يقيمون حساباً لاحتمال المضاد بتحالف العرب مع الألمان.
٥. تهديد وجه صاحب الطلب برفض طلبه في بداية التفاوض أثار غضبه وأدى إلى إلحاحه على طلبه وتبريره، لكن المراوحة بين وسائل تهديد الوجه ووسائل صيانتها، ومجيء التهديد بعد قطع شوط من المجاملة ووسائل الصيانة يُقَدِّدان قدرته على الإلحاح ويدفعانه إلى استعمال وسائل الدفاع عن النفس وتأكيد انخراطه في التعاون، ما يفتح أمام الطرف الآخر ثغرات ينفذ من خلالها لتحقيق مراميه وإعادة صياغة أولويات التخاطب.
٦. حرص المفاوض البريطاني عند نقل أهدافه الخاصة إلى سلم الأولويات على صبها في قوالب غير طلبية على الإطلاق، كالأفعال الإخبارية أو التعبيرية، والافتراض السابق، والالتزام بالاستجابة لمطالب لم تُطلب من الأساس.
٧. كذلك فعل في تجنب الاستجابات الصريحة، فلم ينجز أفعالاً التزامية تؤثر في الواقع بقبول أية مطالب عربية، ولجأ بدلاً منها إلى التمويه بإنجاز أفعال إخبارية تطابق فيها الكلمات واقعاً سالفاً، أو أفعال تعبيرية ليس لها اتجاه مطابقة بين

الواقع والكلمات.

٨. عمد المفاوض البريطاني عند مناقشة النقاط ذات الحساسية إلى خرق قاعدة الطريقة في المبدأ التعاوني، واستعمل عبارات يشوبها اللبس واحتمال تعدد التأويلات، علاوة على آلية الاستلزام الحواري؛ فلا يمكن تحديد التأويل الصحيح إلا لمن يملك خبرة كبرى بالسياق السياسي واطلاعاً أوسع على التقاهمات الدولية، أي للطرف البريطاني نفسه. وبهذا ضمن لبريطانيا - فيما بعد - إخلاء مسؤوليتها عن أي فعل التزامي تجاه العرب بلا ردع دولي.

### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً المراجع العربية والمترجمة:

١. أوستين، جون: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١.
٢. جورج أنطونيوس: "يقظة العرب"، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
٣. عادل مصطفى: المغالطات المنطقية- طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
٤. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط١، ٢٠٠٤.
٥. مانغونو، دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت) / منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط١، ٢٠٠٨.

#### ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Beebe, Leslie M., Tomoko Takahashi, and Robin Uliss-Weltz. "Pragmatic transfer in ESL refusals." In *Developing Communicative Competence in a Second Language*, ed. Robin Scarcella, Elaine Andersen, Stephen Krashen. New York: Newbury House, 1990.
2. Brown, Penelope, and Stephen C. Levinson. *Politeness: Some Universals in Language Usage*, Cambridge University Press,

- 1987 (first published 1978).
3. Cai, Deborah A., and Steven R. Wilson. "Identity implications of influence goals: A cross-cultural comparison of interaction goals and facework." *Communication Studies* 51, no. 4 (2000).
  4. Cruse, Alan. *A glossary of semantics and pragmatics*. Edinburgh University Press, 2006.
  5. Grice, H. P. *Studies in the Way of Words*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991.
  6. Johnson, Danette Ifert, Michael E. Roloff, and Melissa A. Riffée. "Responses to refusals of requests: Face threat and persistence, persuasion and forgiving statements." *Communication Quarterly* 52, no. 4 (2004).
  7. Kedouri, Elie. *In the Anglo-Arab labyrinth: The McMahan-Husayn correspondence and its interpretations 1914-1939*. Cambridge University Press, digital print 2010 (first published 1976).
  8. Putnam, Linda L. "Negotiation and discourse analysis." *Negotiation journal* 26, no. 2 (2010).
  9. Searle, John R. "A Taxonomy of Illocutionary Acts." In *Language, Mind and Knowledge*, ed. Keith Gunderson. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1975.
  10. Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, Cambridge University Press, 1999 (first published 1979).

### ثالثاً: مواقع إلكترونية:

1. [www.britannica.com/topic/Husayn-McMahoncorrespondence](http://www.britannica.com/topic/Husayn-McMahoncorrespondence).  
(موقع دائرة المعارف البريطانية، ومنه التعريف بالمراسلات وسياقها)
2. [www.palestine-studies.org](http://www.palestine-studies.org).  
(الموقع الإلكتروني لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ومنه نصوص مراسلات الحسين-مكماهون، وتقرير اللجنة المؤلفة لدرس مراسلات حسين-مكماهون في مؤتمر لندن

(١٩٣٩



معجمات التراث العربي أحادية اللغة  
بحث في التصنيف المعجمي

د. هالة جمال عبد الفتاح علي القاضي

مدرس الدراسات اللغوية العربية

كلية اللغات والترجمة، جامعة الأهرام الكندية

[hgelkady@hotmail.com](mailto:hgelkady@hotmail.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2021.87306.1116

## معجمات التراث العربي أحادية اللغة بحث في التصنيف المعجمي

### مستخلص

تعدُّ المعجمات أعمالاً مرجعية ذات تصميم خاص. ومعجمات التراث العربي تفردت بتنوع واسع جعلها محط أنظار الباحثين من العرب والغرب، ويُقدِّم هذا البحث محاولة في التصنيف المعجمي أرى أنها ضرورة ملحة للاستناد إليها في فروع علمية معنية بالمعجم العربي، ويشتمل على النقاط التالية: تاريخ تصنيف معجمات التراث العربي، ومقاربة نظرية في تصنيفها، ومقترح تصنيف مزدوج لها، ومخطط التصنيف يُعالج على ستة أنواع، وخاتمة تضم نتائج البحث وتوصياته. وقد أثمرت هذه المحاولة عددًا من النتائج تعدت ما كان يرمي إليه البحث، منها: حاجة التصنيف المعجمي إلى الاستناد إلى نظرية معجمية، وانتماء كل معجم في التراث العربي إلى نوعين من التصنيف، وتأثير الهدف المعجمي في اختيار البنية المعجمية، وحضور بنى معجمية نادرة، وكان العدد الأكبر لمعجمات التراث العربي من المعجمات النوعية صغيرة الحجم التي تنتمي إلى فئة معينة، واستثمار هذا التصنيف المعجمي ونتائجه في تطوير الدرس المعجمي اللغوي العربي باقتراح عدد من التوصيات، منها: وضع قواعد نظرية لتحقيق نصوص التراث المعجمي العربي، ووضع مقررات المعجم العربي وتدريسها.

**الكلمات المفتاحية:** المعجم، التصنيف المعجمي، بنية معجمية، معاجم أحادية اللغة، التراث العربي.

## Monolingual Dictionaries in Arab Heritage Search in Dictionary Typology

Dr.. Hala Gamal Abdel Fattah Ali Al-Qadi  
Lecturer of Arabic Language Studies  
Faculty of Languages and Translation  
Al-Ahram Canadian University

### Abstract

Dictionaries are reference works of private design. Dictionaries of the Arab heritage were unique in a wide variety. This research presents an attempt at dictionary typology. The research includes: history of the classification of Arabic dictionaries, a theoretical approach to dictionary typology, double classification proposal, classification Planned in six types, and a conclusion that includes the results of the research and its recommendations. research results: dictionary typology needs to be based on lexical theory, each lexicon in the Arab heritage belongs to two types of classification, the effect of the user perspective in choosing the dictionary Structure, rare dictionary structures, investing this dictionary typology and its results in developing the Arabic linguistic by suggesting recommendations: setting theoretical rules to Texts Criticism of Arabic dictionaries, develop and teach Arabic dictionary courses.

**Keywords:** dictionary, dictionary typology, dictionary structure, monolingual dictionaries, Arab heritage.

## مقدمة:

إذا نظرنا إلى التراث اللغوي العربي بوصفه فرعاً من التراث العربي نجد النص المعجمي يطل منه بوصفه ثمرةً لا مثيل لها في كل الفروع الأخرى؛ فالمعجمات هي أعمال مرجعية<sup>(١)</sup> ذات تصميم خاص. ومعجمات التراث العربي تفردت بتنوع واسع جعلها محط أنظار الباحثين من العرب والغرب.

ومن ثم فإن هذا البحث يُقدّم محاولة في التصنيف المعجمي أرى أنها ضرورة ملحة للاستناد إليها في فروع علمية معنية بالمعجم العربي، ويشتمل البحث على النقاط التالية:

- تاريخ تصنيف معجمات التراث العربي.
- مقارنة نظرية في تصنيف معجمات التراث العربي.
- مقترح تصنيف مزدوج لمعجمات التراث العربي.
- مخطط تصنيف معجمات التراث العربي، ويعالج على ستة أنواع.
- خاتمة وتضم نتائج البحث وتوصياته.

إن التصنيف المعجمي **Dictionary typology** فرع من فروع البحث المعجمي **Dictionary research** ويعني: "الدراسة الأكاديمية لموضوعات مثل: طبيعة المعاجم وغيرها من الأعمال المرجعية، وتاريخها، ونقدها، وتصنيفها، واستعمالها"<sup>(٢)</sup>.

ويُعني التصنيف المعجمي: "نسبة الأعمال المرجعية إلى فئات بعينها، وينتج عنه نعت أو مُصنّف بحسب الجنس لمجموعة مماثلة من المعاجم"<sup>(٣)</sup>، ويُعني "بطرق تصنيف تشكيلة واسعة من المعاجم التي نجدها في العالم"<sup>(٤)</sup>.

وهناك العديد من التصانيف التي وردت عن دارسي المعجمات الأجنبية، مثل تصانيف: ششربا Shcherba، وسيبوك Sebeok، ومالكيل Malkiel، وألن ري Alain

(١) أعمال مرجعية reference works: الكتب التي تسمح بتخزين المعلومات واستردادها بسهولة وسرعة، والمعجم هو الكتاب المرجعي النموذجي؛ لأنه يُوفّر المعلومات عن طريق نظام معروف، مثل: الألفبائية. انظر: Hartmann, R. R. K. and Gregory James: Dictionary of Lexicography, Routledge, 1998, p117.

(٢) Hartmann, R. R. K. and Gregory James: Dictionary of Lexicography, p43.

(٣) هارتمان: المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ترجمة: محمد محمد حلمي هليل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٧٤.

(٤) السابق، ص ٦٠ - ٦١.

Rey، وكورنين Cornyn، وجيب Gelb، وكبارسكي Kiparsky<sup>(١)</sup>.

أما المعجمات العربية فقد اجتهد دارسو المعجم العربي في تصنيفها وفق ما يمكن أن يُسمّى الانتماء المعرفي؛ و صنّفوها تحت بابين كبيرين؛ هما: معجمات المعاني أو معجمات الموضوعات أو المعجمات المُبَوِّبَة، و معجمات الألفاظ أو المعجمات اللغوية أو المعجمات المُجَسَّسَة<sup>(٢)</sup>.

وذكروا تحت الباب الأول: معجمات الغريبين، والأمثال، والنبات والحيوان وخلق الإنسان، والمعرّب، ولحن العامة، والأضداد، والمشارك اللفظي، والأبنية بأنواعها، وكذلك المعجمات متعددة الموضوعات، مثل: أدب الكاتب لابن قتيبة، وفقه اللغة وسر العربية للشعالبي، والمخصص لابن سيده، وغيرها.

أما الباب الثاني فنصّفه الدارسون وفق ترتيب البنية الكبرى للمعجم (الحروف): المرتبة وفق مخارج الأصوات مع التقاليد، والمرتبة وفق الترتيب الألفبائي التدويري مع التقاليد، أو الألفبائية على الحرف الأول أو الحرف الأخير (التقفية). ومن دارسي المعجم العربي من سمّى هذا النوع من التصنيف بالبنية التركيبية؛ ويقصد بها نظام الترتيب<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ على هذا التصنيف للمعجمات العربية شموله وتداخله بين بنى المعجم المختلفة؛ فعلى سبيل المثال نجد أن معجمات الأبنية ضمن معجمات المعاني فقط، والحقيقة أن معجمات الأبنية في التراث العربي لها أكثر من تصنيف؛ فمنها ما ينتمي إلى معجمات المعاني في بنيته العظمى فقط، ويندرج تحت معجمات الترتيب الألفبائي أو الترتيب الصوتي في بنيته الكبرى؛ مثل: ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠هـ)، ومنها ما ينتمي إلى معجمات الترتيب الألفبائي في بنيته الكبرى ولم يكن له بنية عظمى حتى يندرج تحت معجمات المعاني؛ مثل: كتاب الأفعال لابن القطّاع (ت ٥١٥هـ).

وقد سار دارسو المعجم العربي من العَرَبِيِّين على نهج قريب من العرب؛ فقد قسّم

(١) أشار الدكتور/ علي القاسمي إلى هذه التصنيفات تفصيلاً بهدف بناء تصنيف جديد للمعجمات ثنائية اللغة في كتابه علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، ص ٢١-٢٨.

(٢) من بواكير الدراسات التي اعتمدت هذا التصنيف: د/ حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، طبعة مزينة ومنقحة، ١٩٨٨م، وكانت طبعته الأولى عام ١٩٥٦م، ومن أواخر هذه الدراسات: د/ رمزي منير بعلبكي: التراث المعجمي العربي من القرن الثاني حتى القرن الثاني عشر للهجرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

(٣) عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية.. دراسة في البنية التركيبية، سلسلة الدراسات اللغوية (٥)، دار صفاء للنشر، عمان/الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

هايوود Haywood المعجمات العربية القديمة إلى ثلاثة أقسام<sup>(١)</sup>:

١- معاجم التقاليب. ٢- معاجم الترتيب الألفبائي بحسب الأواخر. ٣- معاجم الترتيب الألفبائي بحسب الأوائل.

ويلاحظ أن هايوود جمع المعاجم التقليدية المرتبة صوتياً والمرتبة ألفبائياً تدويرياً معاً، وأعتقد أن مرجع ذلك إلى حصر الألفبائية التدويرية في ثلاثة معجمات فقط، أحدها فقط الذي اتبع نظام التقاليب، وهو جمهرة اللغة لابن دريد.

ومن وحي هذا الاختلاف والتداخل بين معجمات التراث العربي من قبل تصنيف دارسي المعجم العربي من العرب والغرب- كان لا بد من ظهور محاولات حديثة لإعادة تصنيف المعجمات العربية، كان أكثرها اختلافاً- فيما توصل إليه البحث- محاولة جادة للدكتور/ علي القاسمي في إعادة تصنيف المعجمات العربية أحادية اللغة في التراث العربي<sup>(٢)</sup>- قسّم فيها المعجمات العربية إلى ثمانية أنواع وفقاً لما أسماه (ترتيب المداخل في المعجم العربي)، وهي<sup>(٣)</sup>:

١- الترتيب العشوائي. ٢- الترتيب المُبَوَّب. ٣- الترتيب الموضوعي.

٤- الترتيب الدلالي. ٥- الترتيب النحوي. ٦- الترتيب الجذري.

٧- الترتيب التقليبي. ٨- الترتيب الهجائي (الأبجدي- الألفبائي- الصوتي).

ورغم ما يحويه هذا التصنيف من تفاصيل دقيقة تضع حدوداً فاصلة بين المعجمات العربية؛ فإنه ركز على وظيفة المعجم وهدفه أكثر من فك التشابك بين المعجمات العربية التي تنتمي لأكثر من نوع من ثمانية الأنواع المذكورة، ومن ثم يسأل البحث: إلام ينتمي - مثلاً- كتاب العين للخليل بن أحمد بين هذه الأنواع؟ ستكون الإجابة أنه ينتمي إلى ثلاثة أنواع منها، على النحو التالي:

- ينتمي إلى الترتيب **النحوي** الذي حدده القاسمي بأنه التقسيم على الأبنية

(١) John A. Haywood: Arabic Lexicography, Its history, and its place in the general history of lexicography, Leiden: E. J. Brill, 1960.

(٢) هناك محاولات في التصنيف النوعي اختصت بفرع من المعجمات العربية، مثل: محاولة الدكتور/ خالد فهمي في كتابه معاجم المصطلحات الحديثية العربية المعاصرة.. دراسة معجمية وصفية نقدية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م. ومحاولة الدكتورة/ هالة جمال القاضي في مقدمة تحقيق معجم كتاب الأفعال لابن القوطية، درة الغواص لنشر مكنون العلم ومصونه، ٢٠١٩م.

(٣) د/ علي القاسمي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٣م، ص ٤٨.

(المضاعف والثلاثي والرباعي والخماسي، مع الصحيح والمعتل)، وهذا ما يُوَّب عليه الخليل مداخل المواد اللغوية.

- ينتمي إلى الترتيب **التقليبي** الذي وصفه القاسمي بأنه النظام الأساسي لمعجم العين.

- ينتمي إلى الترتيب **الهجائي الصوتي** الذي بدأه الخليل في كتاب العين. وقد صرَّح القاسمي بانتماء كتاب العين للترتيبين التقليبي والصوتي، بينما لم يدرجه في الترتيب النحوي، ومثَّل للترتيب النحوي بديوان الأدب للفارابي، رغم أن الخليل هو أول من اتَّبع تبويب المداخل على الأبنية في المعجمات العربية قبل الفارابي وغيره. كما أن الدكتور/ القاسمي أيضًا لم ينطلق في تصنيفه من نظرية معجمية مُحدَّدة يمكن تطبيقها على طبيعة التأليف في معجمات التراث العربي.

### مقاربة نظرية في تصنيف معجمات التراث العربي:

في ضوء التنوع والتشابك في التصنيفات السابقة لمعجمات التراث العربي التي أقرَّها الدارسون فإن محاولة إيجاد مقاربة نظرية للتصنيف لا بد أن تتكئ على شقين لا يخلو أي معجم منهما، هما: بنية المعجم، ووظيفة المعجم.

أما **بنية المعجم Dictionary Structure** فهي: "الأجزاء التي يتكون منها المعجم أو أي عمل مرجعي؛ من حيث البنية الكبرى Macrostructure، والبنية الصغرى Microstructure"<sup>(1)</sup>.

والبنية الكبرى Macrostructure هي القائمة الألفبائية التي تعلق المداخل، والبنية الصغرى Microstructure هي المداخل Lemmas<sup>(2)</sup>.

ولم تسر المصنفات المعجمية العربية على طريق واحدة في بنيتها الكبرى والصغرى أو في (بنيتها العظمى Megastructure) "التي تُعرف أحيانًا ببنية الهيكل [Frame structure]، وهي ما يعطو الترتيب على حروف المعجم من مقدمات وأبواب وملاحق"<sup>(3)</sup>. وهذا التنوع في بنى المعجمات العربية دفع إلى محاولات لتوفير الاتصال بين

(1) Hartmann, R. R. K and Gregory James: Dictionary of Lexicography, p132.

(2) Ibid, p83.

(3) Ibid, p93.

مصنّف المعجم ومستعمله، عن طريق دراسة بنى المعجمات العربية والتعرف إليها؛ لإنتاج صورة عامة عنها تُمكن المستعمل من تجاوز صعوباتها وتعميقاتها، "وليس هناك شك في أن هناك فجوة بين طريقة الاستعمال التي كان يريد لها مصنفو المعجمات والطريقة التي يستخدمها مستعملو المعجم بالفعل"<sup>(١)</sup>.

واستعمال المعجم هو وجه من وجوه البحث المعجمي الذي كشفت بعض دراساته عن أخطاء لدى المستعملين، يقول هارتمان: إن من أسباب هذه الأخطاء نوعية المعاجم نفسها، وقصور الاسترشادات بالمعجم التي باءت بالفشل لأوجه نقص متأصلة في المعاجم<sup>(٢)</sup>. والغاية من هذه النتيجة التي وصل إليها هارتمان كان تقادي أوجه النقص في صناعة المعجمات ومعرفة أوجه التطوير اللازمة لها، ويمكننا الاستفادة من نتيجته فيما يخص المعجمات العربية القديمة التي يلجأ إليها المستعمل حتى الآن بتصنيفها وفقاً لانتماءات محددة واضحة.

وأما الشق الآخر الذي يعتني به البحث في هذه المقاربة النظرية فهو وظيفة المعجم، أو ما يمكن أن نطلق عليه الهدف من المعجم من منظور المستعمل user perspective، وقد أشار بعض الباحثين إلى تصنيف المعجمات وفقاً للهدف منها، مثل الدكتور/ علي القاسمي<sup>(٣)</sup>، وهارتمان الذي يقول: "إن مركز الثقل قد تحول مؤخراً في هذه التصنيفات من مضمون المعجم وترتيبها إلى الهدف منها والوظيفة التي تتعهد بها. ليس من المهم أن تقتصر معرفتنا على نوعية الكلمات التي يضمها المعجم، وأي معلومات يقدمها المعجم عن هذه الكلمات، وكيف يتم ترتيب هذه المعلومات فحسب، لكن علينا أن نعرف أيضاً الدور الذي يقوم به المعجم، ومن ذا الذي يستعمله، وأي هدف أو أهداف يخدمها"<sup>(٤)</sup>.

ومراعاةً لكلٍ من بنية المعجم ووظيفته وما كان لهما من وجود مؤثر في طبيعة تأليف معجمات التراث العربي- يقترح البحث تصنيفين رئيسيين لمعجمات التراث العربي

(١) Parman Singh: Dictionary and Its Structure, ANUSILANA: Research Journal of Indian, VOL. XXIV, p2.

(٢) هارتمان: المعجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ص ٦٣ - ٦٤.

(٣) أشار الدكتور/ علي القاسمي إلى تصنيف المعجم وفقاً للهدف منها، لا سيما المعجم ثنائية اللغة- في كتابه علم اللغة وصناعة المعجم، ص ٢٨ - ٢٩.

(٤) هارتمان: المعجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ص ٦١.



أحادية اللغة أدى التداخل بينهما إلى هذه الثمرة المعقدة المتشابكة بين أنواع المعجمات العربية.

أما التصنيف الأول فهو تصنيف المعجمات العربية وفقاً للبنية المعجمية أو بنية التوصل Access Structure التي تسمح للمستعمل بالبحث عن وحدة معينة من المعلومات<sup>(١)</sup>. وأما التصنيف الآخر فهو تصنيف المعجمات العربية وفقاً للهدف منها أو وظيفة المعجم.

مقترح التصنيف المزدوج لمعجمات التراث العربي:

التصنيف الأول:

أنواع معجمات التراث العربي وفقاً لبنية المعجم أو بنية التوصل:

(١) معجمات البنية الكبرى الصوتية.

(٢) معجمات البنية الكبرى الألفبائية.

(٣) معجمات البنية الكبرى على نظام التقفية.

(٤) معجمات البنية الكبرى النادرة.

(٥) معجمات البنية العظمى.

(٦) معجمات البنية الصغرى.

وقد جمع البحث بين عدد من الترتيب النادرة للبنية الكبرى في النوع الرابع؛ لأنها كانت محاولات فردية ولم تُتمثل مدرسة معجمية ناضجة<sup>(٢)</sup>.

ورغم أن النوعين الخامس والسادس أهملتا البنية الكبرى للمعجم - التي تعد الأساس في عملية الترتيب المعجمي - فإن البحث لا يستطيع أن يخرجهما من دائرة المعجم العربي؛ لأنهما حافظا على بنية المعجم الصغرى (المدخل) التي هي أساس الأعمال المرجعية، كما أن هذه المعجمات تشغل حيزاً كبيراً من التراث المعجمي العربي. ويُصطلح على هذا النوع من المعجمات بـ (عمل مرجعي غير ألفبائي) non-alphabetic reference work أو arrangement non-alphabetic؛ ويُعرّف بأنه: "نظام تسلسل

(١) السابق، ص ٨٣.

(٢) انظر في حصر أنواع الترتيب: د/ عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي: نظام الثقاليب في المعاجم العربية.. دراسة في الصناعة المعجمية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ص ١٨ - ٢٠.

للمداخل لا يتبع الترتيب الألفبائي [الهجائي بأنواعه]، إما بسبب اختلاف طريقة الاستعمال، أو بسبب اتباع نظام ترتيب مختلف، مثل: الموضوعي<sup>(١)</sup>.

### التصنيف الآخر:

أنواع معجمات التراث العربي وفقاً للهدف منها:

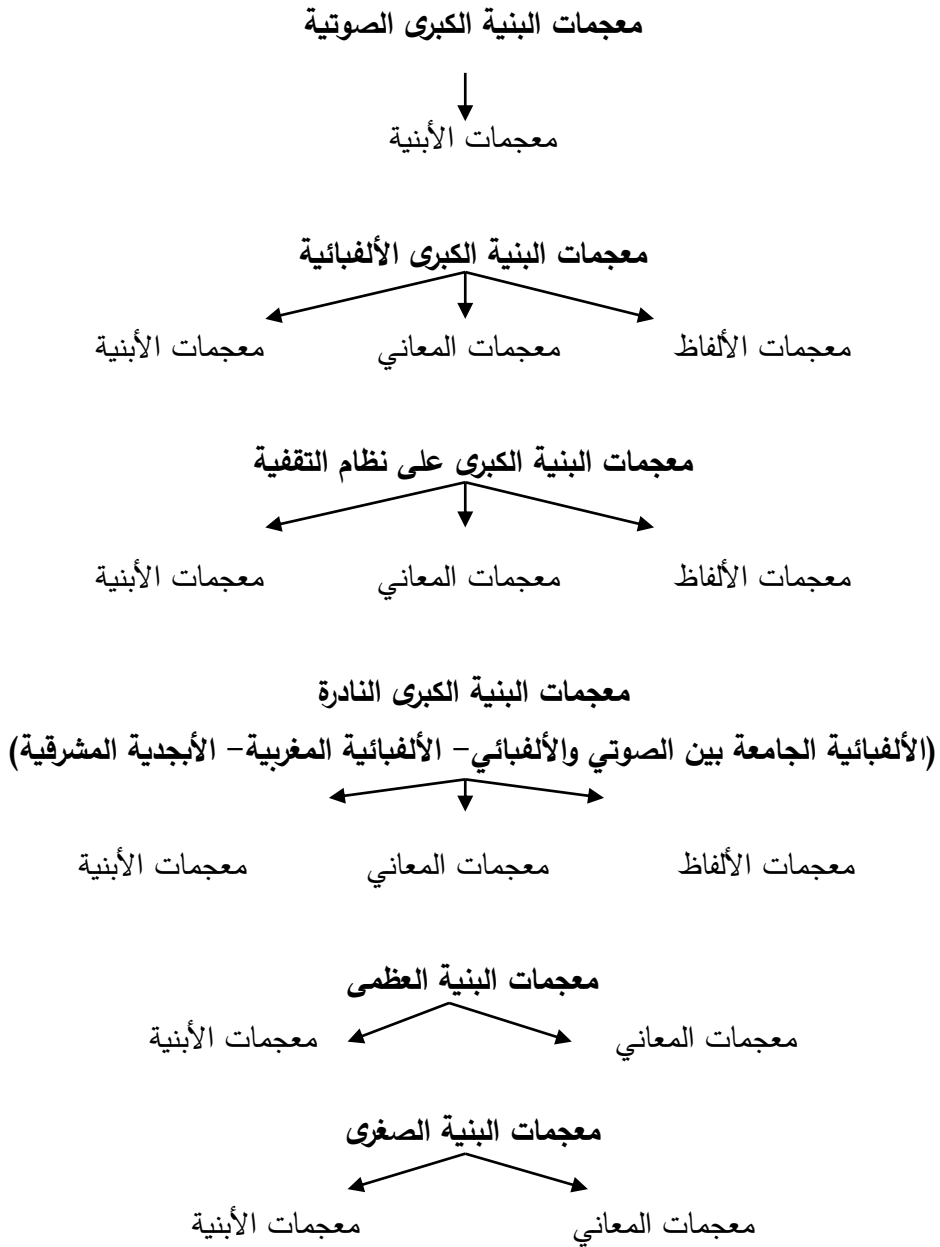
- (١) معجمات الألفاظ التي تهدف إلى تفسير معاني الألفاظ.
- (٢) معجمات المعاني التي تهدف إلى إيجاد اللفظ المناسب للمعاني المختلفة والمتقاربة.
- (٣) معجمات الأبنية التي تهدف إلى حصر كلمات اللغة وإبراز قوتها الاشتقاقية، وتبيين الضبط المناسب للأفعال والأسماء وتأثيره في المعنى.

ومن ثمَّ فإنَّ كل معجم في التراث العربي ينتمي إلى نوعين من التصنيف، لأن لكل معجم بنية وهدفاً. وقد يُؤثِّر الهدف على اختيار البنية؛ لذلك قد تجمع البنية الواحدة بين ثلاثة الأهداف الواردة في التصنيف الثاني أو اثنين منها أو تكتفي بهدف واحد.

ولأن البنية المعجمية هي التصميم الكلي للمعجم، فإن البحث سيتخذ من التصنيف الأول أساساً، مع التفريع على الأهداف الثلاثة للتصنيف الثاني وفقاً للمُحَطَّط التالي<sup>(٢)</sup>:

(١) Hartmann, R. R. K. and Gregory James: Dictionary of Lexicography, p100.

(٢) اعتمدتُ في رصد المعجمات على ما حصره كل من: د/ حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ود/ رمزي منير بعلبكي: التراث المعجمي العربي من القرن الثاني حتى القرن الثاني عشر للهجرة. بالإضافة إلى الاطلاع على كل المعجمات الواردة للتأكد من بنيتها وانتمائها للتصنيفين. وقد راعى البحث في سرد المعجمات تقديم الشامل على النوعي مع الترتيب التاريخي للشامل، والترتيب التاريخي في داخل الفئة النوعية الواحدة، كما يؤكد البحث على أن المعجمات الواردة في الفئات النوعية على سبيل التمثيل لا الحصر عدا ما صرح به البحث بحصره.



## أولاً: معجمات البنية الكبرى الصوتية

ومنها فرع واحد فقط، وهو معجمات الأبنية:

كان هدف معجمات الترتيب الصوتي دائماً هو الأبنية؛ فقد اعتمدت على الأبواب الصرفية للأفعال والأسماء (المضاعف، والثلاثي، والرباعي، والخماسي) مع التفرقة بين الصحيح والمعتل، بالإضافة إلى نظام التقلب الذي لا يفوت لفظاً، فقد كانت نظاماً صوتياً لخصر اللغة أكثر منها تفسيراً للألفاظ. وكان الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) أول من اعتمد هذه البنية في كتاب العين، وسار على نهجه عدد من المصنفين، فكانت معجمات هذه البنية فيما وصل إلينا وحصره البحث على النحو التالي:

الشامل:

- كتاب العين، للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ).
  - البارع في اللغة، لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ).
  - تهذيب اللغة، للأزهري (ت ٣٧٠هـ).
  - المحيط في اللغة، لصاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ).
  - المحكم والمحيط في اللغة، لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)<sup>(١)</sup>.
- النوعي:
- من أبنية الأفعال: كتاب الأفعال، للسرفسطي (ت ٤٠٠هـ).
  - من المقصور والممدود: المقصور والممدود، لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ).
  - من الحروف والأصوات: الرُّوحَة [في حرفي الضاد والطاء] لمهذب الدين محمد بن الحسن الجرباذقاني (ت ٣٧٤هـ)<sup>(٢)</sup>.
- وقد سار كل هؤلاء على نهج الخليل في الترتيب الصوتي ونظام الأبنية والتقاليب،

(١) يُذكر أن ابن سيده اتبع الترتيب الصوتي في باب المقصور والممدود من معجمه المخصص، لكن البحث أثر عدم ضمه إلى هذا النوع باعتباره باباً وليس معجماً مستقلاً، وسيفرد البحث للحديث عن معجم المخصص في تصنيفه الخاص.

(٢) نُشر هذا المعجم في جزأين، عن سلسلة عيون التراث، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت ١٩٨٥م، ثم نُشر جزء منه من حرف القاف إلى نهاية حرف الضاد في رسالة ماجستير من دراسة وتحقيق: محمد بن راجي سعد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٦م. ولم يتسنّ الاطلاع عليه، واعتمد البحث على ما ذكره الدكتور/ رمزي البعلبكي في كتابه التراث المعجمي العربي [ص ٢٩٩] عن نظام ترتيبه الصوتي مع الأبنية والتقاليب، على أنه أدرجه ضمن ما أسماه المعجمات المُؤبّة.

وبينما اتَّبَع الجميع ترتيب الخليل للأصوات العربية خالفه أبو علي القالي والسرقسطي باتباع ترتيب سيبويه للأصوات العربية<sup>(١)</sup>. وقد اتبعت هذه المعجمات نظام التقاليد فيما عدا السرقسطي وأبا علي القالي في المقصور والممدود بوصفهما أنشأ معجمين نوعيين في الأبنية ألفاظهما محدودة، كما أنهما اقتصرا في الترتيب على الحرف الأول فقط دون مراعاة الثاني والثالث؛ مما زاد من تعقيد مُعْجَمَيْهِمَا.

ونشأت معجمات هذه البنية اعتمادًا على البنية الكبرى (الأصوات)، والبنية الصغرى (المداخل المبوبة بالأبنية)، فيما عدا المقصور والممدود لأبي علي القالي الذي اعتمد بنية عظمية تعلو البنيتين الكبرى والصغرى مفيدة في بناء هيكل للمعجم الذي يضم فرعين من الأبنية (المقصور والممدود)، وما تحتها من تقسيمات فرعية دقيقة التي بدأت بباين: باب ما يعرف منه بالقياس، وباب تثنيته وجمعه، ثم تقسيم كل باب إلى: المفتوح، والمكسور، والمضموم، والنوادر والشواذ، وهكذا<sup>(٢)</sup>.

وعلى مستوى الاستعمال لم تكن هذه المعجمات التي تنتمي إلى الترتيب الصوتي في بنيتها الكبرى قبلةً يسيرة للمستعمل؛ لأن هدفها جمع اللغة وحصرها بنظام التقليل مع الأبنية، وبنيتها المعقدة كانت دليلاً على أنها لم تُوظَّف من منظور المُستعمل. ومع أن هذه المعجمات كانت تقدِّم نوع خدمة للمستعمل من خلال شرح معاني الألفاظ، فإن بنيتها الكبرى والصغرى المعقدتين أخرجها من دائرة معجمات الألفاظ التي تهدف إلى الوصول إلى الشرح والتفسير. "على أن الحد الفاصل بين معجمات الأبنية ومعجمات الألفاظ ليس واضحاً دائماً، ولا سيما في أدلة الاستعمال Usage guides"<sup>(٣)</sup>.

فإن اهتمام اللغويين العرب آنذاك (في عصر الخليل) لم يكن موجهاً إلى اللغة الدارجة التي يستخدمها العامة، وإنما كان الاهتمام الأساسي بلغة شعر ما قبل الإسلام وبالقرآن، ومن ثم كثر الاستشهاد في كتاب العين بأبيات من شعر ما قبل الإسلام وبشواهد

(١) الترتيب الصوتي للخليل: (ع-ح-ه-خ-غ-ق-ك-ج-ش-ض-ص-س-ز-ط-ت-د-ظ-ذ-ث-ر-ل-ن-ف-ب-م-و-ا-ي-ة).

الترتيب الصوتي لسيبويه: (أ-ه-ع-ح-غ-خ-ق-ك-ض-ج-ش-ي-ل-ر-ن-ط-د-ت-ص-ز-س-ظ-ذ-ث-ف-ب-م-و).

(٢) أبو علي القالي: المقصور والممدود، تحقيق: د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م، مقدمة التحقيق، ص ٨٠.

(٣) هارتمان: المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ص ٨٨، بتصرف.

من القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

يقول صاحب بن عبّاد في معجمه الصوتي المحيط في اللغة إن الخليل همّ بجمع كلام العرب<sup>(٢)</sup>، ويدل على الجمع هذا الكم من الشواهد. كما أن الخليل "في ذلك كله يهتم أشد الاهتمام بأصوات اللغة العربية المنطوقة آنذاك، مبيّناً كيف تتألف بعضها مع بعض وكيف تتنافر؛ ومن ثمّ لا ينطق بها العرب، ولا تصلح أن تستخدم في نطق العربية... فنخرج من ذلك برأي آخر عن كتاب العين، ونقول إنه كتاب حصر لأصوات العربية مفردة ومتصلة"<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت بنية الترتيب الصوتي مُخْلِصَةً لفكرة حصر اللغة وجمعها؛ لارتباط الترتيب الصوتي بمعجمات الأبنية التقليدية؛ وهذا يعني أن كل معجم مرتب صوتياً هو من معجمات الأبنية، وليس كل معجم أبنية من معجمات الترتيب الصوتي.

### ثانياً: معجمات البنية الكبرى الألفبائية

ويُعنى البحث هنا بالألفبائية المشرقية دون المغربية التي لم تكن منتشرة في معجمات التراث العربي، فضمها البحث إلى معجمات البنية الكبرى النادرة. ويتفرع من هذه البنية الكبرى الألفبائية المشرقية ثلاثة الأنواع (الألفاظ والمعاني والأبنية):

#### أ- معجمات الألفاظ:

كانت معجمات الألفاظ من أوائل المعجمات في هذه البنية؛ فلما كان لها من توظيف من منظور المُستعملِ أثرت التيسير بهذا الترتيب البسيط، ومعجمات الألفاظ بهذه البنية فيما وصل إلينا وحصره البحث:

- كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، على الحرف الأول فقط.
- أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

(١) Stefan Wild: Das Kitāb al-‘Ain und die arabische Lexikographie, 1965.

نقلًا عن ترجمة: د/ محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، درة الغواص لنشر مكنون العلم ومصونه، القاهرة، قيد الطباعة، الجزء الرابع، ص ٣٢-٣٣، بتصرف.

(٢) الصاحب إسماعيل بن عبّاد (٣٨٥هـ): المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، الجزء الأول، ص ٥٩.

(٣) د/ محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، الجزء الرابع، ص ٤٢-٤٣.

- المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠هـ).

### ب- معجمات المعاني:

حيث جاء تحت هذه البنية الكبرى أيضًا مجموعة من معجمات المعاني، ويقول أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) أحد اللغويين الذين اختاروا الألفبائية بنيةً كبرى لمعجماتهم المصنفة تحت المعاني: "وقد رأينا أن نُبَوِّه على حروف المعجم، إذ كانت همم أهل زماننا مقصورة عليه وقلوبهم مائلة إليه"<sup>(١)</sup>. ولا يخلو فرع من معجمات المعاني النوعية- فيما وصل إليه البحث- من استعمال هذه البنية، كما هو موضح على النحو التالي:

- من غريب اللغة وال نوادر: المُجَرَّد لكَرَاع النمل (ت ٣١٠هـ). وهو من أوائل معجمات البنية الكبرى الألفبائية بعد كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني، وقد ذكر ذلك الدكتور/ رمزي بعلبكي حين التفت إلى إمكانية تصنيف هذا المعجم ضمن المعجمات المُجَنَّسَة (يقصد المعجمات اللغوية المرتبة ألفبائيًا)، رغم أنه صنفه ضمن معجمات المعاني أو المبوَّبة باعتبار مضمونه المقتصر على غريب الكلام على حد قوله<sup>(٢)</sup>. وهذه الحيرة التي أصابت بعض دارسي المعجم العربي أحد الأسباب التي قام عليها هذا البحث في إعادة تصنيف المعجمات العربية في التراث العربي.

- من الغريبتين (القرآن والحديث): غريب القرآن لأبي عبيد الهروي (ت ٤٠١هـ).  
- من الأمثال: الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة بن الحسن الإصفهاني (ت ٣٥١هـ). ومنها أيضًا كتب الأمثال الموسَّعة: جمهرة الأمثال للعسكري (ت ٣٩٥هـ)، ومجمع الأمثال للميداني (ت ٥١٨هـ)، وكلاهما يقتصر الترتيب الألفبائي فيه على الحرف الأول فقط. بينما كتاب المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) مرتب ألفبائيًا مع مراعاة الحرف الثاني والثالث.

- من النباتات: النبات لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ).  
- من الحيوان: أسماء خيل العرب وأنسائها وذكر فرسانها للأسود العُندجاني (ت ٤٣٠هـ)، والحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام للصاحب التاجي

(١) أبو الطيب اللغوي: كتاب الأضداد في كلام العرب، تحقيق: د/ عزة حسن، المجمع العلمي العربي بدمشق، سوريا، ١٩٦٣م، ج ١، ص ٢.

(٢) رمزي بعلبكي: التراث المعجمي العربي من القرن الثاني حتى القرن الثاني عشر للهجرة، ص ١٣٨.

- (ت ٦٧٧هـ)، وكلاهما مرتب وفق الحرف الأول فقط.
- من خَلق الإنسان: خلق الإنسان في اللغة لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، وترتيبه وفق الحرف الأول فقط.
  - من المُعَرَّب: المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجوالقي (ت ٥٤٠هـ)، على الحرف الأول فقط.
  - من لحن العامة: تقويم اللسان لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).
  - من الأضداد: كتاب الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) على الحرف الأول فقط، وكتاب الأضداد للصغاني (ت ٦٥٠هـ).
  - من المشترك اللفظي: ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، دون الرد إلى الجذر.
  - من الحروف والأصوات: حروف الهجاء لأبي الحسن المُرتَّبِي (ت أوائل القرن الرابع الهجري). وما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود مما يكتب بالألف والياء على حروف المعجم لابن جني (ت ٣٩٢هـ). والضاد والطاء لأبي الفرج بن سهيل النحوي (ت القرن الخامس الهجري). والإبدال لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ).
  - من المتفرقات: أسمى الغادة في أسماء العادة للصغاني (ت ٦٥٠هـ).
- ج- معجمات الأبنية:**
- ومن هذه البنية الكبرى أيضًا مجموعة من معجمات الأبنية العامة، والنوعية التي تختص بفرع من الأبنية:
- الشامل:**
- جمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ).
  - مقاييس اللغة ومجمل اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ).
  - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ).
- النوعي:**
- من أبنية الأفعال: فَعَلَتْ وَأَفْعَلَتْ لِلزَّجَّاجِ (ت ٣١١هـ). وكتاب الأفعال لابن القطّاع (ت ٥١٥هـ)، وما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد مؤلف على حروف المعجم



- للجواليقي (ت ٥٤٠هـ). واقتطاف الأزهار والنقاط الجواهر للرُعَيْنِي (ت ٧٧٩هـ) وكلها على الحرف الأول فقط. واتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل للصديقي (ت ١٠٥٧هـ).
- من أبنية الأسماء: ما جاء على وزن تَفْعَال لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ). وكتاب يَفْعُول للصغاني (ت ٦٥٠هـ).
- من المقصور والممدود: المقصور والممدود لابن ولّاد (ت ٣٣٢هـ)، على الحرف الأول فقط. وما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود مما يكتب بالألف والياء على حروف المعجم لابن جني (ت ٣٩٢هـ).
- من المذكر والمؤنث: المذكر والمؤنث لابن التسنّري (ت ٣٦١هـ).
- من المثلاثات: الإعلام بمثلث الكلام وإكمال الأعلام بتثيبت الكلام لابن مالك (ت ٦٧٢هـ). والدرر المبتثّة في العُرر المثلثة للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).
- في الاصطلاح: معجم التعريفات للشيخ الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ألفبائي على الكلمات لا الجذور.
- وبعض هذه المعجمات السابقة يستخدم **بنية عظمى** تعلقو البنية الكبرى الألفبائية، مثل: فعلت وأفعلت للزجاج، وجمهرة اللغة لابن دريد، حيث يُقسّم المعجم إلى أبواب وكل باب مرتب وفقاً للبنية الكبرى الألفبائية.
- كما انفردت البنية الكبرى للجمهرة والمجمل والمقاييس بأنها **ألفبائية تدويرية** مع الأبنية (المضاعف - الثلاثي - الرباعي - الخماسي)، ومع التقاليد في الجمهرة فقط؛ أي أن الترتيب يبدأ بالحرف مع ما يليه في الترتيب الألفبائي، فلا يبتدئ الحرف الثاني بالهمزة ثم الباء في جميع الأبواب، وإنما يبتدئ بالحرف الذي يلي حرف الباب في الترتيب، فمثلاً باب الباء في الثنائي الصحيح بالجمهرة يبدأ ب (ب ت ت)، ثم (ب ث ث)، ثم (ب ج ج)... وينتهي ب (ب ي ي)، على أن تكون (ب أ أ) في باب الهمزة؛ لأن هذا المعجم يتبع نظام التقاليد أيضاً، وهذا يعني أن (ب أ أ) قد ذُكرت في باب الهمزة في تقليد مادة (أ ب ب) إن كانت مستعملة<sup>(١)</sup>.

(١) ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق: د/ رمزي منير بعلبكي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٦٢.

أما المجمل والمقاييس لابن فارس فقد اتبع فيهما الألفبائية التدويرية مثل الجمهرة لكنه لم يتبع النقايب؛ مما ينفي المعنى المراد من اتباع الألفبائية التدويرية التي اتبعها ابن دريد ليمنع التكرار، فقد أدى ذلك بابن فارس إلى أنه أعاد الحروف الأولى في الثواني والثالث آخر الباب، فمثلاً في كتاب الشين بباب الثلاثي يبدأ ب (ش ص)، ثم (ش ط) ثم (ش ظ)، ثم (ش ع)، ثم (ش غ)... إلى (ش ي)، ثم يعود إلى الهمزة (ش أ)، ثم (ش ب)، ثم (ش ت)... وهكذا إلى أن ينهي الباب ب (ش ش)<sup>(١)</sup>.

وهذه البنية الكبرى الألفبائية التدويرية مع الأبنية والنقايب من أعقد أنظمة المعجمات العربية، والتعقيد لا يأتي من البنية الكبرى بقدر ما يأتي من تصنيف المعجم الوظيفي؛ فكما ارتبطت البنية الكبرى الصوتية بمعجمات الأبنية، ارتبطت البنية الكبرى الألفبائية التدويرية بمعجمات الأبنية أيضاً، وكلا النوعين اتسما بالتعقيد بسبب الوظيفة (الهدف) لا البنية.

والبنية الكبرى الألفبائية كانت ترتيباً للجزر اللغوي مع مراعاة الحرف الثاني والثالث، لكنها كانت في بعض الأحيان تراعي الحرف الأول فقط من الجزر أو الكلمة، مما يؤدي إلى العشوائية بين المداخل، وعدم تيسير الوصول إلى الألفاظ، كما هو الحال في كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ). ويطلق الدكتور/ علي القاسمي اسم الترتيب العشوائي على كل المعاجم التي لم تراعى بقية الحروف مع الحرف الأول وإن كانت تحت هذه البنية الكبرى الألفبائية<sup>(٢)</sup>.

كما كانت البنية الكبرى الألفبائية- في أحيان أخرى- ترتيباً للكلمات لا الجذور؛ حيث "إن مفردات المعجم ترتب ألفبائياً حسب كتابتها ولا تُجمع تحت جذورها، وهو الترتيب المنبع في المعاجم الأوروبية والأمريكية الحديثة. وكان الشريف الجرجاني (١٣٣٩-١٤١٣هـ) [ت ٨١٦هـ] أول من استعمل هذا الترتيب في كتابه (التعريفات)"<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) د/ علي القاسمي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص ٤٩.

(٣) السابق، ص ٣٥.

## ثالثاً: معجمات البنية الكبرى على نظام التقفية

(الألفبائية حسب الحرف الأخير)

ويرمي البحث هنا إلى نظام التقفية على الألفبائية المشرقية دون المغربية التي لم تكن منتشرة، والتي يورد البحث تصنيفها ضمن معجمات البنية النادرة.

ويتفرع من هذه البنية على نظام التقفية ثلاثة الأنواع (الألفاظ والمعاني والأبنية):

## أ- معجمات الألفاظ:

وهذا النوع من المعجمات كان أكثر انتشاراً تحت هذه البنية، يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ) صاحب أحد أكبر معجمات الألفاظ متحدثاً عمّا شاب المعجمات العربية قبله من قصور في الوضع والجمع: "أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يُفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع"<sup>(١)</sup>، وهذه فائدة واضحة عن علاقة بنية المعجم التي تعادل ما يسميه ابن منظور (الوضع) من جانب، ووظيفة المعجم التي تعادل ما يسميه (الجمع) من جانب آخر، فإذا سلّم البحث بأن (البنية الكبرى الصوتية أو الألفبائية التدويرية) من إساءة الوضع، فقد أصابت حسن الجمع؛ لما قدّمته من حصر جذور اللغة واشتقاقها وشواهدا، ومن ناحية أخرى إذا سلم البحث بأن (البنية الكبرى الألفبائية حسب الحرف الأول أو الأخير) من حسن الوضع، فقد أساءت الجمع؛ لما أهملته من الجذور والاشتقاقات والشواهد؛ لذلك كانت محاولة ابن منظور هادفة إلى الجمع لا الحصر مع التبسيط؛ وقدّم في النهاية معجماً واسعاً للألفاظ، يلجأ إليه المُستعمل بهدف الشرح والتفسير.

وفيما وصل إلينا من معجمات الألفاظ لهذه البنية، وحصره البحث:

- التقفية في اللغة للبندنجي (ت ٢٨٤هـ).
- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت ٤٠٠هـ).
- العُباب الزاجر واللباب الفاخر للصغاني (ت ٦٥٠هـ).
- لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ).
- القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).

(١) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ج ١، ص ١١.

- تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

#### ب- معجمات المعاني:

وقلّ ما جاء منها على هذه البنية:

- من الغريبيين: كتاب غريب القرآن للرازي (ت ٦٦٦هـ).

- من الحيوان: أسامي الذئب وكناه للصغاني (ت ٦٥٠هـ)، وهي أصغر رسالة مرتبة على التقفية<sup>(١)</sup>.

- من الأضداد: رسالة الأضداد للمنشيّ (ت ١٠٠١هـ)، على الحروف الأخيرة من جذورها.

#### ج- معجمات الأبنية:

ومنها تحت هذه البنية الكبرى:

#### الشامل:

- ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠هـ).

- تاج المصادر لبو جعفر (ت ٥٤٤هـ).

#### النوعي:

- من أبنية الأسماء: المقتضب من كلام العرب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين لابن جنبي (ت ٣٩٢هـ). ونقعة الصديان فيما جاء على الفعلان، وما بنته العرب على فعال، والانفعال، وثلاثتهم للصغاني (ت ٦٥٠هـ).

ويحتل ديوان الأدب للفارابي مكانة فريدة بين معجمات الأبنية باعتباره أول معجم أبنية شامل مرتب على هذه البنية الكبرى، فقد حصر جميع الأفعال والأسماء مع تبويب المداخل على الأبنية، ولم يستخدم نظام النقايب كما كان الحال في معجمات الأبنية من البنى الكبرى الأخرى (الصوتية والألفبائية)، مما جعله أقل تعقيداً من غيره، وقد تبعه بو جعفر في منهجه؛ فكان معجمه نسخة أخرى من ديوان الأدب<sup>(٢)</sup>.

(١) د/ رمزي منير بعلبكي: التراث المعجمي العربي، ص ١٩٨.

(٢) د/ أحمد مختار عمر: معاجم الأبنية في اللغة العربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٩٣ - ١٩٤.

### رابعاً: معجمات البنية الكبرى النادرة

ويقصد البحث بـ "النادرة" تلك المعجمات التي تنتمي إلى نظام ترتيب للحروف غير منتشر في التراث العربي؛ ولم تُشكّل مع غيرها مدرسة معجمية كاملة لها وظائف واضحة ومتنوعة، كما ظهر في البنى السابقة.

وحُصِّلَ البحث بعد القراءة والحصْر إلى ثلاثة أنواع من البنى الكبرى النادرة لمعجمات التراث العربي، وهي:

(١) البنية الكبرى الجامعة بين الترتيبين الصوتي والألفبائي (كتاب الأفعال لابن القوطية ت ٣٦٧هـ).

(٢) البنية الكبرى الألفبائية المغربية (حسب الحرف الأول أو التقفية)<sup>(١)</sup>.

(٣) البنية الكبرى الأبجدية (الترتيب المشرقي والمغربي)<sup>(٢)</sup>.

ويُعنى البحث بالبنية النادرة الأولى تحديداً؛ لاختلافها وتفردها في مجمل التراتيب المعجمية، ومنزلة المعجم الذي انفرد بها وصاحبه بين معجمات التراث العربي ومُصنّفه. فالبنيتان النادرتان الأخريان ما هما إلا نظامان مشابهان لأنظمة البنية الكبرى السابقة؛ حيث إن الألفبائية المغربية هي الفرع الثاني من البنية الكبرى الألفبائية أو البنية الكبرى على نظام التقفية، والبنية الكبرى الأبجدية بفرعها المشرقي والمغربي هي نوع رئيس من البنى الكبرى لم يمثل حضوراً واضحاً في معجمات التراث العربي.

وقد وصلت إلينا معجمات من ثلاثة الأنواع (الألفاظ والمعاني والأبنية) من هذه البنى النادرة، على النحو التالي:

#### أ- معجمات الألفاظ:

- خُلاصة المُحكّم للعنسيّ (ت ٦٧١هـ)، على الألفبائية المغربية حسب الحرف الأخير.

#### ب- معجمات المعاني:

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، على الألفبائية

(١) الترتيب الألفبائي المغربي: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، ي).

(٢) الترتيب الأبجدي المشرقي: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ضطغ).  
الترتيب الأبجدي المغربي: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، صغفص، قرست، ثخذ، ظغش).

المغربية حسب الحرف الأول.

- كتاب الأدوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي (ت ٥٦٠هـ)، على الأجدية المشرقية. وقد ارتبطت البنية الكبرى الأبجدية بمعجمات المعاني، لا سيما المتخصصة في الأدوية والنبات فيما نعلم<sup>(١)</sup>.

### ج- معجمات الأبنية:

- المثلث لابن السيد البطلوسي (ت ٥٢١هـ). على الألفبائية المغربية.
- كتاب الأفعال لابن القوطية (ت ٣٦٧هـ). على البنية الكبرى الجامعة بين الترتيب الصوتي والألفبائي.

وقد انفرد ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) في معجمه كتاب الأفعال بهذه البنية الكبرى النادرة؛ وهذا الترتيب الذي اتبعه قائم على الأساس الصوتي، مع الجمع بين الحروف المتشابهة في الرسم الكتابي؛ حيث جاء على النحو التالي:

(أ- هـ- ع- غ- خ- ح- ج- ق- ك- س- ش- ص- ض- ل- ر- ن- ط- ظ- ذ- د- ب- ت- ث- ز- ف- م- و- ي).

ويعد كتاب الأفعال لابن القوطية من معجمات الأبنية؛ حيث إن بنيته العظمى تقسم إلى: مقدمة، وباب الأفعال الثلاثة والرباعية باتفاق معانيها وحركاتها واختلافها، وباب الأفعال الرباعية على وزن أفعال، وباب الأفعال الثلاثية الخاصة، كما أن بنيته الصغرى مُبَوَّبَةٌ على أوزان الفعل الثلاثي مع التفرقة بين الصحيح والمعتل والمهموز<sup>(٢)</sup>.

ومما يُذكر أن أحمد فارس الشدياق في معجمه (سر الليلي في القلب والإبدال) قد جمع بين الترتيبين الصوتي والألفبائي أيضًا لكن بطريقة أخرى؛ حيث رتب الحروف الستة الأولى بحسب المخارج (حروف الحلق)، ثم رتب بقية الحروف حسب الترتيب الألفبائي المعروف<sup>(٣)</sup>، على أن هذا المعجم لا يدخل في دائرة التراث المعجمي لحدثه.

(١) إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، ١٩٨٧م، ص ٢٧٠، وعبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي: نظام التقاليد في المعجم العربية، ص ٢٣.

(٢) انظر دراسة مفصلة عن هذا المعجم: ابن القوطية: كتاب الأفعال، تحقيق ودراسة: د/ هالة جمال القاضي، درة الغواص لنشر مكنون العلم ومصونه، القاهرة، ٢٠١٩، تقديم النص، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي: نظام التقاليد في المعجم العربية، ص ٤٤٠ - ٤٤٣.

### خامساً: معجمات البنية العظمى

تَنَحَّت البنية الكبرى عن الظهور في قطاع من المعجمات العربية في التراث العربي، وحلت محلها البنية العظمى في بعض هذه المعجمات، مع احتفاظها بالضرورة بالبنية المعجمية الصغرى التي حفظت لهذا القطاع انتمائه إلى التراث المعجمي، فالبنية العظمى ليست كافية في الحكم على الانتماء المعجمي؛ لأن التراث العربي غني بالمؤلفات التي بُوِّيت على الموضوعات والمعروفة ببنية الهيكل معجمياً. ويتفرع عن هذه البنية نوعان (المعاني والأبنية).

#### أ- معجمات المعاني:

ارتبطت هذه البنية بمعجمات المعاني في أكثرها؛ لأنها اعتمدت على الموضوعات نظاماً للترتيب وأهملت البنية الكبرى (حروف المعجم)، وحافظت على النظام المعجمي من حيث البنية الصغرى (المداخل)، فقد كان هدفها الأساسي المعاني؛ أي بيان الألفاظ المناسبة للموضوعات المتعددة؛ فمثلاً أقر البحث أن البنية الكبرى الصوتية كان هدفها الأبنية، فإنه يُقر أن البنية العظمى كان هدفها دائماً المعاني.

وفي هذا الارتباط بين البنية العظمى ومعجمات المعاني يقول ابن سيده صاحب أوسع معجمات المعاني المنتمية إلى البنية العظمى في مقدمة معجمه المخصص: "فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة تَنَقَّى الخطيب والشاعر منها ما شأ وأتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع وقافية، على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسوسة كالبسائين تجمع أنواع الرياحين فإذا دخلها الإنسان أهوت يده إلى ما استحسنته حاسّاً نَظَرَهُ وَشَمَّهُ"<sup>(١)</sup>.

وفيما يلي ما وصلنا من معجمات المعاني تحت هذه البنية وحصره البحث:

#### الشامل:

- الغريب المصنف لأبي عُبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
- أدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).
- المُنتخب من غريب كلام العرب لكرّاع النمل (ت ٣١٠هـ).

(١) ابن سيده: المخصص، قدّم له: د/ خليل إبراهيم جفال، اعتنى بتصحيحه: مكتب التصحيح بدار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٨.

- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ).
  - السماء والعالم لأبي عبد الله محمد بن أبان بن السيد بن أبان اللخمي (ت ٣٥٤هـ).
  - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ).
  - مبادئ اللغة للإسكافي (ت ٤٢٠هـ).
  - فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت ٤٢٩هـ).
  - المخصص لابن سيده (ت ٤٥٨هـ).
  - نظام الغريب لعيسى بن إبراهيم الرّبيعي (ت ٤٨٠هـ).
  - كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي (ت حوالي ٦٥٠هـ).
- النوعي:**
- من الغريب والنادر: كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ). وليس في كلام العرب لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ). والشوارد في اللغة للصغاني (ت ٦٥٠هـ). والمُداخِل في اللغة لغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ). وشجر الدر في تداخل الكلام لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، والأخيران من المُشجّر<sup>(١)</sup>.
  - من غريب القرآن: غريب القرآن وتفسيره لليزيدي (ت ٢٣٧هـ). وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة الدّينوريّ (ت ٢٧٦هـ).
  - من الأمثال: كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
  - من كتب النبات والحيوان وخلق الإنسان: الشجر والكلا لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ). والإبل، والشاء، والوحوش، وخلق الإنسان للأصمعي (ت ٢١٦هـ).
  - من المُعزّب: رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ).
  - من لحن العامة: الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ). والفصيح لثعلب (ت ٢١٩هـ).
  - من المشترك اللفظي والمترادف: الألفاظ لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ). والمنجد لكرّاع النمل (ت ٣١٠هـ).
  - من الحروف والأصوات: حروف المعاني للزجاج (ت ٣٣٧هـ). والألفات لابن خالويه

(١) المُشجّر أو المُداخِل أو المسلسل هو ضرب من التصنيف في الغريب، يبدأ الباب فيه بمفردة، تعقبها مفردة ثانية تُفسّر لها، ثم مفردة ثالثة تفسر الثانية، وهكذا. د/ رمزي بعلبكي: التراث المعجمي العربي، ص ١٤٣.



- (ت ٣٧٠هـ) بنية عظمى. والفرق بين الضاد والطاء للصاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ).
- ب- معجمات الأبنية:
- من الاشتقاق: الاشتقاق لابن دريد (ت ٣٢١هـ).
  - من المؤنث والمذكر: المذكر والمؤنث لأبي البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ).
  - من المقصور والممدود: المقصور والممدود للفراء (ت ٢٠٧هـ).
- ومن الملاحظ قلة عدد معجمات الأبنية المتفرعة عن البنية العظمى، واقتصارها على أنواع معينة من الأبنية، وانعدام وجود معجمات الأبنية الشاملة فيها؛ على عكس ما رصده البحث في معجمات المعاني؛ ويرجع ذلك بالضرورة إلى هذا الكم الهائل من الموضوعات التي تضمها معجمات المعاني الشاملة والنوعية، والتي فرضت استعمال البنية العظمى نظامًا للترتيب.

### سادسًا: معجمات البنية الصغرى

ضم التراث المعجمي العربي مجموعة من المعجمات متتحة البنيتين العظمى والكبرى، كانت على قلتها تمثل منهجية معجمية مستقلة، مقصورة على فروع نوعية من معجمات المعاني والأبنية، ولم تظهر فيها أي معجمات شاملة أو موسوعية، فضلًا عن عدم ظهور معجمات الألفاظ التي اختفت أيضًا من البنية العظمى السابقة.

ومما رصده البحث من معجمات هذه البنية (المعاني والألفاظ):

#### أ- معجمات المعاني:

- من الأمثال: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).
- من لحن العامة: ما تلحن فيه العامة للكسائي (ت ١٨٩هـ).
- من المتفرقات: صفة السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلاء، وصفة السرج واللجام لابن دريد (ت ٣٢١هـ).
- كتب الأضداد: الأضداد لقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والأضداد للأصمعي (ت ٢١٦هـ)، والأضداد لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، والأضداد للنَّوْزِيَّي (ت ٢٣٣هـ)، والأضداد لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، والأضداد أو كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمُزَال عن جهته والأضداد لأب حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، والأضداد لأبي بك بن الأنباري

(ت ٣٢٨هـ).

- من المشترك اللفظي والمترادف: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي (ت ٢١٦هـ). وما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العميئل (ت ٢٤٠هـ).

#### ب- معجمات الأبنية:

- أبنية الأفعال: فعلت وأفعلت للسجستاني (ت ٢٥٥هـ).
- من أبنية الأسماء: النيروز لابن فارس (ت ٣٩٥هـ). وما جاء على وزن تفعال لأبي علاء المعري (ت ٤٤٩هـ).
- من الاشتقاق: اشتقاق الأسماء أو الاشتقاق للأصمعي (ت ٢١٦هـ).
- من المؤنث والمذكر: ما يذكر وما يؤنث من الإنسان واللباس لأبي موسى الحامضي (ت ٣٠٥هـ).

ويلاحظ اختفاء معجمات الألفاظ من البنيتين الأخيرين في التصنيف (البنية العظمى والبنية الصغرى)؛ فبنتحي البنية الكبرى من التصنيف تحت معجمات الألفاظ؛ لأن هاتين البنيتين لم تصنفا لخدمة المستعمل في الوصول لشرح المفردات وتفسيرها؛ لذلك انعدمت بنية التوصل.

#### خاتمة:

إن التَّوَعُّع والتشابه اللذين تميزت بهما معجمات التراث العربي جعلتا الحاجة إلى إعادة تصنيفها ملحة جداً؛ مما دعى هذا البحث إلى طرح محاولة مقترحة في التصنيف المعجمي، وقد أثمرت هذه المحاولة عددًا من النتائج تعدت ما كان يرمى إليه البحث، جاءت على النحو التالي:

(١) حاجة التصنيف المعجمي إلى الاستناد إلى نظرية معجمية؛ حتى تتضح معالمه العامة والخاصة، لا سيما مع معجمات التراث العربي التي تنتمي إلى أمة أَلْفَ علماؤها في كل فن من فنون العلم والثقافة.

(٢) كل معجم في التراث العربي أحادي اللغة ينتمي إلى نوعين من التصنيف؛ أولهما: بنية المعجم أو بنية التوصل، وثانيهما: وظيفة المعجم أو الهدف منه؛ لأن لكل معجم بنية وهدفًا، ونتج عن ذلك ستة أنواع من البنى المعجمية، تفرع عنها ثلاثة أنواع من

المعجمات وفقاً لأهدافها.

(٣) لم تُصنَع المعجمات العربية كلها بهدف تفسير المعاني وشرحها (معجمات الألفاظ)، إنما منها ما كان يهدف إلى بيان الألفاظ المتصلة بموضوعات معينة والمتقاربة ويساعد المستعمل في إمكانية الوصول إلى اللفظ المناسب للمعنى (معجمات المعاني)، ومنها ما كان يهدف إلى حصر اللغة وشواهدا وبيان قوتها الاشتقاقية وإبراز ضبط أوزانها على وجه الدقة (معجمات الأبنية).

(٤) يُؤثِّر الهدف المعجمي في اختيار البنية المعجمية، ونتيجة لذلك ارتبطت بعض البنى المعجمية بأهداف محددة، مثلما ارتبطت البنيتان الكبريان الصوتية والألفبائية التدويرية بمعجمات الأبنية؛ حيث بات واضحاً أن كل معجم مرتب صوتياً أو ألفبائياً تدويرياً هو من معجمات الأبنية، وارتبطت البنية الكبرى على التقفية في أكثرها بمعجمات الألفاظ، وارتبطت البنية العظمى بمعجمات المعاني، وارتبطت البنيتان العظمى والصغرى بمعجمات المعاني والأبنية النوعية، كما تتحت معجمات الألفاظ عن الظهور مع اختفاء البنية الكبرى أو بنية التوصل لانعدام خدمة المُستعمل.

(٥) تفردت البنيتان الكبريان الألفبائية على حسب الحرف الأول أو الأخير (التقفية) بتفرع كل أنواع المعجمات بحسب الهدف عنهما (الألفاظ والمعاني والأبنية)، كما كان لهما النصيب الأكبر من معجمات الألفاظ؛ ويرجع ذلك إلى سهولة كلتا البنيتين اللتين آثرت معجمات الألفاظ الارتباط بهما لأجل مستعمل المعجم.

(٦) ولم يخلُ التراث المعجمي العربي من بعض البنى النادرة التي كان أبرزها البنية الكبرى الجامعة بين الترتيبين الصوتي والألفبائي، والتي انفرد بها ابن القوطية في معجمه كتاب الأفعال.

(٧) كان العدد الأكبر لمعجمات التراث العربي من المعجمات النوعية صغيرة الحجم التي تنتمي إلى فئة معينة، وانحصرت هذه المعجمات بين المعاني والأبنية فقط في كل أنواع البنى المعجمية بلا استثناء. أما المعجمات الشاملة فكانت حاضرة بمعجمات الألفاظ والمعاني والأبنية في كل أنواع البنى المعجمية عدا معجمات البنية الصغرى؛ لصعوبة تحقق مبدأ الشمول في غياب البنيتين العظمى والكبرى.

(٨) وأخيراً فإن البحث يطمح إلى استثمار هذا التصنيف المعجمي ونتائجه في تطوير

- الدرس المعجمي اللغوي العربي باقتراح عدد من التوصيات:
- الإفادة من هذا التصنيف في وضع قواعد نظرية لتحقيق نصوص التراث المعجمي العربي، ثم الإفادة منها في التحقيق العملي للمعجمات التي يفتقر الكثير من طبعاتها إلى التحقيق العلمي السليم، وبما أن المعجمات العربية فرع فريد في التراث العربي فهي تحتاج إلى قواعد خاصة في التحقيق تبرز بنيتها المعجمية، وتُحقَّق هدفها الذي أراده مؤلفها، وتراعي منظور المستعمل<sup>(١)</sup>.
  - الإفادة من هذا التصنيف في وضع مقررات المعجم العربي وتدريسها، بما يوفِّره من وضوح واختزال قد يناسب الطلاب المتخصصين وغير المتخصصين<sup>(٢)</sup>.
  - الإفادة من هذا التصنيف في الإجابة عن السؤال البحثي للمُسْتَعْمِل: إلى أي المعجمات أتوجَّه؟ وكيف أبحث فيها؟
  - فتح الباب لمزيد من محاولات البحث في التصنيف المعجمي الذي ما زال بكرًا، والوصول إلى تصنيف يستند إلى نظرية منهجية، يساعد البحث المعجمي العربي، ويُوجِّد المصطلحات والمفاهيم المعجمية، ويسود البحث اللغوي، مثل التصنيف الذي ساد الدراسات المعجمية منذ منتصف القرن الماضي.

## المراجع

### المراجع العربية والمترجمة:

- (١) د/ إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، ١٩٨٧م.
- (٢) ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق: د/ رمزي منير بعلبكي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- (٣) ابن سيده: المخصص، قدّم له: د/ خليل إبراهيم جفّال، اعتنى بتصحيحه: مكتب التصحيح بدار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ١٩٩٦م.

(١) الباحثة بصدد عمل بحثي في قواعد تحقيق المعجم العربي، مستندة فيه إلى هذا التصنيف ونتائجه.  
 (٢) الباحثة أعدت مقررًا دراسيًا عن البحث في المعجم العربي لطلاب مرحلة اللسان من دارسي اللغات الأجنبية، استندت فيه إلى هذا التصنيف، بما يتناسب مع احتياجات الطلاب التعليمية، وتكوين الرؤية المرجوة عن التراث المعجمي العربي بوصفه أساسًا في دراسة اللغة الأم.

- (٤) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.
- (٥) ابن القوطية: كتاب الأفعال، تحقيق ودراسة: د/ هالة جمال القاضي، درة الغواص لنشر مكنون العلم ومصونه، القاهرة، ٢٠١٩م.
- (٦) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- (٧) أبو الطيب اللغوي: كتاب الأضداد في كلام العرب، تحقيق: د/ عزة حسن، المجمع العلمي العربي بدمشق، سوريا، ١٩٦٣م.
- (٨) أبو علي الفالي: المقصور والممدود، تحقيق: د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م، مقدمة التحقيق.
- (٩) د/ أحمد مختار عمر: معاجم الأبنية في اللغة العربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- (١٠) د/ حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، طبعة مزيدة ومنقحة، ١٩٨٨م.
- (١١) د/ خالد فهمي: معاجم المصطلحات الحديثة العربية المعاصرة.. دراسة معجمية وصفية نقدية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.
- (١٢) د/ رمزي منير بعلبكي: التراث المعجمي العربي من القرن الثاني حتى القرن الثاني عشر للهجرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
- (١٣) صاحب إسماعيل بن عبّاد: المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، الجزء الأول، ص٥٩.
- (١٤) د/ عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية.. دراسة في البنية التركيبية، سلسلة الدراسات اللغوية (٥)، دار صفاء للنشر، عمان/الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.
- (١٥) د/ عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي: نظام التقاليد في المعاجم العربية.. دراسة في الصناعة المعجمية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
- (١٦) د/ علي القاسمي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون،

٢٠٠٣م، ص ٤٨.

(١٧) \_\_\_\_\_: علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

(١٨) د/ محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، درة الغواص لنشر مكنون العلم ومصونه، القاهرة، الجزء الرابع، قيد الطباعة.

(١٩) هارتمان: المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ترجمة: محمد محمد حلمي هليل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط١، ٢٠٠٤م.

#### المراجع الأجنبية:

- 1) Hartmann, R. R. K. and James, Gregory: Dictionary of Lexicography, Routledge, 1998.
- 2) Haywood, John A.: Arabic Lexicography, Its history, and its place in the general history of lexicography, Leiden: E. J. Brill, 1960.
- 3) Singh, Parman: Dictionary and Its Structure, ANUSILANA: Research Journal of Indian, VOL. XXIV.

ثانيًا: تخصص اللغات الشرقية





فن رد العجز على الصدر  
في  
قصائد خواجه الكرمانى

أ.م.د. عثمان محمود مهني محمد

أستاذ مساعد الأدب الفارسى

قسم اللغات الشرقية وآدابها

كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ

[osman\\_201747@yahoo.com](mailto:osman_201747@yahoo.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2021.105844.1145

## فن رد العجز على الصدر في قصائد خواجه الكرمانى

### مستخلص

يعد فن رد العجز على الصدر أحد الفنون البلاغية، التي استعان بها الشاعر في بناء قصائده؛ ليضفي على شعره جمالاً ورونقاً. متنوعاً في استخدامه لأقسام هذا الفن، والمواضع التي يأتي فيها من الصدر والقافية وتكرار الكلمة بين شطري البيت، واشتقاق الكلمة ومثيلتها المتكررة في الشطرين من أصل واحد، مما يحدث جناساً لطيفاً يزيد من حسن البيت الشعري. ولعل ما دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع هو أهميته في جمال البيت، ومشاركته في ربط المعنى بين شطري البيت الشعري، من حيث المعنى، بوصل معنى الشطرين، ومن حيث الشكل، بتكرار صورة كلمة بذاتها أو مشتقاتها. كانت أبرز الصور التي قدمها الشاعر من خلال هذا الفن، هي تصوير سواد شعر الممدوح بسواد الليل وظلمته، ووجهه بنور النهار وطلعته. ولكن هذا التشبيه ليس جديداً، كما كانت الحكمة هي الصفة الغالبة على الأبيات التي استخدم فيها الشاعر هذا الفن.

**الكلمات المفتاحية:** الصدر والعجز، خواجه الكرمانى، مغولي، اشتقاق، تكرار.

## The Art of Tail-head in the Poems of Khwaju Karmani

Dr. Othman Mahmoud Muhani Muhammad  
Assistant Professor of Persian Literature  
Department of Oriental Languages and Literature  
Faculty of Arts, Kafr Elsheikh University

### Abstract

The art of tail-head is one of the rhetorical arts that the poet used in building his poems. To add beauty and elegance to his poetry. Diversity in its use of the sections of this art, and the places in which it comes from the head and rhyme and the repetition of the word between the two halves of the verse, and the derivation of the word and its repeated counterpart in the two halves of the same origin, which creates a nice alliteration that increases the goodness of the poetic line. The choice fell on this topic, for its clarity in the poems of the poet Khwajujal Karmani, and his participation in linking the meaning between the two parts of the poetic verse, in terms of meaning, by connecting the meaning of the two parts, and in terms of form, by repeating the image of a word by itself or its derivatives. The most prominent images presented by the poet through this art were depicting the blackness of the praised poetry in the blackness and darkness of the night, and his face with the light of day and his appearance. But this analogy is not new, as wisdom was the dominant feature of the verses in which the poet used this art.

**Keywords:** Head and Tail, Khwaju Karmani, Mughal, Derivation, Repetition.

## مقدمة

الشعر و الفنون البلاغية توأمان وحيثما وجد أحدهما وجد الآخر، فهو قرين لها، ومن تلك الفنون: الجناس والسجع والموسيقى وكذلك "رد العجز على الصدر"، ولما كان كذلك؛ فقد استعان به الشعراء لمناسبته لفنهم، حيث يضيف على البيت جمالاً ورونقاً بين أبيات القصيدة، وخاصة إذا شاركت الاستعارة والكناية في بنائه .

وقد جاءت الدراسة معتمدة على قصائد الشاعر خواجو الكرمانى نظراً لتضمنها هذا الفن وما يلعبه من دور مهم فى ربط الصور الشعرية، وما يضيفه على القصيدة من جمال وأهمية يتركهما على صفحاتها، ومع ذلك لم يحظ بنفس القدر من الدراسة والاهتمام اللذين حظيا بهما التشبيه مثلاً، فضلاً عن مناسبته لكثير من الأغراض الشعرية، كالممدح والوصف وإسداء النصيحة والموعظة.

واستخدم الباحث فى تناوله لهذا الموضوع المنهج التحليلي؛ كونه مناسباً للكشف عن أغراض الشاعر ومراميه من خلال ما يسوقه من أبيات تحتوي على هذا الفن. كما تم تقسيم البحث على النحو التالي:

## مقدمة

التعريف بالفن والشاعر

أ- فن رد العجز على الصدر

ب- الشاعر خواجو الكرمانى

أولاً : الصدر والقافية .

ثانياً: تكرار الكلمة بين شطري البيت .

ثالثاً: اشتقاق الصدر والعجز من كلمة واحدة .

وتم تذييل البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث .

## تمهيد

## التعريف بالفن والشاعر

## أ- فن رد العجز على الصدر

وقع الاختيار على هذا الفن؛ لوضوحه فى قصائد الشاعر خواجو الكرمانى، ومشاركته فى ربط المعنى بين شطرى البيت الشعرى، من حيث المعنى، بوصل معنى البيت، ومن حيث الشكل، بتكرار صورة كلمة بذاتها أو مشتقاتها .

هذا، ويعد فن "رد العجز على الصدر أحد الفنون البديعية فى علم البلاغة، ويقصد به أن يأتى الكاتب بلفظين مكررين أو متجانسين، أحدهما فى نهاية البيت، والأخر ضمن شطره الأول أو فى آخره أو فى صدر الشطر الثانى<sup>(١)</sup> .

عُرف هذا الفن بالعديد من المسميات ، فعند الرادويانى عرف بـ"المطابقة" وقسمه إلى ستة أقسام، وجعل أحد طرفيه ثابتاً فى نهاية البيت<sup>(٢)</sup>، الأول : أن يذكر لفظاً ويجعله قافية ، والثانى بنفس الطريقة لكنه مختلف فى المعنى، والثالث يورده فى أول الشطر الأول والشطر الثانى، والرابع مثل ذلك مع اختلاف فى المعنى، والخامس يكون اللفظان مشتقين من كلمة واحدة، والسادس مثل الخامس مع الاختلاف فى المعنى . كما فعل هذا رشيد الدين الوطواط، لكنه أورده تحت مسمى " رد العجز على الصدر " <sup>(٣)</sup>. وهذا الفن يجمل الحديث ويجعله أكثر قبولاً لمن أراد الحسن لشعره والجمال لمنطقه، ويخدم ذلك فن رد العجز على الصدر باستخدام الشاعر أو الكاتب للكلمات والألفاظ وتكرارها تكراراً يحقق موسيقى وجرساً للكلمات؛ فهو إذاً طرف من الأطراف البلاغية التى تزيد البيت جمالاً ورونقاً<sup>(٤)</sup>.

ويأتى هذا الفن على أقسام منها: ما يوافق آخر كلمة فى البيت كلمة فى شطره الأول، أو

(١) عبد الله بن المعتز : كتاب البديع ، باهتمام اغناطيوس كراتشوفسكى ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٨٢م ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) محمد بن عمر الرادويانى : ترجمان البلاغة ، ترجمة وتعليق محمد نور الدين عبد المنعم ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٧م ، ص ٧٦-٧٥ .

(٣) حدائق السحر فى دقائق الشعر ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ، تقديم أحمد الخولى ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م ، ص ١١٠ وما بعدها .

(٤) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعيتين ، تحقيق مصطفى الصاوي الجوينى ، منشأة المعارف ، ١٩٧٤م ، ص ٢٦٠ وما بعدها .

أول كلمة فيه مع آخر كلمة. ومنها ما يكون في حشو الكلام في فاصلته، ومنها ما يقع في حشو النصفين. ويسمى هذا الفن بالترديد أو التصدير كما عند "أسامة بن منقذ" <sup>(١)</sup>، ويعرفه برد عجز على صدره"، أو أن كلمة في الشطر الأول تأتي في الشطر الثاني، كما ورد بهذا المسمى عند "ابن رشيق القيرواني"، لكنه فرق بين الترديد والتصدير، فذكر أن التصدير يختص بالقوافي التي ترد على صدورها، أما الترديد، فإنه يقع في حشو الأبيات <sup>(٢)</sup>.

ولذلك فالأعجاز هي الكلمة التي تأتي في نهاية البيت. وأما الصدور فهي الكلمة التي تأتي في بدايته، والتي قد يتغير مكانها؛ فتارة تأتي في بدايته وأخرى في حشو شطره الأول أو نهايته.

ومن هذا المنطلق، فقد مال "رشيد الدين الوطواط" <sup>(٣)</sup> و"محمد بن عمر الرادوياني" <sup>(٤)</sup> إلى أن يكون العجز في نهاية البيت، أما الصدر فيتغير موقعه، وهو يبدو مناسباً، لكن "شمس الدين بن قيس الرازي" قسم الأصل إلى قسمين:

أولاهما: "رد الصدر على العجز". وهو أن يأتي بكلمة في نهاية البيت، ثم يكررها في بداية البيت التالي.

وثانيهما: رد العجز على الصدر.

ومثاله ما قال الغضائري في الجناس مما يمثل القسم الأول ما ترجمته:

فليس إمساك العصا بمعجز،

ولكن المعجز تحويل العصا ثعباناً <sup>(٥)</sup>.

وهنا أورد كلمة "عصا" في أول البيت ونهايته.

وأما ما يمثل القسم الثاني وهو "رد الصدر على العجز" ما ترجمته:

(١) أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، القاهرة، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، (د.ت)، ص ٥١.

(٢) ابن رشيق القيرواني: العمد في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٣) الوطواط: حقائق السحر، الترجمة العربية، ص ١١٠ وما بعدها.

(٤) الرادوياني: ترجمان البلاغة، الترجمة العربية، ص ٧٥ وما بعدها.

(٥) شمس الدين بن قيس الرازي: المعجم في معايير أشعار العجم، تصحيح محمد بن عبد الوهاب قزويني، تهران، دانشگاه، ١٩٠٩م، ١٣٢٧ هـ. ش، ص ٣٣١-٣٣٢.

عصا برگرقتن نه معجز بود همی اژدها کرد باید عصا

- والأدب هما قوام دولة الزمان ودينه ،  
وقد وجد الجمال والعظمة والنظام بسبب فضلك العظيم .  
- فلا عجب لو تمتعت نظم الدين والملك ،  
برونق القلم والسيف في هذا الزمان<sup>(١)</sup> .
- أورد الشاعر كلمة نظام في نهاية البيت الأول، وبدأ بها البيت التالي. وهو ما يسميه "رد الصدر على العجز".

### ب- الشاعر خواجه الكرماني

يعد الشاعر خواجه الكرماني من أهم الشعراء في أواخر العصر الإيلخاني<sup>(٢)</sup> ولد الشاعر في حوالي عام ٦٧٩هـ. والتحق في البداية ببلاط الأمير "مبارز الدين محمد المظفرى"<sup>(٣)</sup>. كما كان يتردد على بلاط الشيخ "أبي إسحاق إينجو" حاكم شيراز<sup>(٤)</sup>. كما قام الشاعر برحلات طويلة شملت العديد من البلدان منها : الحجاز والشام

(١) قيس الرازي: المعجم، ص ٣٣٢.

قوام دولت ودين روزگار فضل وهنر  
نظام ملت وملكي عجب نباشد اگر  
ز فضل وافر تو يافت زيب وفر ونظام  
برونق است درين روزگار كلك وحسام

(٢) العصر الإيلخاني: مؤسس الدولة الإيلخانية هو هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان، الذي استطاع القضاء على الاسماعيلية وتدمير قلاعهم، كما استطاع أيضاً القضاء على الخلافة العباسية التي استمرت لفترة تربو على الخمسة قرون، وتعاقب على سدة الخلافة فيها سبعة وثلاثون خليفة، كان آخرهم المستعصم، والذي قتل بعد فتح بغداد. وكذلك استطاع السيطرة على مدن الشام ووقف على أعتاب مصر، التي استطاعت التصدي له بقيادة قطز سلطان المماليك في موقعة عين جالوت.

فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٥م، ص ٢٣١؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان)، جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ١٩٨٧م، ص ٢٦. منوچهر مرتضوى: مسائل عصر ايلخانان، تبريز، انتشارات مؤسسه تاريخ و فرهنگ ايران، ١٣٥٨هـ. ش، ص ٤٣ وأنجه بس از آن.

-Dense Aigle; Eljigidei, Hülegü and Abaq: MongolK overtuers or christianvent riloguism? Brill, vol. 7, no. 2 (2005), Howorth, Sir Henry, history of mongols. part 111 (London 1988).

محمد مفيد آل ياسين: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني ( عهد السيطرة المغولية ٦٥٦-٧٢٧هـ) ٢٠١٠م، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ١١ وما بعدها؛ علي محمد محمد الصلابي: المغول (التتار)، بين الانتشار والانكسار، القاهرة، الأندلس الجديدة، ٢٠٠٩م، ص ٤ وما بعدها.

(٣) مؤسس أسرة المظفرين في أواخر العصر الإيلخاني، وضم حكمه العديد من المدن منها يزد وكرمان وشيراز. فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٥١٩ وما بعدها. رغد عبد الكريم أحمد النجار: العراق في العهد الجلائري ٧٤٠ - ٨١٤ هـ دراسة في الأوضاع السياسية، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص ٧٨ وما بعدها.

(٤) سعدى الشيرازي: من أبرز الأمراء والحكام الذين حكموا في أواخر العصر الإيلخاني، حيث حكم في شيراز أكثر من عشرة أعوام، وظل حاكماً حتى استطاع مبارز الدين محمد المظفرى أن يستولى على شيراز، وقد حاول استرداد ملكه، لكنه قتل في عام ٧٥٨هـ. فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٥١٩ وما بعدها.

ومصر وبيت المقدس والعراق وفارس ، واستطاع أن يجمع من هذا السفر زادًا كبيرًا من العلم والمعرفة ، أثقل كتاباته ، وجمل حكاياته ، كما فعل ذلك من قبله الشاعر الكبير سعدى الشيرازي<sup>(١)</sup>. ثم بدأ التأليف والكتابة ، فألف مثنويته "هماي وهمايون" وقدمها باسم السلطان "أبي سعيد بهادر"<sup>(٢)</sup>، وبعد الاضطرابات التي حدثت في البلاد بعد وفاته ، اتجه الشاعر من مدينة "السلطانية" إلى "أصفهان"، ثم دخل بعد ذلك في خدمة أسرة إينجو في كرمان وفارس، ووجد في خدمتهم - وخاصة الشيخ أبي اسحاق إينجو - الرعاية والاهتمام. وله العديد من المؤلفات:

- ديوان من القصائد والغزليات والمقطعات والترجيعات والتركيبات والرباعيات. وهو مقسم إلى قسمين:
- صنائع الكلمات
- بدائع الجمال

أما مثنوياته فهم ستة مثنويات تأثر فيها بكبار الشعراء في هذا الفن ومنهم "نظامي الكنجوي"<sup>(٣)</sup> و"الفردوسي الطوسي" وهي كما يلي :

- سام نامه : منظومة حماسية تشبه الشاهنامه التي ألفها الفردوسي. إذ تتناول قصة سام نريمان وعشقياته وحروبه وما حدث معه. وقدمها باسم "أبي الفتح مجد الدين محمود".
- هماي وهمايون: وتحكى قصة عشق همايون مع هماي بنت ملك الصين. نظمها وقت إقامته في بغداد عام ٧٣٢هـ. قدمها باسم السلطان "أبي سعيد بهادر" ووزيره

(١) من أبرز الشعراء في تاريخ الادب الفارسي ، أشهر مؤلفاته الكلستان والبستان ، خرج في فتنة المغول من إيران وساح في العراق والشام ومصر والحجاز ما يقرب من ثلاثين عاماً، حيث وضع خلاصة هذه الخبرة في كتابيه. ونال شهرة عالمية بسبب أعماله .

للمزيد انظر: عباس إقبال: تاريخ مفصل إيران ، تهران ، مطبعة مجلس ، ١٣١٢هـ. ش، مجلد أول ، ص ٥٣٩ وما بعدها .

(٢) يعد أبا سعيد بهادر هو آخر السلاطين الايلخانيين العظام، حكم ما بين عام ٧١٦-٧٣٦ هـ . فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤٠٩ وما بعدها.

(٣) نظامي الكنجوي: يعد من كبار الشعراء الفرس، ولد في مدينة كنج، وتوفي أبوه وهو لا يزال صغيراً، ثم ما لبثت أن ماتت أمه. امتاز الكنجوي بالأخلاق الحسنة؛ فكان ورعاً شديد الاحترام لنفسه وكرامته، لا يحتسى الخمر. له خمس من المثنويات: مخزن الأسرار - خسرو وشيرين - ليلي والمجنون - هفت بيكر - اسكندر نامه .

إدوارد براون : تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم الدكتورة : محمد السعيد جمال الدين ، أحمد حمدى الخولى، بديع محمد جمعة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م ، الجزء الثاني، ص ٥٠٦-٥٢٤؛ زهراى خانلرى: راهنمای ادبيات فارسى ، كتاب خانه ابن سینا ، ١٣٤١هـ. ش، ص ٤١ .



- "غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله الهمداني" (١).
- گل ونوروز: في عشق الأمير نوروز مع گل بنت ملك الروم، ونظمها عام ٧٤٢ هـ، وهي تشبه منظومة "خسرو وشيرين" للشاعر "نظامي الكنجوي".
  - روضة الأنوار: منظومة تشبه "مخزن الأسرار" لنظامي الكنجوي". وهي تشتمل على موضوعات صوفية وأخلاقية، نظمها باسم "شمس الدين محمود صاين". (٢) عام ٧٤٣ هـ.
  - كمال نامه: سار فيها على نسق "سير العباد" للشاعر "سنائي" (٣) نظمها عام ٧٤٤ هـ، بدأ نظمها باسم الشيخ "أبي إسحاق الكازروني" وختمها باسم "أبي إسحاق اينجو".
  - گوهر نامه: نظمها عام ٧٤٦ هـ، وقدمها باسم "مبارز الدين محمد المظفرى" ووزيره "بهاء الدين محمود بن عزالدين يوسف" من أحفاد الوزير السلجوقي الكبير "نظام الملك الطوسي" (٤). كما ألف العديد من المؤلفات الأخرى منها: مفاتيح القلوب

(١) غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله الهمداني: أحد كبار الوزراء في أواخر العصر الإيلخاني، قام السلطان أبو سعيد بتعيينه في منصب الوزارة، عله يجد بعض العزاء مما صنع من قتل أبيه رشيد الدين، وقد أقره مستشاروه على هذا المنصب عام ٧٢٧ هـ، وأشترك معه علاء الدين محمد في تولي مهام الوزارة في بداية الأمر. ولما توفي السلطان أبو سعيد، استمر يزاوّل عمله، و بعد تولي أربا خان زمام الأمور في الدولة، لكن القواد انقسموا إلى فريقين، وانتهى الأمر إلى الحرب، فانتصر موسى خان وأعوانه على أربا خان وأعوانه، وقتل غياث الدين عام ٧٣٦ هـ.

فؤاد الصياد: الشرق الاسلامي، ص ٤٦٦ وما بعدها. سعاد هادي حسن الطائي وأخرون: صفحات من تاريخ المغول: (ق ٧-٨ هـ) (١٣-١٤ م)، الطبعة الثانية، بغداد، دار مكتبة عدنان، ٢٠١٩ م، ص ١٣٩ وما بعدها.

(٢) محمود صاين: عمل وزيراً للأمير "حسين الجوباني"، ومن بعد ذلك وزيراً لأبي إسحاق اينجو، وقتل على يد الأمير مبارز الدين محمد المظفرى.

عماد فقيه كرماني: ديوان، تصحيح ركن الدين همایونفرخ، تهران (د.م)، ١٣٤٨ هـ. ش، مقدمه، ص هفتاد وهشت.

(٣) سنائي: أبو المجد مجدود بن آدم، يعد من كبار شعراء القرن السادس الهجري، تخلص بالسنائي، ولد سنائي في مدينة غزنة، وقضى مطلع شبابه فيها، ثم قضى فترة طويلة في السفر خارجها؛ حيث زار بلدانا عديدة منها سرخس وهراة ونيسابور ومكة المكرمة. ثم رجع بعد ذلك الى غزنة، وعاش فيها إلى أن وافته منيته. مدح سنائي السلطان محمود الغزنوي والسلطان مسعود، وبهرامشاه بن مسعود. كما مدح الوزراء والقضاة. ويعد أول من نظم المثنويات الصوفية، ومن أشهرها مثنوية "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة" التي تتكون من عشرة آلاف بيت. توفي الشاعر في حوالي عام ٥٣٥ هـ.

إسعاد عبد الهادي: فنون الشعر الفارسي، ط٢، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨١ م، ص ٢٠٤-٢٠٥. زهراى خانلرى: راهنمای ادبيات فارسی، ص ٢١١.

(٤) نظام الملك الطوسي: أبو علي بن علي بن إسحاق الطوسي، الملقب بنظام الملك، ولد بين عام ٤٠٨ هـ وعام ٤١٠ هـ في بلدة "نوغان" بطوس، قضى طفولته في مدينة طوس، وتلقى فيها تعليمه، واطلع على اللغة الأيرانية وأدبها وتاريخ إيران أيضاً. عمل كاتباً في بلاط جغرى بك السلجوقي، ثم أوصى به ولده الب أرسلان، ولما صار الب حاكماً على خراسان، أعطاه منصب الوزارة، وبقي على ذلك في عهده وعهد ولده السلطان جلال الدين ملكشاه. وظل

والسبع المثاني ورسالة البادية.

هذه هي أهم أعمال الشاعر الكبير خواجه الكرماني، وهي بلا شك تدل على جهد وعمر عامرين بالعمل والتأليف<sup>(١)</sup>.

وفيما يلي يورد البحث أثر فن رد العجز على الصدر عند الشاعر

### أولاً: الصدر والقافية

وهو أن يذكر الكاتب لفظاً في أول البيت، ويجعل هذا اللفظ نفسه قافية للبيت.

ومثال ذلك ما قاله الشاعر في مدح الأمير حسين<sup>(٢)</sup> ما ترجمته :

- روح اللثيم ذليلة أمام رمحك،

مما جعلها هدفا سهلا لرمحك<sup>(٣)</sup> .

ذكر الشاعر كلمة "خوار" ( اللثيم ) في بداية الشطر الأول، ثم جعل الكلمة بصورتها ومعناها في نهاية البيت. مما حقق ربطاً بين معنى الشطرين، حيث يشير إلى قوة الممدوح وتمكنه مقابل إظهار الضعف الكامل الذي صور به اللثيم.

كما يمثل هذا القسم من "رد العجز على الصدر" البيت التالي ما ترجمته:

- ولو يسجل الزمان مناقبك ،

فكيف يحدث هذا إلا في زمان كامل<sup>(٤)</sup>.

يتولى أمور الدولة طيلة ثلاثين عاماً، وفي نهاية حياته عام ٤٨٥ هـ، بينما كان يذهب من اصفهان قاصداً بغداد، قتل على يد أحد فدائي الاسماعيلية.

زهراى خانلرى: فرهنگ ادبيات فارسى درى، ص ٥١٠- ٥١١ .

(١) ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش دوم، تهران، انتشارات فردوسى، ١٣٧٣ هـ.ش ص ٨٨٧ وما بعدها؛ ادوارد براون: تاريخ الأدب في ايران، نقله إلى الفارسية على أصغر حكمت، نقله إلى العربية محمد علاء الدين منصور، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ص ٢٦٣ وما بعدها؛ خواجوي كرماني: ديوان، به كوشش سعيد قانعي، انتشارات بهزاد، چاپخانه آفتاب، ١٣٧٤ هـ.ش، ص مقدمه. ناصر السيد محمود حجي: رباعيات خواجه الكرماني من خلال ديوانه بدائع الجمال ترجمة ودراسة، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب، مجلة كلية الآداب، ٢٠١٣م، ص ٢٩٥ وما بعدها .

(٢) يبدو أنه والد السلطان حسن الجلانري مؤسس الدولة الجلانرية الملك حسن كوركان بن أقبوقا الجلانري، وهو أحد أمراء السلطان أبي سعيد آخر سلاطين الإيلخانيين العظام، وتوفى عام ٧٢٢ هـ. انظر فواد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤٣٤.

(٣) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٦١ .

خوارست پيش نيزه تو جان بدسگال

زان روى بدسگال تو شد نيزه خوار خوار

(٤) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٦١ .

ور روزگار در قلم آرد مناقبت

او را چگونه دست دهد جز بروزگار

والشاهد هنا هو كلمة "روزگار" (العهد - الزمان)، واستعان بها الشاعر للربط بين معنى الشطرين، زيادة على ما تتركه من موسيقى وجناس، وهو يمدح ممدوحه وأعماله العظيمة التي سوف تظل على مر الزمان، ويراهما بطولات لا تحدث إلا في وقت طويل يستغرق سنيناً كذلك.

كما يظهر الربط بين معنى شطري البيت من خلال ما قاله في مدح "جمال الدين أحمد" (١)؛ حيث يشبهه بالربيع الذي تتزين فيه الدنيا كلها، ويصير مصدر سعادة ونشوة، كما يجعل ممدوحه أيضاً مصدر الأمن والأمان من كل ما يعكر صفو هذا الجو البديع، وهو ما يشبهه بريح الخريف، حتى وإن حدث شيء، فسرعان ما يقوم الممدوح بإصلاحه، وكأنه الربيع الذي يعقب الخريف، فيصلح ما أفسد ويجمل ما قبح، وفي ذلك يقول ما ترجمته :

- فالأمان في الربيع من رياح الخريف،  
والسعادة في الخريف وكأنه فصل الربيع (٢).

وهنا كرر الشاعر كلمة "بهار" في الشطر الأول ونهاية الثاني، وربط من خلالهما معنى البيت.

#### ثانياً: تكرار الكلمة بين شطري البيت

أن يأتي الشاعر بكلمة ضمن الشطر الأول من البيت، ويأتي بنفس الكلمة ومعناها في نهاية البيت (٣).

فمثلاً يمدح "عضد الدنيا والدين أبا علي"، ويجعل وجهه الوضاء هو مصدر النور الذي ينفلق عنه الصباح، فيعم الضياء أرجاء المعمورة مشرقها ومغربها، كما أن سواد شعره هو مصدر ظلمة الليل البهيم، الذي يغطي الكون كله بعد انقضاء النهار، وهو يكنى بذلك عن عظمة ممدوحه ونفعه وهدايته للناس. وهذا من المبالغات الشعرية التي يبغي الشاعر من ورائها حشد أعظم الأوصاف لممدوحه. فيقول ما ترجمته:

(١) جمال الدين أحمد : أحد مشاهير مدينة كرمان .

عماد فقيه كرمانى: ديوان، مقدمه، ص ٧٩- ٨٠ .

(٢) خواجو كرمانى : ديوان ، ص ٦٤ .

در بهار ايمنى ز باد خزان

در خزان خرمني چو فصل بهار

(٣) الرادويانى : ترجمان البلاغة ، الترجمة العربية ، ص ٧٥-٧٦ .

- تشع أنوار وجهه في المشارق والمغرب،  
ويظلم كذلك بسواد شعره وظلمته<sup>(١)</sup>.
- والشاهد هنا في هذا البيت هو كلمة "مغرب" التي جاءت في نهاية البيت، وكذلك ضمن الشطر الأول، وهو بذلك ربط بين معنى الشطر الأول بالضياء والنور والنهار، وبين الشطر الثاني بما يعنى من الظلمة والسواد والليل. وهذه الصورة ليست بجديدة؛ فقد ورد مثل ذلك في قصائد الشاعر "فخر الدين العراقي"<sup>(٢)</sup>، إذ يقول ما ترجمته:
- بطرتك كان الليل وبوجهك كان النهار،  
يدمر الدنيا الجميلة<sup>(٣)</sup>.
- كما أورد الشاعر "ابن يمين الفريومدي"<sup>(٤)</sup> صورة قريبة من ذلك، فيقول ما ترجمته:
- إن طلعت الجميلة كالنهار وطرته كالليل،  
لدرجة تجعل حكماء العالم مجانين<sup>(٥)</sup>.
- وهكذا شبه الشاعران الوجه بالنهار والليل بالطرة.
- ويقول في موضع آخر، مادحاً الأمير "محمد المظفرى"، واصفاً لسلاحه وأثره وسلاح الأمير كذلك، فيقول إن لى لساناً مثل السيف، حدته جعلتني أتوارى بعيداً، حيث

(١) خواجوي كرمانى : ديوان ، ص ٣٣ .

ز انوار رويش مغارب مشارق

زظلمات مويش مشارق ومغرب

(٢) فخر الدين العراقي : من كبار الشعراء المتصوفين في العصر المغولي، ولد في مدينة همدان ، وسافر إلى بلاد الهند ، حيث تلقى العلم على يد الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، واختاره ليكون خلفاً له في رئاسة طائفته بعد وفاته، فلما لم يجد في رئاسة تلك الطائفة وناماً مع تابعيها، رحل إلى مكة، والتقى بالشيخ شهاب الدين السهروردي في بغداد، ثم اتجه منها إلى أسيا الصغرى، وكان يحضر حلقة الدرس للشيخ صدرا الدين القونويى .وتوفى في عهد السلطان خدابنده .

زهراى خانلرى: فرهنگ ادبيات فارسى درى، جابخانه زر، ١٣٤٨هـ. ش، ص ٣٤١-٣٤٢ .

فخر الدين العراقي: كليات، بكوشش سعيد نفيسى، جاب هفتم، ايرانمهر ، كتابخانهسنائی، ١٣٣٨هـ. ش، ص

١٨-١٩ .

(٣) فخر الدين العراقي : ديوان، ص ٩٥ .

از شب وروز زلف ورخسارت

عالم مهترى نکال شده

(٤) ابن يمين الفريومدي : من أبرز الشعراء في أواخر العصر الإيلخاني ، ولد حوالي عام ٦٨٥هـ. جاء والده إلى قرية فريومد في عهد أبي سعيد بهادر، دخل في خدمة الحكام السريديريين، وله ديوان ضخم من القصائد والغزليات والرباعيات والتركيبات .

ابن يمين فريومدى: ديوان، تصحيح حسينعلی باسنائی، كتابخانهسنائی ، ١٣٤٤هـ.ش، مقدمه ص أ وما بعدها.

(٥) فراز عارض جون روز زلف او ليليست كه عاقلان جهانرا همى كند مجنون

ابن يمين فريومدى: ديوان، ص ١٤٨ ،

المغيب أو الغروب، وهو كناية على نهاية الإنسان وصيرورته الى الأفول والنسيان. وأما سيف الأمير، فإن له من القوة ما يمكنه من مواجهة المحن والعقبات، وهو كناية عن قوة الممدوح. ويمكن أن يكون كناية عن ضعف تأثير الكلمة في تلك الآونة، مقابل الاعتراف الكامل بمنطق القوة، فيقول الشاعر ما ترجمته:

- إن سيف اللسان أوردني حدود المغيب،

وسيفك وضع محن الزمان عند الحدود<sup>(١)</sup>.

وهكذا ربط الشاعر - في هذا البيت - كلمة "حد"، وكررها في كلا الشطرين، وبين من خلالها أثر سيف كل من الشاعر والأمير. وتكرارها أيضاً زاد من موسيقى البيت، إضافة إلى ما فيه من استعارة وجناس زينا البيت في أذن السامع.

وفي قصيدة أخرى يقدمها الشاعر عن الموعظة، يسدى نصيحة لمن يكون في قلوبهم رغباتهم، ولا يسمحون لها بالخروج، فينصح بالإفصاح عنها علماً بتحقيق؛ فتشفي صدورهم وتسد حياتهم، فيقول في ذلك ما ترجمته:

- لا تخفى رغبة قلبك بين أحشائه،

ويذا لن تدرك شيئاً من مكنونه<sup>(٢)</sup>.

هنا، أورد الشاعر كلمة "كنار" وهي تحقق ربطاً للمعنى بين شطري البيت، زيادة على ما تتركه من جناس وموسيقى فيه. والبيت يعبر عن الدعوة إلى الإفصاح عما تكنه النفس. إلى من يراهم الإنسان أقرب إليه، ما دام هذا لا يتنافى مع الأعراف والقيم الإنسانية السامية.

كما يشير الشاعر أيضاً في أحد أبيات القصيدة إلى حب المال والسلطان لدى الإنسان، وهو شيء مجبول عليه، ولعل ذلك يحتاج إلى تخطيط وتنقيب، وهروب وحروب وضروب من الحيل والعمل والكفاح. لكنه كرر في الشطر الثاني الدينار، ربما لرجحان كفة المال عند الإنسان، فيقول ما ترجمته:

(١) خواجوي كرمانلي: ديوان، ص ٤٨.

مرا كه تيغ زبان تا بعد غرب گرفتست

گذشته است محن در زمان تيغ تو از حد

(٢) خواجوي كرمانلي: ديوان، ص ٥٣.

كام دل در كنار خود ننهی تا نگیری از اين ميانه كنار

- فالملك والدينار يبحث عنهما العقل،

والكل يتحدث عن مالك الدينار<sup>(١)</sup>.

فكلمة "دينار" جاءت ضمن الشطر الأول، وفي نهاية البيت، وربط بتكرارها بين معنى الشطرين.

ويقول في موضع آخر، في قصيدة يمدح بها "صدر الدين يحيى القزويني" (أحد الصدور في أواخر العصر الإيلخاني)، فيذكر من خلال أبياتها في الغزل، يصف فتاة تلف شعرها، مثلما يلتف الثعبان حول نفسه، وهو يكنى بذلك عن الجمال. ويقول في ذلك ما ترجمته:

- ومن هذا الكلام أننى أشبه طرتها بالثعبان،

الذي يلتف حول نفسه عند الغضب<sup>(٢)</sup>.

في هذا البيت، كرر الشاعر كلمة "مار" بمعنى الثعبان، حيث وضح صورة بصورة، وربط المعنى بينهما بهذه الكلمة. حيث قدم تشبيهاً جيداً ومعبراً، بين ربطة الطرة والتفاف الثعبان حول نفسه. وهو تشبيه جيد من صيد خاطر الشاعر.

كما يذكر الشاعر في القصيدة ذاتها أن أصحاب الجاه والقوة، هم الذين يملكون الصدارة، وغيرهم لا مكان لهم، فيقول ما ترجمته:

- لا مجال لأحد كي يعتلي صدر الدهر،

فاعتلاؤه فقط لصاحب الحشمة والجلال<sup>(٣)</sup>.

انظر إلى كلمة "روزگار" التي تعنى الدهر أو العصر في كلا الشطرين، وربط الشاعر من خلالها بين معنيهما.

وإذا انتقل الشاعر إلى ممدوح آخر هو "محمود صاين" يسدى إليه نصيحة وحكمة، تتطوي على الدعوة إلى مساعدة الآخرين، لأن تلك المعونة سوف تعود بمثلها عليه بأي

(١) خواجوي کرمانی : دیوان ، ص ٥٣ .

ملك ودينار كى خرد بجوى هر كه دم زد ز مالك دينار

(٢) خواجوي کرمانی : دیوان، ص ٦٧ .

کردم بمار نسبت زلفش وزین سخن

بر خویشتن ز غصه بیچید همجو مار

(٣) خواجوي کرمانی : دیوان، ص ٦٧ .

بر صدر روزگار کسیرا مجال نیست

از حشمت و جلال مگر صدر روزگار

حال من الأحوال، لأن الله عزوجل يعين من يعين، ويساعد من يساعد، والجزاء من جنس العمل، فيقول ما ترجمته:

- لو يأخذ الحبيب بيد المنكسرين،

فلا يجوز بأي حال الأخذ بيده (١).

هذه حكمة بالغة ومنطق سليم، ومن أعان الناس أعانوه، وفي وقت الشدة شاركوه، وهو وقت الشعور بقيمة المعونة والمساعدة وقت الحاجة. ومن يُعِين يُعَن. ولذلك كرر الشاعر كلمة "نگار" (الحبيب- المحبوب)، وهي المكانة التي تعلو على الصديق والمساعد والرفيق، فإن لم تصدر المعونة منه، فلا تنتظرها بعد ذلك من غيره. والشطر الثاني يحمل معنى التخويف والتحذير والمعاملة بالمثل. وعلى ذلك فتكرار الكلمة هنا ربط المعنى بين الشطرين.

ويقول في موضع آخر، في الموعظة والحكمة؛ وعلى الإنسان أن يكون جميلاً ظاهراً وباطناً. وضرب مثلاً للظاهر بالصورة المعلقة في الرسم، جميلة بألوانها، كل شئ منسق فيها. أما الباطن، فقد جعل مكانه القلب، لكنه ربط بينهما باستخدام الرسم، وربما لأن الصورة في الرسم قد تغيب عن الأعين، لكن الصورة في القلب لا تغيب عند استحضارها. وفي ذلك يقول ما ترجمته:

- كن أنموذجاً لصورة معروضة في رسم ،

ولا ترسم صورة قبيحة على صفحة القلب (٢) .

أورد الشاعر كلمة "نگار" في عجز البيت وضمن صدره، وربط بها بين معنى شطري البيت.

وفي قصيدة أخرى، يمدح بها الشاعر الوزير "تاج الدين العراقي" ويهنئه بحفل زفافه، وأن صدى حفله هذا بلغ من العظمة أن أسمع الفلك العالی، وهو كناية عن عظمة صاحبه، كما أشار إلى سطح القلعة، كناية على علوها وعظمتها أيضاً، فيقول ما ترجمته:

(١) خواجه كرماني : ديوان ، ص ٦٨ .

اگر نگار بگيرد شكستگان را دست

بهیچ روی نشاید گرفت دست نگار

(٢) خواجه كرماني : ديوان ، ص ٧١ .

مکن صحیفه در را سواد نقش ونگار

که ای نمونه نقش نگار خانه مکن

- على سطح القلعة الشاهقة الشبيهة بالكمان،

قد أسمعت نغماته أرجاء كوكب الزهرة (١).

وهكذا استخدم الشاعر في هذا البيت كلمة "حصار" (القلعة) مرتين، وربط بواسطته بين معنى شطري البيت.

وفى القصيدة ذاتها، يشير الشاعر إلى أن الأيام والقدر، هما اللذان أبعده عن ممدوحه. واستخدم لبيان ذلك فن الاستعارة التي توصل المعنى بوضوح. فيقول ما ترجمته:

- أقول إن السدر الذي جفاني،

أخذني بيده بعيداً عن جناب بلاطك (٢).

استعان الشاعر لفظه "روزگار" ضمن الشطر الأول، وكذلك في آخر البيت. وحقق بذلك ربطاً لمعنى البيت بشطريه. والاستعارة الموجودة في كلمة "دست روزگار" (يد الدهر) استعارة جسد فيها المعنوي، كما يدل على خروج الامر عن قصد الشاعر وابعاد مقصود له عن ممدوحه.

كما يصف جمال ممدوحه ووجاهته، فيشبهه ظلمة الليل بسواد شعره، ونور النهار وضياءه، بنور وجهه وجماله، ولذلك فهو معجب به دائم المدح له والثناء عليه. فيقول ما ترجمته:

- ليلي مثل شعرك ونهاري مثل وجهك ،

ولذلك كان ثنائى عليك ليلاً ونهاراً (٣).

كرر الشاعر "الليل والنهار" في الشطرين، وربط بهما بين معنى البيت. وهى صورة مكرره فى التشبيه عند "تاج الدين العراقى" وعضد الدنيا والدين أبى على.

وفى قصيدة أخرى، يواصل الشاعر مدحه لممدوحيه؛ فيشبهه بالفلك ودورانه، وحركته التى لا تتقطع. وهذه كناية على علو همته وعلو مقامه، وتقانيه فى أداء عمله،

(١) خواجوى كرمانى : ديوان ، ٧٤ .

بر بام اين بلند حصار كمانچه وش

(٢) خواجوى كرمانى : ديوان ، ٧٤ .

گويم بروزگار جفانى كه مى برم

(٣) خواجوى كرمانى : ديوان ، ٧٤ .

ليل ونهار من چو سواد وبياض اوست

خوانم ثنائى ذات تو بالليل والنهار



ويدعو له بأن يطيل عمره، ولا يتوقف مثلما لا يتوقف الفلك عن دورانه. فيقول ما ترجمته:  
- طالما كان دوران الفلك خارجاً عن العد،

فليكن بقاءك مثل حركة الفلك خارجة عن العد<sup>(١)</sup>.

هنا، استخدم الشاعر "رد العجز على الصدر"، وكرر كلمة "سپهر" (الفلك)، وحقق بها ربطاً جيداً بين معنى شطري البيت؛ مما حقق جمالا فيه.

وإلى ممدوح آخر، حيث مدح "الزيرآبادي" (أحد الصدور في أواخر العصر الایلخاني) ويثني على تفكيره وخططه، التي دائماً ما تأتي بأفضل النتائج، فهو يضع المعطيات التي توصل إلى النتائج، ولذلك يقول ما ترجمته:

- لو كان مناط اهتمامك هو إعداد الشبكة والحب،

لدخل ملاك العنقاء في الشبكة<sup>(٢)</sup>.

كرر الشاعر كلمة "دام" (الشبكة) ضمن صدر البيت وعجزه، وهذا كناية على أن حصيلة النتائج تأتي وفقاً للتفكير والتدبير. وكأن الصيد - في هذه الأوقات - له من الأهمية الكبيرة في حياة الناس، ووسيلة من وسائل تدريب الجيوش؛ فاستخدم الشاعر ذلك في رسم صورة لتفوق فكر ممدوحه.

أما ممدوحه " غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله الهمداني، فيشبهه بالخضر الرجل الصالح، الذي أجرى الله عزوجل على يديه معجزات كثيرة، وأعطاه الله علم أشياء من الغيب، لم يكن يعلمها سيدنا موسى عليه السلام، ولذلك طلب رفقة ومصاحبته والتعلم منه، كما ذكر الإسكندر، وربما يقصد الشاعر به "ذا القرنين" الذي جاب الأرض شرقاً وغرباً، فكان عوناً للضعفاء، مقوماً للمفسدين فيها<sup>(٣)</sup>. ولذلك يقول ما ترجمته:

- أتحدث عن غموض الخضر وكذلك الإسكندر،

(١) خواجوي كرمانلي: ديوان، ص ٧٦.

تا باشد از شمار برون جنبش سپهر

چون جنبش سپهر بقای تو بی شمار

(٢) خواجوي كرمانلي: ديوان، ص ٩٩.

گر اهتمام تو تدبير دام ودانه کند

همای سدره نشین را درآورد در دام

(٣) إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، علق عليه وخرج أحاديثه هاني الحاج، روجعت أحاديثه على كتب ناصر الدين الألباني، القاهرة، دار التوفيقية، المجلد الثالث، ٢٠٠٩م، ص ١٠٤ وما بعدها.

وانظر ، لقد صقلت مرآة الإسكندر<sup>(١)</sup> .

كرر الشاعر كلمة الإسكندر في الشطرين، وربط بهما بين معنى البيت، وهو تشبيه بليغ؛ إذ أن ممدوحه كان يشغل وظيفة صاحب الديوان، أو ما يشبه رئيس الوزراء في الوقت الحالي. ويعد هذا استدعاءً للشخصيات التاريخية والدينية.

ثم يواصل الشاعر مدحه للوزير، فيقول إن بيتاً واحداً في مدحك تتزين به السماوات السبع؛ كناية على مكانة ممدوحه العالية. وذكر العدد هنا للتقليل، وهو يعبر أيضاً على مكانته، كما يذكر أن أي ذكر لممدوحه - ولو كان على هامش كتابه - يحدث أثرًا بالغاً على الفلك، كناية على علو مقامه الذي يبلغ مده الفلك علواً. فيقول ما ترجمته:

- لو وجد بيت واحد في مدحك على هامش دفتري ،

لزين دفتري وديواني السموات السبع<sup>(٢)</sup>.

جعل الشاعر كلمة "دفتر" في نهاية البيت، وضمن شطره الأول، مستخدماً في ذلك فن رد العجز على الصدر، وربط بواسطته بين معنى الشطرين.

وفي الواقع، إن أغلب الشعراء تميل إلى اختيار المشبه به من صور الله عزوجل في كونه، كالشمس والقمر والسماء والفلك، وكل ذلك جيد، لأن هذه الأشياء تعظم في عين الإنسان، ولما كان الشاعر يريد اظهار ممدوحه في قمة العظمة والقوة والجمال، عمد إلى هذا التشبيه بهذه الآيات الباهرات في الارض والسماوات.

وفي الموعظة والحكمة أيضاً، يقول الشاعر إن نسمات الربيع قد هبت علينا لتمتعنا بهذا الجو البديع، وكذلك نسمات ورد الشاعر، أي أن أشعاره تشبه نسمات الربيع وجمالها. ثم يصرح بالندم على مرور العمر سريعاً، وهذا يظهر في كلمة "دريغ" (واسفاه)، وهي كلمة تدل على الحسرة والحزن. وشبه سرعة مرور العمر بمرور نسمات الربيع، وهو كذلك. إذ يقول ما ترجمته:

- لقد هبت علينا نسمات الربيع وعبير ورد خواجو،

ويا آسفاه على العمر الذي مر مرور تلك النسمات<sup>(١)</sup> .

(١) خواجوي كرماني : ديوان ،ص ١٠٥ .

خضر وهمجون سكندر از سياهي دم زرم

(٢) خواجوي كرماني : ديوان ،ص ١٠٦ .

هفت جلد چرخ زيبد دفتر وديوان

ور بييني روشنم آينه اسكندرم

گر بود بيتي بمدحت بركنار دفترم

أورد الشاعر عبارة "باد بهار" ضمن الشطر الأول، وفي نهاية الشطر الثاني، وربط بذلك بين جمال نسيمات الربيع وسرعتها التي تشبه مرور العمر وسرعته.

وفي مجال الموعظة والحكمة أيضاً، يذكر أن العاشق تصل درجته بمقدار تعلق عقله بالمعشوق، وأن العقل هنا بمثابة النقود التي تحقق لك بعض الأمان، فصاحب العقل السليم هو صاحب حظ عظيم. فيقول ما ترجمته:

- العقل بمثابة الدينار في طريق العشق،

والمحظوظ هو من يملك ديناراً (٢).

استخدم الشاعر لفظة "دينار" ضمن صدر البيت وعجزه، وأكمل معنى البيت بتكرارها. كما يمدح أحد أمراء العصر المغولي، وهو الأمير "اربه بيك" (أحد الصدور في أواخر العصر الإيلخاني)، فيشبهه بالماس، المعدن النفيس، وهو كناية عن مقامه الرفيع، وأن هذا المقام ناله لجدارته ومناسبته لوجوده، فالجوهر - دائماً - يكون مكانه بين الجواهر، ولذلك يقول ما ترجمته:

- الماس من الجواهر اللائقة وجودها ضمن الكنز،

فجزء من الماس يعد كنزاً عظيماً (٣).

أورد الشاعر لفظة "شايگان" (الجدير - المناسب) ضمن صدر البيت وعجزه. وربط المعنى في البيت، وأكد على أن الإنسان بما له من خلق وعلم تجعلان له قيمة ترفعه إلى أعلى الدرجات، ويصير جديراً بوجوده في هذا المقام.

ويواصل مدحه في ذات القصيدة، فيقول لمدوحه: إنك صاحب قوة ومنعة، لدرجة أن عدوك إن فتح فمه بكلمة غير لائقة تشبه الحربة من شدة وقعها، تتصدى لها بسيف قاطع، يوقفه عن الكلام ويجعله يصمت في الحال. وهذا كناية عما يتمتع به ممدوحه من المكانة العالية والهيبة بين الناس، ولذلك يقول ما ترجمته:

(١) خواجوي كرماني: ديوان، ص ١١١. رسييد باد بهاران وبوي گل خواجو دريغ عمر كه بگذشت همجو باد بهار

(٢) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٥٤. عقل در راه عشق دينار يست

نيكبخت آنكه باشدش دينار

(٣) خواجوي كرماني: ديوان، ص ١١٩.

در گنج شايگان بود الماس واز گهر

الماس پاره نيست درو گنج شايگان

- عندما يتحدث خصمك بلسان مثل الحرية،  
تستل سيفك فيخرس لسانه (١) .

كرر الشاعر لفظة "زبان" (اللسان) ضمن الشطر الأول وفي نهاية البيت. وربط بهذه الكلمة المعنى في البيت، بين لسان الخصم حالة انطلاقه بالجدال، وحالة سكوته مضطراً.  
كما يمدح الشاعر الشيخ "حميد الملة والدين" (٢)، مستخدماً أسلوب الخطاب مما يدل على قربه منه؛ فيذكر حقيقة الروح، واستغناءها يوماً ما عن هذا الجسد الفانى. ثم يطرح عليه سؤالاً بعد ذلك مضمونه: لما كانت الروح هكذا، فلماذا يكون مكانها فى الجسد، وتتواءم معه وتسكن فيه فترة حياة الإنسان؟ فيقول ما ترجمته:

- كما تعلم أن مثل هذه الروح تستغنى عن الجسد،  
فلماذا كانت محجوبة بذات الأجساد (٣).

كرر الشاعر لفظة "هيولى" (المادة أو الهيكل) ضمن الشطر الأول، وفي نهاية الثانى، وربط بواسطتها معنى البيت بين استغناء الروح عن الجسد مع أنها ساكنة فيه مدة بقاء الإنسان. ويواصل مدحه لهذا الممدوح، فيذكر أن الشاعر الكبير "الخاقانى" (٤)، الذى امتلك ناصية الكلام، وكان شاعراً بارعاً، ومع ذلك كان متواضعاً فقيراً، وعبر عن ذلك بعبارة "تمد يدك مثل الخاقانى"، وربما يشير الشاعر إلى حاجة الخاقانى همساً منه إلى ممدوحه بالعطايا والمنح، فيقول فى البيت ما ترجمته :

- أيها الغلام إن كنت تدعى أنك الخاقانى الذى امتلك ناصية الكلام،  
فكن فقيراً تماماً تمسك يدك ممتلئة (٥) .

(١) خواجوي كرماني: ديوان، ص ١١٩ .

خصم تو چون سخن بزبان سنان كند

ساكت شود چو تیغ تو بیرون كشد زبان

(٢) يبدو أنه أحد المشايخ الذين كانوا يلقون الدروس والمواعظ ويقوم بتفسير القرآن العظيم .

فخر الدين العراقي: ديوان، ص ٦٦ .

(٣) خواجوي كرماني: ديوان، ص ١٣٣ .

چو می دانی که چون جان از هیولی داری استغنا چرا محجوب می گردی بدین نفس هیولانی

(٤) الخاقانى: من كبار الشعراء فى العصر السلجوقى، ولد حوالى عام ٥٠٠ هـ، فى مدينة كنجة، كان أبوه يعمل بمهنة النجارة وعمه كان يعمل طبيباً، وهو الذى قام بتعليم الخاقانى وتنقيفه. اشتهر بأسلوبه الصعب فى فهم أشعاره، وأكثر أشعاره من نوع القصائد، ومن أعماله المعروفة مثنوى "تحفة العراقيين" وصف فيها رحلته إلى مكة المكرمة ومعلومات عن حياته .

ادوارد براون: تاريخ الادب فى ايران، الترجمة العربية، ص ٤٩٥ - ٥٠٦ .

(٥) خواجوي كرماني: ديوان، ص ١٣٤

غلام فقر شو تا همچو خاقانى دهد دستت

ذكر الشاعر اسم الخاقاني في شطري البيت، وربط بواسطته بين معنيهما. ويمدح الأمير "محمد المظفر"، فيشبه قلعته بالبرج العالي، وذلك كناية عن المنعة والمتانة، كما يشبها بالفلك الدوار، ويذكر أن عمره يزيد عن الحصر، وهو كناية عن تمنياته له بطول العمر، إذ يقول ما ترجمته:

- القلعة برجه السابع ولكنها مثل الفلك الدوار،

ومدة بقائها تزيد عن الحصر<sup>(١)</sup>.

استخدم الشاعر في هذا البيت فن رد العجز على الصدر، حيث أورد "حصار" (القلعة) الأولى ضمن الشطر الأول، والثانية في نهاية البيت، وتعنى الحصر والعد. وذكر القلعة وعمرها، فقال إنه يزيد عن الحصر والعد. وربط بذلك بين الشطرين.

كما يمدح الشاعر الوزير "محمود صاين" في صورة حكمة وموعظة، فهو يحذر من تقليل الإنسان من قدر صاحبه أو احتقاره له أو السخرية منه؛ فإن ذلك من شيم اللئام، الذين ينالون مقت الناس وسخطهم، لأن شيم الكرام تقتضي احترام الإنسان لصاحبه ورفيقه، حتى أن الشاعر أراد لنفسه المسلك الحسن بعيداً عن كل هذه الأخلاق الذميمة غير السوية، وصرح بذلك تصريحاً، إذ جعل نفسه قدوة ونموذجاً يحتذى به في الأخلاق، فيقول ما ترجمته:

- لو احتقرتني فلن يقول أحد أنني عزيز،

ولو أعزرتني فلن يذلني أحد<sup>(٢)</sup>.

تكررت كلمة "خوار" ضمن الشطر الأول من البيت، وفي نهايته، وربط بها بين معنى الشطرين. وأكد على أن عزه من عند ممدوحه وذلّه كذلك.

ويواصل الشاعر قرص الشعر في صورة الموعظة أيضاً؛ فيقدم صورة جميلة يجمع فيها بين مرآة السماوات ومرآة القلب، فيرى الأولى وقد أكلها الصدا وأتى عليها،

كه در ملك سخندانى كنى دعوى خاقانى

(١) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٥٨.

هفتمين برجش حصارا ما چون دوران سپهر

مدت دور بقای او برون از انحصار

(٢) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٧١.

گرم تو خوار كنى كسى نگويدم كه عزيز

ورم عزيز كنى هيچ كس ندارد خوار

فأثر على رونقها وجمالها، ثم يعرج إلى مرآة القلب، فيحذر من أن يصنع الإنسان بها ما صنع الصدا بالأولى. لكن ذلك يعبر عن صورة نفسية ومرآة قلبية، قد أثر عليها الصدا والأحداث التي تمر بالإنسان. كما يمثل البيت تحذيراً من جمود القلب وطغيان الجانب غير الحسن فيه على الحسن، وكثيراً ما يحدث. لكن التحذير يمثل جانباً طيباً من الشاعر، ونية كذلك لبنى الإنسان، وهي صورة جيدة، فيقول في ذلك ما ترجمته:

- لقد أكل الصدا المرآة ذات المناظر السبعة (السموات السبع) ،  
فلا تتركه يسيطر على مرآة القلب أيضاً<sup>(١)</sup>.

في هذا البيت، تكررت كلمة "زنگار" (صداً)، وربط بها بين معنى الشطرين؛ ليؤكد ويربط المعنى الذي يريد إيضاحه للقارئ، عن الحذر من الصدا الذي يمثل كل شيء غير حسن.

وفي موضع آخر، يمدح فيه الشاعر "تاج الدين العراقي" يطلب من الوزير بقاء رعايته واهتمامه به؛ لأنه يشعر بالأمان ما دام في كنفه. وانظر إلى التحذير هنا، إنه لا يعنى مضايقة الوزير بقدر ما يدل على شدة تعلق الشاعر به وتمسكه بخدمته، والقرب منه. وكأنه لا يريد أن يرى غير ذلك. فيقول في ذلك ما ترجمته:

- إياك أن ترفع حـمـاك عني،  
فأنا تحت ظل لطفك في أمان<sup>(٢)</sup>.

عند الشاعر إلى تكرار كلمة "زينهار" ضمن الشطر الأول وفي نهاية الثاني، وربط المعنى من خلالها، بين طلبه الأمان من ممدوحه واستثنائه به.

كما يمدح الوزير بشيء من المبالغة؛ وهو ضرب من البلاغة<sup>(٣)</sup>، فيجعل مالك الفلك صاحب ممدوحه، كناية على عظيم مقامه وعلو شأنه، كذلك يجعل سيفه هو كبير الحجاب للفلك؛ وهذا كناية أيضاً عن القوة والمنعة التي يتحلى بها هذا الممدوح، حيث ربط

(١) خواجوي كرمانى : ديوان، ص ٧٢ .

ز هفت منظر زنگار خورد آينه گون

مهل كه آينهءدل بگيردت زنگار

(٢) خواجوي كرمانى : ديوان، ص ٧٥ .

زينهار كز سرم بكرم سايه برمگير

كايم بزير سايهءلطفت بزينهار

(٣) أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد ، القاهرة ، مكتبة الاداب ، ٢٠١٦ م، ص

بين قوته وعلو مقامه، وأن قوته المشار إليها بكلمة "سيفك" هي من وهبته هذه المكانة. فيقول ما ترجمته:

- مالك النجوم حاجب على باب بلاطك،

لكن سيفك هو حاجب الحجاب للفلك<sup>(١)</sup>.

استخدم الشاعر كلمة "برده دار" (حاجب)، وأحسن استخدام الفن البلاغي "رد العجز على الصدر"؛ حيث ربط من خلاله المعنى بين شطري البيت.

ويمدح الأمير "محمد المظفر"، فيصوره ساعة غضبه على عدوه، وثباته أمامه بالجبل، وهو كناية على الصمود والثبات في وجه الأعداء، وليس ذلك فحسب، بل إن نتيجة تمردهم عليه هو القتل وإراقة دمائهم، بصورة تجعل الجبل يغرق في تلك الدماء إلى وسطه. وهو كناية على كثرة القتلى، وقوة الممدوح وسيطرتة، حيث ربط بين قوة غضبه الذي جسد في صورة تجعله كالجبل، وبين نتيجة ذلك في العدو بكثرة دمائه حتى إنها لتصل - من كثرتها - إلى منتصف الجبل. فيقول في ذلك ما ترجمته:

- عندما تنمنطق بالغضب على المتمردين تصير جبلاً،

فينزل الجبل إلى وسطه في دماء المتكبرين<sup>(٢)</sup>.

كرر الشاعر كلمة "كمر" (وسط)، وأوردها مع الإنسان والجبل؛ للدلالة على القوة والثبات في الصورة الأولى، والتي أدت بدورها إلى الصورة الثانية التي جعلت الدماء تصل إلى وسط الجبل. وربط بذلك بين معنى الشطرين.

وأما الأمير "عز الدين مسعود"، فيمدحه الشاعر، ويسوق حكمة من الحكم، وهي من ضروب البلاغة أيضاً<sup>(٣)</sup>، فيذكر أن اختلاف العقول شئ وارد؛ فقد جبل الإنسان على ذلك، مختلفون في عقولهم، بما يعني من الاختلاف في الرؤى والعقائد والميول والعادات والتقاليد وغير ذلك. فيقول في ذلك ما ترجمته:

- ورغم أن ثمة اختلاف في العقل،

(١) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٧٨.

بر جناب بارگاهت شاه انجم برده دار

ليك تيغت برده داران فلك را برده در

(٢) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٧٨.

چون كمر بستی بکین سرکشان مانند کوه

(٣) الرادوياني: ترجمان البلاغة، الترجمة العربية، ص ١١٣.

فالإنسان دائماً ينسب إلى الاختلاف<sup>(١)</sup>.

أورد الشاعر كلمة "خلاف" (اختلاف) ضمن شطر البيت وعجزه، وتكرارها كان رابطاً للمعنى بين الشطرين، حيث ذكر في البداية أن الاختلاف محله العقل، وأن هذا سنة كونية معروفة بين البشر.

ومن مدائحه للأمرء والصدور أيضاً، ما قاله في "برهان الدين الكوبناني"<sup>(٢)</sup>، أن جمال مدحه جعل صيد الممدوح يسقط في شباك الشاعر. كما يقول إن تاريخ هذه الأبيات المدحية والقصيدة الثنائية هو تصحيف<sup>(٣)</sup> كلمة "دام" وتصحيفها هو "ذام"، ووفق حساب الجمل، فإن حرف الذال يساوي (٧٠٠) والألف (واحد) والميم (٤٠)، فيكون التاريخ (٧٤١) أى سبعمائة وواحد وأربعون. وقد حقق الشاعر ربطاً لمعنى البيت، من خلال استخدامه لكلمة "دام" ضمن شطره الأول وفي عجزه. فيقول ما ترجمته:

- إن نظمي هذا المديح جعل طائرک يقع في شباك صيدى،

لا جرم وأن تاريخ هذه الأبيات هو تصحيف كلمة دام<sup>(٤)</sup>.

ولعل تشبيهه جمال شعره بالمصيدة، وميل الممدوح وإعجابه بالصيد، قد أوقعه في شباك هذا الجمال. وكرر كلمة "دام" ضمن الشطر الأول من البيت وعجزه. وقد ربط بهما بين ما حدث مع ممدوحه وقربه منه، وبين تاريخ هذا الحدث.

ويقول الشاعر في مدح "حميد الدين" حكمة من الحكم، وصورة من الصور، إذ يشبه فيها المحسوس بالمعنوي، ويجسد الأشياء؛ فيقدم صورة بها شخصان، الدهر والشاعر، شاعر يطوف العالم يتوكأ على عصاه، والعصا هنا مصدر عونه ومساعدته على الحياة ومصاعبها. وهي كناية على كبر السن وضعف الشخص. وقد وصفها وصفاً دقيقاً؛ حيث قال إنها معوجة وهي التي تريح الإنسان في التوكؤ عليها أثناء سيره. وأما العصاة الأخرى، فهي عصاة الدهر، كناية على التأديب والتهديب، ولها ميعاد لظهورها لا

(١) خواجوي كرماني: ديوان، ص ٨٨.

بيد از آن پس خلاف عقل بود كه كسى نسبتش كند بخلاف

(٢) يبدو أنه وزير مبارز الدين محمد المظفرى من عام ٧٤٢هـ، وحتى عام ٧٥٢هـ، توفي عام ٧٦٠هـ. عماد فقيه كرماني: ديوان، مقدمه، ص ٧٩ م.

(٣) المصحف: هو كلام يختلف في النقاط والحركات أو يتشابه في الحروف. الرادياني: ترجمان البلاغة، الترجمة العربية، ص ١٠٨.

(٤) خواجوي كرماني: ديوان، ص ١٠٩.

مرغ تو صيدم بدام آمد بنظم اين مديح لا جرم تاريخ اين ابیات شد تصحيف دام



يعرفه أحد، وقد مقدور كذلك. ولذا كانت مصدر حيرة الشاعر وتعجبه، فيقول ما ترجمته:

- اعلم أنى أسحب بالعلم كرة الأرض بصولجاني الموعوج ،  
لكنني في حيرة من أمر هذه العصا التي في يد الدهر (١).

كرر الشاعر كلمة "چوگان" (العصا)، ضمن الشطرالأول ونهاية الثاني، وربط بها بين عملي العصاتين في كلا الشطرين.

ثالثاً: اشتقاق الصدر والعجز من كلمة واحدة، ولكنهما يختلفان قليلاً (٢).

ومثال ذلك ما مدح به الشاعرالأمير "عزالدين مسعود" (٣)، وجعل بلاطه وحضرته شبيهاً بالكعبة التي يطوف الناس حولها، وكرامتها وفضلها وقدرها، وهو كناية عن علو مقام ممدوحه وكثرة الواردين عليه. قد جعل الطائفين حول بلاطه من الأفلاك؛ كناية على علو مقامهم أيضاً. فيقول ما ترجمته :

- تطوف الأفلاك حول بلاطك ،  
مثل طواف الحجاج (٤).

استخدم الشاعر كلمتي (طوايف - طواف ) وهما مشتقتان من كلمة واحدة، وهو نوع من أنواع "رد العجزعلى الصدر"، ربط بهما المعنى بين شطرى البيت .

وفى قصيدة عن الحقيقة وإثبات النفس الناطقة، يثنى الشاعر على نفسه، وجمال ما يقدم من آراء للناس، ومن أشعار تحمل من الأفكار والمذائح ما يعدل الجواهر قيمة ونفاسة، كما أن أعماله تشبه الشمس في انتشارها وعلو قيمتها ونفعها العام، فيقول ما ترجمته :

- لأننى اشتهرت فى الآفاق بانى بائع الجواهر ،  
فقد أضاعت جواهرى الفلك مثل نور الشمس (١) .

(١) خواجوي كرماني : ديوان ، ص ١٣٥ .

بدانش می کشم گوی زمین را در خم چوگان ولی سرگشته می گردم ز دست چرخ چوگانی  
(٢) الرادوياني: ترجمان البلاغة ، الترجمة العربية، ص ٧٥. رشيد الدين الوطواط: حقائق السحر، الترجمة العربية ، ص ١١٤ .

(٣) عز الدين مسعود : أخو الشيخ "أبي إسحاق اينجو"، عين حاكمعلى فارس مشاركاً لأخر يدعى "ياغى باستى"، فقتله الأخير حتى لا ينافسه فى الحكم .

انظر: فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى، ص ٥١٨-٥١٩.

(٤) خواجوى كرماني : ديوان ، ص ٨٦ .

اختران چون طوايف حجاج

كرده برگرد درگه تو طواف

كرر الشاعر لفظة "گوهر" في آخر البيت وضمن الشطر الأول، وربط به المعنى بين الجوهر والجوهري أو بائع الذهب، والكلمتان مشتقتان من مصدر واحد وهو الجوهر .  
وفي موضع آخر، يمدح فيه الأمير حسين، فيذكر أن ساحة الفلك تتبرأ من جوار هذا الملك، وهو كناية عن قوته، ومبالغة شعرية وتجسيد للمعنوي مثل الفلك، والجاه والسلطان اللذين دعا له بهما وجعل لهما الشاعر شواطئ، ووصفها بالكثيرة، كناية عن سعة الملك وعظمته، فيقول ما ترجمته :

- ما دام محيط الفلك مبرأ عن الشاطئ ،  
فليكن لمحيط جاهك وجلالك شواطئ كثيرة<sup>(٢)</sup> .

في هذا البيت، وردت كلمة "كنار"، وربط بها بين معنى شطري البيت، فجاءت بمعنى الساحة في الأولى والثانية بمعنى المحيط .

كما يمدح "صدر الدين يحيى القزويني" ( أحد الصدور في أواخر العصر الايلخاني ) بقصيدة، يسوق فيها حكمة بالغة، مضمونها أن الإنسان لن يعينه في عزلته إلا ساعده وقوته وصبره، وهو ما جاء في لفظة "حزامه" وهذا كناية عن تخلى الناس عنه ووقوفه وحيداً، وهو دليل على عصامية الممدوح وقوته الشخصية، فيقول ما ترجمته :

- تتح عنى ، فإننى أعلم أنه لن ،  
يشد من أزر شخص - في عزلته- إلا حزامه<sup>(٣)</sup> .

وهنا، أورد الشاعر الفعل "كناره كرده" في الشطر الأول بمعنى التحي والعزلة، وكلمة "كنار" في الثاني بمعنى الجانب والناحية. وكانتا رابطتين للمعنى في البيت .

وفي قصيدة أخرى، يقول فيها مادحاً "الزيرآبادي" ( أحد الصدور في أواخر العصر الايلخاني ) يعدد أوصافه ويبين خصاله بكلمات دالة على الكرم والوقار والعلم والرفعة، مثل (عالم - جبل - منجم - رفعة - كرم - جود - فخر) وكلها تشير إلى الأخلاق الحسنة والشيم الطيبة، فيقول ما ترجمته :

(١) خواجوی کرمانی : دیوان ، ص ١١١ .  
زان بروش گوهری مشهور آفام که چرخ همجو تیغ آفتاب از نور یابد گوهرم  
(٢) خواجوی کرمانی : دیوان ، ص ٦١ .  
تا باشد از کنار مبرا محیط چرخ بادا محیط جاه وجلال تو بسی کنار  
(٣) خواجوی کرمانی : دیوان ، ص ٦٧ .  
از من کناره کرده ودانم که جز کمر کسی با میان او نکند دست در کنار

- خبير بالعالم وجبل الوقار ومنجم الكرم ،

فلك الرفعة وبحر الجود وفخر الكرام (١) .

ذكر الشاعر كلمة "الكرم" في الشطر الأول و"الكرام" في الشطر الثاني، وكلاهما يرجع إلى الكرم والسخاء والعتاء. واختلفت الصورة قليلاً، مع تشابه المعنى. واستخدم التشبيه الذي وضع المعنى وقربه. وربط بهما المعنى بين الشطرين .

ويقول الشاعر في قصيدة أخرى، في مدح الأمير "محمد المظفرى"، أنه ذو حظ كبير؛ حيث نال حسن الحظ بثناء الناس عليه، ونال التوفيق بدعائهم له (٢). فكان هذا كله سر توفيقه في مملكته، ونجاحه في عمله. فيقول ما ترجمته :

- يا من أصبحت محظوظاً بثناء اللسان عليك،

ويا من صرت موفقاً بدعائه لك (٣).

كرر الشاعر لفظين متشابهين، هما "كامكار" و"كامران" (محظوظ - موفق)، وركز عليهما ليستقيم البيت بهما، يختلفان في الصورة وهما من أصل واحد "كام" (الرغبة)، إضافة إلى ما يتركانه من موسيقى وسجع.

كما يمدح أحد المتصوفة وهو "حميد الملة والدين"، فيذكر أن الصوفية مع ما تحلوا به في الحياة، من العزوف عن مباحها، ومن الملك والسلطان والشهرة والصيت، ولذلك يتوقع لهم أن ينالوا في الآخرة أعلى الدرجات بصبرهم هذا. بل إنهم سوف يصيرون سلاطين؛ لهم مكانة عالية عند الله سبحانه وتعالى؛ جزاء لسيرته الحسنة في الحياة الدنيا. فيقول ما ترجمته :

- لما لم يكن للدراويش توقيع ولا يجوز لهم الحكم والسلطة ،

ظهروا في دار الملك بمسمى السلطان (٤) .

كرر الشاعر لفظين متشابهين مع اختلاف بسيط بين سلطان والحكم (سلطنت) -

(١) خواجوي كرمانى : ديوان، ص ٩٩ .

جهان دانش وكوه وقار وكان كرم  
سپهر رفعت ودریای جود وفخر كرام

(٢) هذا من حسن التعليل، وهو أحد الفنون البلاغية .

انظر: رشيد الدين الطواط: حدائق السحر، الترجمة العربية، ص ١٨٩-٩٠ .

(٣) خواجوي كرمانى : ديوان، ص ١٢١ .

ای در زبان سخن بثنای تو کامکار  
وی در دهان زبان بدعای تو کامران

(٤) خواجوي كرمانى : ديوان، ص ١٣٤ .

چو بی توقيع درویشان نشاید سلطنت کردن  
بدر الملك دوریش برآور نام سلطانی

سلطاني)، لكنهما ينتميان لمصدر واحد، وهو الحكم أو السلطنة، وربط بهما بين معنى الشطرين.

ويسوق الشاعر في مدح المرتضى أبي على قصيدة، يثنى عليه وعلى مقامه العالی، الذي يطال السماء رقيًا في تواضع، ويثنى على قومه؛ فيشبه قومه بالنجوم والكواكب؛ كناية عن العلو الكثرة والانتشار. فيقول ما ترجمته :

- جنابك سماء في تواضع ،

وجيشك كواكب في كل ناحية (١) .

أورد الشاعر كلمتين متشابهتين في صدر البيت وعجزه (جناب - جنایب )، لكنهما تختلفان قليلاً في المعنى، فالأولى تعنى الجناب والحمى والجاه والسلطان، والثانية تعنى الناحية والجانب، وربط بهما بين معنى البيت بين القوة وبسط النفوذ .

وفى مدح الأمام على رضى الله عنه وأرضاه، يسوق حكمة من الحكم تقول: إن الإنسان المتدين الحق الذي يعرف الله عزوجل، ويعرف دينه بشكل يقينى راسخ فى قلبه، يكون طبعه مهذباً، ويرقى به لدرجة أنه لا يسعى إلى ملك أو سلطة. وقد ورد الفعل "زنى" بتصريفين فى المضارع والأمر، وربط به بين معنى شطرى البيت. فيقول ما ترجمته :

- إن طرقت باب الدين بشكل يقينى ،

فعليك ألا تقيم عرشاً ولا تطرق باب بلاط (٢) .

ويبدو أن الشاعر هنا يشير إلى قناعة نفسية توجد داخل قلب الإنسان على ما فيه من حال، سواء طرق باب البلاط، أو طرق البلاط بابه.

(١) خواجوي کرمانى : ديوان ،ص ٣٤ .

جناب ترا آسمان در تواضع

(٢) خواجوي کرمانى : ديوان ،ص ١١٦ .

چون زنى کوس دين برسركوى يقين

سپاه ترا اختران در جنایب

تخت اقامت مزن بر در درگاه زن

## خاتمة الدراسة

- أدت دراسة موضوع فن رد العجز على الصدر في قصائد الشاعر خواجه الكرماني إلى عدة نتائج لعل من أهمها ما يلي :
- ١ - لعب "فن رد العجز على الصدر دوراً في إظهار جمال البيت بما يتركه التكرار والجناس من موسيقى في أذن سامعيه .
  - ٢- إتمام معنى البيت ووصله، والربط بين معنى شطريه، أدى إلى وضوح الفكرة وقرب المعنى.
  - ٣- تماسك البيت ووضوح معناه.
  - ٤- وقد جاء القسم الذي يأتي فيه الشاعر بكلمة في عجز البيت ويأتي بالكلمة ذاتها ضمن الشطر الأول أكثر الأقسام ظهوراً في فن "رد العجز على الصدر عند الشاعر .
  - ٥- كما جاءت الحكمة في مقدمة الأوصاف التي غلبت على البيت الذي يذكر فيه فن رد العجز على الصدر .
  - ٦- تكرر استخدام بعض الكلمات الدالة، لعل أبرزها: القلم - الربيع - السيف - الدينار - الدهر - السماوات - النجوم - الشبكة - الجواهر - الكرم والجود .
  - ٧- لعل من أبرز الصور التي قدمها الشاعر من خلال هذا الفن هو تصوير شعر الممدوح بالليل في سواده وظلمته، وتصوير وجهه بالنهار في ضيائه وطلعته. لكنها ليست جديدة.

## قائمة المراجع والمصادر

## أولاً: المراجع العربية

- ١- ابن رشيقي القيرواني: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م .
- ٢- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، ١٩٧٤م .
- ٣- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ، تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد ، القاهرة ، مكتبة الآداب، ٢٠١٦ م.
- ٤- إدوارد براون: تاريخ الادب فى ايران، ترجمة ابراهيم امين الشواربي، تقديم الدكاترة: محمد السعيد جمال الدين، أحمد حمدي الخولى، بديع محمد جمعة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، الجزء الثاني، ٢٠٠٥م .
- ٥- تاريخ الأدب فى إيران، نقله إلى الفارسية على أصغر حكمت، نقله إلى العربية محمد علاء الدين منصور، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م .
- ٦- أسامة بن منقذ: البديع فى نقد الشعر، تحقيق احمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبي، (د.ت).
- ٧- إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر الفارسى ، ط٢، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨١م .
- ٨- إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، علق عليه وخرج أحاديثه هانى الحاج، روجعت أحاديثه على كتب ناصر الدين الألباني، القاهرة، دار التوفيقية، المجلد الثالث، ٢٠٠٩م .
- ٩- رعد عبد الكريم أحمد النجار: العراق فى العهد الجلائري ٧٤٠ - ٨١٤ هـ دراسة فى الأوضاع السياسية، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م .
- ١٠- رشيد الدين الوطواط: حدائق السحر فى دقائق الشعر، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم أحمد الخولى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م .
- ١١- سعاد هادى حسن الطائى وأخرون: صفحات من تاريخ المغول : ( ق ٧-٨ هـ ) ( ١٣-١٤ م )، الطبعة الثانية، بغداد، دار مكتبة عدنان ، ٢٠١٩م .

- ١٢ - عبد الله بن المعتز: كتاب البديع، باهتمام اغناطيوس كراتشكوفسكى، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٢م .
- ١٣- على محمد محمد الصلابى: المغول (التتار)، بين الانتشار والانكسار، القاهرة، الأندلس الجديدة، ٢٠٠٩م.
- ١٤- فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، بيروت، دار النهضة ، ١٩٨٥م .
- ١٥- الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان)، جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ١٩٨٧م .
- ١٦- محمد بن عمر الرادويانى: ترجمان البلاغة، ترجمة وتعليق محمد نور الدين عبدالمنعم، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٧م .
- ١٧- محمد مفيد آل ياسين: دراسات فى تاريخ العراق فى العهد الإيلخانى ( عهد السيطرة المغولية ٦٥٦-٧٣٧هـ) ٢٠١٠م، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م .
- ١٨- ناصر السيد محمود حجبى: رباعيات خواجو الكرمانى من خلال ديوانه بدائع الجمال ترجمة ودراسة، جامعة جنوب الوادى، كلية الاداب، مجلة كلية الاداب، ٢٠١٣م .

### ثانيًا: المراجع الفارسية

- ١- ابن يمين فريومدى: ديوان، تصحيح حسينعلى باستانى، كتابخانه سنائى، ١٣٤٤هـ.ش.
- ٢- خواجوى كرمانى: ديوان، به كوشش سعيد قانعى، انتشارات بهزاد، چاپخانه آفتاب، ١٣٧٤هـ.ش.
- ٣- ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش دوم، تهران، انتشارات فردوسى، ١٣٧٣هـ.ش .
- ٤- زهراى خانلرى: راهنماى ادبيات فارسى، كتابخانه ابن سينا، ١٣٤١هـ.ش.
- ٥- فرهنگ ادبيات فارسى درى، چاپخانه زر، ١٣٤٨هـ.ش.
- ٦- شمس الدين بن قيس الرازى: المعجم فى معايير أشعار العجم، تصحيح محمد بن عبد الوهاب قزوينى، تهران، دانشگاه، ١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ.ش .
- ٧- عباس إقبال: تاريخ مفصل ايران، تهران، مطبعهء مجلس، جلد اول، ١٣١٢هـ.ش .
- ٨- عماد فقيه كرمانى: ديوان، تصحيح ركن الدين همايونفرخ، تهران(د.م)، ١٣٤٨هـ.ش.

- ٩- فخر الدين العراقي: كليات، بكوشش سعيد نفيسي، چاپ هفتم، ايرانمهر، كتابخانهسنائی، ١٣٣٨ هـ. ش .
- ١٠- منوچهر مرتضوی: مسائل عصر ايلخانان، تبريز، انتشارات مؤسسه تاريخ وفرهنگ ايران، ١٣٥٨ هـ. ش .

### ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Dense Aigle; Eljigidei, Hülegü and Abaq: MongolK overtuers or christianvent riloguism? Brill, vol. 7, no. 2 (2005).
- Howorth, Sir Henry, history of mongols. part 111 (London 1988).



## قائمة مرتبة أبجدياً بأسماء السادة الأساتذة

## محكمي بحوث العدد الثالث والعشرين (يناير ٢٠٢٣م) - الجزء الأول

م	الأسماء	التخصص والائتماء المؤسسي
١	أ.د/ أحمد سعد محمد سعد	أستاذ بقسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة عين شمس
٢	أ.د/ أحمد عبدالعزيز مصطفى محمد بقوش	أستاذ بقسم اللغات الشرقية - كلية الآداب - جامعة الفيوم
٣	أ.د/ أحمد يوسف سليمان شاهين	أستاذ متفرغ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
٤	أ.د/ أميمة عبدالرحمن محمد خشبة	أستاذ بقسم اللغة العربية - كلية الألسن - جامعة عين شمس
٥	أ.د/ إيمان السعيد جلال	أستاذ الدراسات اللغوية - كلية الألسن - جامعة عين شمس
٦	أ.د/ عبدالعزيز فرح محمد موسى	أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن - كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر بالقاهرة
٧	أ.د/ عبدالعزيز مصطفى محمد بقوش	أستاذ بقسم اللغات الشرقية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
٨	أ.د/ عزة محمد محمد جلوع	أستاذ النقد الأدبي والبلاغة - كلية الآداب - جامعة السويس
٩	أ.د/ عصام سيد أحمد السيد عامرية	أستاذ ورئيس قسم النحو والصرف العروض - كلية دار العلوم - جامعة الفيوم
١٠	أ.د/ محسن محمد أحمد علي	أستاذ الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة الفيوم
١١	أ.د/ محمد راضي محمد الزيني	أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة بورسعيد
١٢	أ.د/ محمد سعد محمد السيد	أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة بورسعيد
١٣	أ.د/ ندا الحسيني ندا	أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة بورسعيد

\*\*\*





**JOURNAL OF**  
**FACULTY OF ARTS**  
**PORT SAID UNIVERSITY**

**PEER-REVIEWED QUARTERLY PERIODICAL**

**ISSUE NO. 23**  
**JANUARY 2023**  
**PART ONE**

Print International Standard Serial No. (ISSN: 2356-6493)

Electronic International Standard Serial No. (ISSN: 2682-3551)

**WEBSITE**

[HTTPS://JFPSU.JOURNALS.EKB.EG/](https://jfpsu.journals.ekb.eg/)